

**أليس في بلاد
العجائب
لويس كارول**

- ♦ المؤلف: لويس كارول
- ♦ العنوان: أليس في بلاد العجائب وقصص أخرى
- ♦ ترجمة: ريهام سمير سعد
- ♦ طبعة آفاق الأولى 2020
- ♦ تصميم الغلاف: عمرو الكفراوي
- ♦ مستشار النشر: سوسن يشير
- ♦ المدير العام: مصطفى الشيخ



رقم الإيداع:

٢٠١٩ / ١٥٧١٣

الترقيم الدولي : ISBN

978 - 977-765 - 237 - 7

جميع الحقوق محفوظة. لا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب أو أي جزء منه، أو تخزينه في نطاق استعادة المعلومات، أو نقله بأي شكل من الأشكال دون إذن مسبق من الناشر.

All rights are reserved. No part of this book may be reproduced, stored in a retrieval system, or transmitted in any form, or by any means without prior permission in writing from the publisher.

Afaq Bookshop & Publishing House

1 Kareem El Dawla st. - From Mahmoud Basiuny st. Talaat Harb

CAIRO – EGYPT - Tel: 00202 25778743 - 00202 25779803 Mobile: +202-01111602787

E-mail: afaqbooks@yahoo.com – www.afaqbooks.com

١ شارع كريم الدولة- من شارع محمود بسيوني - ميدان طلعت حرب- القاهرة - جمهورية مصر العربية

ت: ٢٥٧٧٨٧٤٣ - ٠٠٢٠٢ ٢٥٧٧٩٨٠٣ - موبايل: ٠١١١١٦٠٢٧٨٧

لويس كارول

أليس في بلاد العجائب وقصص أخرى

ترجمة

ريهام سمير سعد

آفاق للنشر والتوزيع

بطاقة الفهرسة
إعداد الهيئة العامة لدار الكتب والوثائق القومية
إدارة الشؤون الفنية

كارول، لويس.

لويس كارول : أليس في بلاد العجائب وقصص أخرى

ترجمة: ريهام سمير سعد

ط 1 القاهرة - دار آفاق للنشر والتوزيع - 2020

472 ص، 21 سم.

رقم الإيداع 15713 / 2019

الترقيم الدولي 7 - 237 - 765 - 977 - 978

1 - الأدباء (روايات)

2 - كارول، لويس



تشارلز لوتويج دودجسون، المعروف باسم «لويس كارول»، هو الخجول عالم الرياضيات، البارِع في لعبة الشطرنج، الشغوف بالرسم والصور، مدرس الرياضيات في جامعة أكسفورد، المولع باللعب بالنظريات الرياضية، والمبادئ الفلسفية، واللعب بالكلمات التي تحمل بين طياتها معنى وأكثر، مَنْ يكتب عن خرافات وعجائب، تحمل في ظاهرها التشويق ومتعة القراءة، وتجد في مكنونها أكثر من مغزى ومعنى ومفهوم، تقف أمامه حائراً ومنبهرًا، كيف يتحول

الحدث البسيط إلى معنى عميق، جراء صحبته لفتيات صغيرات يحملن المرح والسحر، أبدع عملين من مغامرات خيالية خالدة إلى يومنا هذا، هما (أليس في بلاد العجائب)، وتتمته (أليس عبر المرأة)، حيث كان يقضي كارول الكثير من الوقت مع أليس (أليس ليديل ابنة عميد كلية كريست تشيرش) التي كانت ملهمته الأساسية، كان يقص عليها القصص والمغامرات الخيالية، وخلال إحدى رحلاتهما على نهر إيزيز، أمضى كارول الوقت يحكي لأليس (سوسيندا) وشقيقتها لورينا (بريما) وإديث (تيرتيا) قصصًا ومغامرات، وبعد أن أوصلها إلى منزلها طلبت منه أن يكتب هذه القصص في كتاب ويهديه لها. جمع لويس كارول قصصه وحكاياته وقام بكتابتها وأضاف إليها المزيد من المغامرات وقدم الكتاب بعد أن انتهى منه إلى أليس. لا نضف هذين الكتابين كعملين للأطفال، بل هما رائعتان أدبيتان استطاعا أن يصلا إلى كل الأعمار... لم يتصور أحد أن هذين الكتابين مع الوقت سيصبحان من كلاسيكيات الأدب الإنجليزي.

وُلد كارول في ديرسبيري في شيشاير بإنجلترا في ٢٧ يناير ١٨٣٢، كان الابن الأكبر في عائلة مكونة من ١١ طفلًا، نشأ في منزل تسود النزعة الدينية بين أفرادها، في العصر الفيكتوري، تخرج في كلية كريست تشيرش بجامعة أكسفورد في عام ١٨٥٤م، بدأ في تدريس الرياضيات في الكلية نفسها في عام ١٨٥٥، قضى معظم حياته في هذه المهنة، وبصرف النظر عن عمله كمحاضر في الرياضيات، كان كارول شغوفًا بالتصوير وكتابة المقالات والنشرات السياسية وكذلك

الأشعار، وقد أبرزت قصيدته “*The Hunting of the Snark*” قدراته الرائعة في هذا النوع من الأدب العبثي.

كتب كارول أيضًا قصة خيالية بعنوان (سيلفي وبرونو) في قالب شعري ونثري في جزئين عام ١٨٨٩ و ١٨٩٣. إلى جانب كتابته لعدة كتب في الرياضيات تحت اسمه الحقيقي منها مذكرات حول أول كتابين لأوكليد (١٨٦٠).

قبل عيد ميلاده السادس والستين بوقت قصير، عانى لويس كارول من إنفلونزا حادة تطورت إلى التهاب رئوي، تسبب في وفاته عام ١٨٩٨.

المقدمة

لويس كارول... لست غريباً أو حتى مجنوناً؛ فقط واقعي لا يشبه واقعكم

إن كُنّا بصدد قراءة (أليس في بلاد العجائب)، فيجب أن نعرف في البداية نبذة عن أسلوب كارول عبر مزجه بين (الواقع والسحر)، وتفننه في اتباع تقنية روائية غلب عليها الطابع الفنتازي، حيث جسّد العوالم الحقيقية في قالب تحكمه الخرافات والأحلام، تختلط فيه تلك العوالم الحقيقية مع الأوهام والتصورات الخيالية في سياق السرد.

(أليس في بلاد العجائب) قصة للأطفال، إلا أنها مناسبة لكل الأعمار، استطاع لويس كارول بلغته الفريدة والمتفردة، أن يصل إلى عقول وقلوب الأعمار كلها، فالطفل الذي يقرأها، يلمسه خيالها الجامح، ومغامراتها الممتعة المختلفة، التي تسعى لمحاكاة الواقع، يشرد في تفاصيلها، ويربط الواقع بتصورات لا يسكنها إلا الخيال. أما الشاب الذي يقرأها بعد أن نضج، فيقرأها بحس مختلف؛ حيث يبدأ رحلة البحث عن الخبايا والخفايا الكامنة في عالم أليس

السحري، سيعرف المعنى فيما وراء ما قاله كارول: «لكل الأشياء مغزاها، اسعَ جاهداً لاكتشافه فقط». أما المثقف النهم للقراءة، الملم ببعض أسرار المنطق والفلسفة والرياضيات إلى جانب معارفه عن التاريخ والعصور وخبراته بالظواهر النفسية، فيستطيع إلى حد كبير، إدراك مقصد كارول من حكايته. إلى يومنا هذا وبعد سنوات طويلة، تُرجمت خلالها الرائعة الأدبية الكلاسيكية (أليس في بلاد العجائب) إلى عشرات اللغات، لا تزال التفسيرات قائمة، واكتشافات المعاني الكامنة بين السطور والأحداث العجيبة مستمرة.

تدور أحداث القصة من مغامرات في عالم يشبه عالمنا، لكن في صور خيالية، يتغير فيها الواقع، وتحدث فيها الحيوانات والطيور بلغة مفهومة، تتجسد فيها أوراق اللعب (الكوتشينة) كل في دوره، الملك يكون ملكاً، والملكة تكون ملكة، وباقي الأوراق تأتي بأسمائها مثلما تُسمّى تماماً في ورق اللعب.

ثم تأتي رواية (أليس عبر المرأة) لتتعمق مغامرات أليس الخيالية عبر حلم ممتع يتشلك بعيداً إلى عالم التشويق والسحر، بركائز واقعية تنشّط الفكر، مستنداً فيها إلى أجواء لعبة الشطرنج، التي تتطلب الذكاء والمهارة وحساب التحركات بدقة متناهية، بصيغة ممتعة سلسلة، يغمرها تلاعب بالألفاظ واعتماد كلي على القوافي.

تمت ترجمة كتاب (أليس عبر المرأة) من خلال ترشيح الكاتب والمترجم د/ أحمد سمير سعد له، حينما كان يترجم لـ «آرثر ستانلي

إدنجتون» كتابه (فلسفة العلم الفيزيائي)، حيث صادف ذكر اسم لويس كارول وكتابه عددًا من المرات خلال صفحات الكتاب، على غرار ذكر مفاهيم فلسفية وفيزيائية كمصطلح (الإنتروبيا) الذي تم شرحه بقصيدة هامبتي دامبتي في الفصل السادس، وغيره.

تدور أحداث تلك المغامرة في ساحة كبيرة من لعبة الشطرنج، ورحلة أليس من كونها بيدق إلى أن تكون ملكة (سنلاحظ أن القطعة المسماة ملكة في الشطرنج بالإنجليزية تُسمّى وزير في ثقافتنا العربية)، يذكر في مقدمة الكتاب شرح حركات اللعبة وأماكن كل قطعة من قطع الشطرنج، موضحة كل حدث وكل شخصية وفق كل خطوة بدقة متناهية، وإن اتبع كل من أراد خوض تجربة المغامرة وبدأ في اللعب وفق الخطوات، لشاهد وعاش الخيال على أرض الواقع.

ثم يختتم العمل بـ«الروضة.. ومغامرات أليس تحت الأرض»، خلالها امتهن كارول الأسلوب البسيط، الذي يجذب الأطفال في عمر الروضة، كما اعتمد على الصور التوضيحية خلال سرده للأحداث، والتساؤلات الجاذبة للانتباه، ذات الحس التشويقي.



ذكر لويس كارول الكثير من الكلمات، التي قد تبدو مبهمة إلى البعض، في القصائد عبر فصول المغامرة، حيث ابتدع لفظات اقترانية، أدمج بها كلمتين لإنتاج كلمة جديدة تحمل معنيين، مثل كلمات سترد في مطلع قصيدة جابروكي، لكنه سيشرحها بالتفصيل حينما تقابل

أليس هامبتي دامبتي في الفصل السادس عبر حكايتنا، -على سبيل الذكر كلمة مثل البؤسيق (ستكون في لغتها الأصلية هي دمج ما بين معنيين هما البؤس والضيق)-، فقد كان لـ (لويس كارول) الإبداع والابتداع جمه.



قال كارول: «كل شيء له مغزى فقط إذا استطعت أن تجده»، امتازت لغة كارول بالإبداع، برع في اللعب بالألفاظ، وتحوير الكلمات، حيث استخدم كلمات لها نفس المنطوق الواحد، غير أنها مختلفة المعاني، تقرأها فينير عقلك بسعادة؛ لفهمك مقصده، يغزل حوارات بين شخصيات القصة، قائمة على سوء فهم معاني الكلمات، وذلك لتماثل منطوقها. امتاز كارول بقدرته على ابتكار كلمات وعزو معاني لها، كلمات ومعاني بلا أصل معجمي، لكنها مشتقة من جذور الكلمات المعروفة، وهكذا مضى على هذا المنوال، دون أن يخرج عن النص، أو أن يسرد كلمات تشعر بأنها غير مستساغة، بل تتابعت الكلمات وامتدت الحكاية، كتتابع موجات مياه البحر في انسيابية ونعومة، وقد أضاف إليها الحسّ التشويقي للمغامرات العجائبية.

إن انتقلنا للحديث قليلاً عن حبكة المغامرات، سنجد أن كارول، خلق حواراً بين أليس ونفسها، وكم تمنى أن تنكمش مثل الأشياء التي تراها عبر عدسة التلسكوب، إذا ما أمسكته بالمقلوب بالطبع، يبدو هذا في ظاهره خيال محض لطفلة صغيرة، لا تعرف إلا أقل القليل،

وتمزج معارفها القليلة تلك بخيالها الجامح، لكن هناك أمرًا خفيًا يقع فيما وراء هذه التفسيرات المباشرة، لقد استلهم كارول هذه الفكرة من «متلازمة تود» أو «اضطراب ميكروبسيا (الرؤية المصغرة)» وهو اضطراب عصبي وبصري نادر، يرى فيه المصاب الأشياء أصغر بكثير من حجمها المألوف، وكأنه يرى العالم من خلال الطرف الخاطئ من التلسكوب؛ تبدو المواد المرئية بعيدة جدًا، أو قريبة جدًا في آن آخر، تتمثل الاضطرابات في تعطيل الرسائل التي ترسلها العين إلى المخ، حيث تظهرها مختلفة عن حقيقتها، مما يؤدي إلى حدوث تشوه في الإدراك البصري، يعتبر هذا الاضطراب شائعًا بين الأطفال في عمر الخمس سنوات أو العشرة سنوات..

لا يقتصر الأمر على هذا الحد، بل استوحى كارول أغلب الشخصيات التي ذكرها وابتدعها في بلاد العجائب من الواقع، فلا أعجب من الواقع! مع تتابع فصول القصة، ستقرأ عن صانع القبعات المشهور بجنونه وشروده، لكن دعوني أخبركم أمرًا، في قديم الزمان في إنجلترا، كان هناك مصنع لتصنيع القبعات، يستخدم الزئبق في عملية التصنيع، كان صانعو القبعات يقضون أغلب يومهم في المصنع، من النادر أن يروا نور الشمس أو أن يشموا الهواء العليل، كما كانوا عرضة لاستنشاق الزئبق معظم الوقت، وكثرة استنشاق الزئبق تؤثر مباشرة على المخ، وتسبب ما يعرف بـ«متلازمة كورساكوف»، أعراضها تأتي على هيئة عدم اتزان، والحديث بكلمات غير مترابطة، وقد تصل تلك الأعراض إلى حد الهلوسة... بعد أن حازت قصة

(أليس في بلاد العجائب) الشهرة وبلغت شهرتها الآفاق، عرفت كلتا المتلازمتين بأشخاص القصة، الأولى عرفت بـ (متلازمة أليس)، والثانية أُطلق عليها اسم (متلازمة صانع القبعات).

لا أريد مفاومة الأمور وتضخيمها، ففي النهاية هي قصة خيالية غرضها متعة القراءة، لكن تلك القصة يجب أن تؤخذ على محمل الجد، وكما ستجد متعة في قراءتها، أكاد أجزم أن متعة المعرفة لها رونقها الخاص وسعادتها غير المتناهية. لم يقتصر الأمر على ذلك فحسب، بل ذكر كارول نبذة عن ويليام الفاتح، ملك إنجلترا (١٠٦٦ - ١٠٨٧)، وأول من حكمها من بيت نورماندي، ولم يتوان عن إضافة حسّ العصر الفيكتوري، الذي نشأ فيه، وذكر أصول ومعارف ومعلومات كثيرة، لن أطيل عليكم في ذكرها، وسأترك لكم أمر اكتشافها.

أريد إضافة شيء آخر فقط، كي نندوق جماليات النص الأصلي، وكيف نعرف كيف تلاعب لويس كارول باللغة وطوّعها لخدمة غرضه الكتابي، مبتكرًا الحبكات الدرامية، اسمحوا لي بتقديم بعض تلك الكلمات وكيف اجتهدت بقدر ما استطعت من أجل تطويعها كي تناسب النص العربي ولا تفقد دلالتها أو تأثيرها مع الترجمة؛ وذلك كي يكتمل السرد دون الشعور باضطراب في المعنى، أو تشوش في الفهم، يجعل عبارات القصة غير مسترسلة...

في الفصل الثالث (سباق جماعي.. وحكاية طويلة) :

في اللغة الإنجليزية يتشابه نطق الكلمتين (*Tale _ Tail*) الأولى بمعنى ذيل الفأر، أما الثانية تعني قصة قصيرة، لذلك اختلط فهم الأمر على أليس، لذلك كانت تنظر إلى ذيله طوال وقت سرد الفأر لحكايته، وأتت الأبيات التي لخص فيها حكايته، على شكل ذيل ملتوٍ به انحناءات، يصغر حجمه كلما كدنا نصل إلى النهاية، لأن كارول نقل لنا الأبيات من خلال رؤية أليس لها.

في الفصل السادس (خنزير.. وبهار فلفل) :

كان هناك حديثٌ يدور بين أليس وقط شيشاير، اختلط الأمر على القط ولم يسمع ما قالته أليس بوضوح، الكلمتان المتقاربتان كانتا (*Pig-Fig*) الأولى تعني تين، والأخرى تعني خنزير، للكلمتين منطوق متقارب في الإنجليزية، لكن لمرادفيهما في العربية منطوق مختلف، حاولت مقارنة الأمر باستخدام التشابه في النطق بين (خنزير - جنزير).

في الفصل العاشر (حكاية السلحفاة الزائفة) :

اختلط على السلحفاة الزائفة أي كلمة تريد أن تستخدم في حوارها مع أليس، حيث التبس عليها الأمر بين الكلمتين (*Porpoise-* *Purpose*) الأولى تعني الغرض من شيء ما، والثانية اسم (سمكة الخنزير).

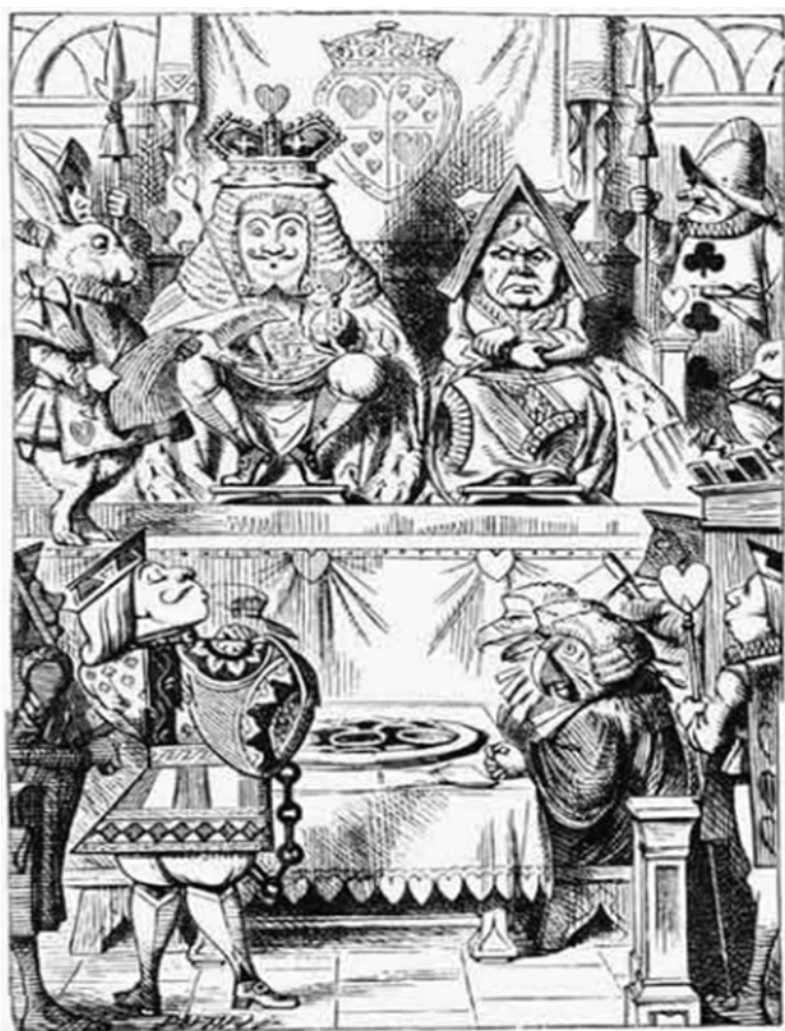
في الفصل الحادي عشر (من سرق كعكات الفواكه؟) :

عندما كان يتحدث صانع القبعات مع القاضي ذكر كلمة

(*Twinkling*) والتي تبدأ بحرف الـ (*T*)، ويتمثل نطق هذا الحرف مع كلمة (*Tea*) التي تعني شاي، ومن هنا حدث سوء الفهم بينهما، لكن في الترجمة ذكرت كلمتي (الشاي والشاي) لابتدائهما بالحرف نفسه.

شكرًا لكم...

المترجم



كلُّ حدث في ظهيرة شمس ذهبية
كنا نتحرك في انسيابية
نجدف في روية
بأيدينا الصغيرة ومهاراتنا القليلة
في رحلة بحرية
نتظاهر أن أيدينا هي ما يحررنا
لكن شروونا الحالم هو مَنْ يرشدنا

آه، من ثلاث متعجرات! في ساعة واحدة
في مثل هذا الطقس الحالم
ترجو راحة أنفاسك
ضعيفاً لتدير أصغر نصل لمجدافك
لكن ما حال صوت واحد واهن
في مواجهة إصرار ثلاثة ألسنة؟

كتسليط وميض الضوء

كأمر صارم «لتبدأ»

في صوت لطيف لـ «سوسيندا» الرقيقة

قالت: «هل سيكون بها مغامرات عجيبة؟!»

بينما قاطعت «تيرتيا» الحكاية

ليس أكثر من مرة في الدقيقة

لا شيء، غير صمت الإنصات كان الراح

هائمات في مطاردة الخيال الجامح

لحلم طفولي اجتاح الأرض

من عجائب جديدة ومثيرة

وحوارات ودودة مع طيور وحيوانات صديقة

وتصورهم أن الحلم قد يصبح حقيقة

بمجرد أن انتهت الحكاية

وجف نبع الخيال

جاء صوت مضجر خفيف

أكمل الحكاية:

«البقية في المرة القادمة»
صاحت أصواتهن في سعادة
«الآن هي المرة القادمة!».

وهكذا تابعنا حكاية عن بلاد العجائب
رويدًا رويدًا، قصة تلو الأخرى
تجتاح مغامراتها أحداث غريبة
إلى أن تمت الحكاية
ووصلن البيت، فتيات مرحات النفس
يركضن تحت أشعة غروب الشمس

أليس! قصة خيالية تسكنك
تأخذ يدك بلطف
لتصل بك إلى الأحلام الطفولية
مثل إكليل من زهور جافة قدسية
قُطفت من أرض نائية

الفصل الأول

سقوط طويل في جحر الأرنب

بدأ الضجر يتسلل إلى أليس؛ حينما كانت جالسةً، إلى جانب أختها على الضفة، لا تفعل شيئاً، فقط رمت بعينها مرة أو مرتين على صفحات الكتاب الذي تقرأه أختها، رآته خالياً من أي حوارات أو صور تجذب انتباهها، فقط سطور متتابعة؛ خاطبت أليس نفسها متسائلة: «ما المسلي إذن في كتاب ليس فيه صور أو حوارات؟».

أخذت تفكر بينها وبين نفسها (ما إذا كان الحر هو الذي جعلها تشعر بالنعاس والغباء معاً هكذا!)، لدرجة جعلتها تفكر، ما إذا كانت متعة صنع سلسلة من زهور الأقحوان، تستحق عناء النهوض ومشقة القطف أم لا! بينما كانت تتساءل في قرارة نفسها تلك الأسئلة، فجأة ركض بالقرب منها أرنبٌ أبيض، لديه عيان ورديتان.

لم يكن هناك شيء مثير للعجب بالنسبة إلى أليس في ذلك الأمر، على الرغم من أنها سمعت الأرنب يتمتم بينه وبين نفسه: «أوه، يا إلهي! يا إلهي! أنا على وشك التأخر!»، إلا أنها عندما فكرت في الأمر فيما بعد، حسبت أنه كان من المفترض عليها أن تتعجب أو تدهش،

وإن بدا ذلك في حينه أمرًا
طبيعيًا، لكن الفضول توغل
إلى قلب أليس، واختلف
الأمر كليًا، حيث هبَّت من
مكانها في لمح البصر، عندما
رأت الأرنب يُخرج ساعة
من جيب صدريته، وينظر
فيها، ومن ثم ينطلق مسرعًا
ثانيةً؛ لم تكن قد رأت من
قبل أرنبًا يرتدي صدرية،
وعلاوة على ذلك فقد كان



بها جيب؛ يحتفظ فيه بساعته، حفز أليس حبها للاستطلاع وفضولها،
فإذ بها تركض مسرعةً، تتعقبه عبر الحقل، كان الحظ حليفها؛ إذ رآته
في الوقت المناسب، قبل أن يقفز مباشرة إلى داخل جحر كبير أسفل
سياج الشجيرات. قفزت أليس أيضًا في التو والحال، دون الأخذ في
الاعتبار مطلقًا ولو للحظة، كيف لها أن تخرج من تلك الحفرة مرة
أخرى.

بدا جحر الأرنب في بادئ الأمر أفقيًا، كان شبيهًا تمامًا بنفق مؤدٍّ
إلى مكان ما، لكنه فجأة انحدر انحدارًا شديدًا، لدرجة أن أليس لم
تتمكن من أن تحظى ببرهة للتفكير في أن توقف نفسها من الانزلاق
إلى الأسفل؛ هوت كما لو كانت تسقط في بئر شديدة العمق.

لا نعرف تمام المعرفة، إن كانت البئر عميقة فعلاً، أم كانت أليس هي مَنْ تسقط ببطء شديد، لكن ما نعرفه، أنه كان لديها متسع من الوقت؛ لأنها بينما كانت تسقط إلى الأسفل، أخذت تنظر حولها، وتتساءل تُرى ما الذي سيحدث فيما بعد؟! في أول الأمر، حاولت أليس أن تنظر إلى الأسفل، وتخمن ماذا سيحل بها، لكن البئر كانت شديدة الظلمة، لم تتمكن من رؤية أي شيء، حاولت التطلع إلى جانبي البئر، هذه المرة استطاعت رؤية بعض الأشياء، لاحظت أن جانبي البئر قد كانا مليئين بالخزانات وأرشف الكتب المتناثرة هنا وهناك، رأت الكثير من الخرائط والصور معلقة على أوتاد قوية.

بينما كان السقوط مستمرًا، التقطت أليس علبة من على أحد الأرفف، حملت ملصقًا مكتوبًا عليه «مربي البرتقال»، كان مخيبًا لآمالها أن تجد العلبة فارغة تمامًا من المربي، إلا أنه لم يرق لها أن تلقي بالعلبة؛ خوفًا من أن تسقط على رأس أحد بالأسفل وتقتله، لذلك فضلت تركها على إحدى الخزانات التي ستمر عليها أثناء سقوطها.

فكرت أليس بينها وبين نفسها «حسنًا! بعد تجربة سقوط كهذه، أحسب أن السقوط من على درجات سلم المنزل لن يكون أمرًا مهولًا على الإطلاق! ترى إلى أي مدى سيعتقدون أنني شجاعة!... لكن لا! لن أقول لهم شيئًا بشأن ذلك السقوط، ولن أقول شيئًا في المطلق، حتى وإن سقطت من أعلى سطح المنزل!» (وهو الأمر الذي كان من المرجح حدوثه).

كان سقوطًا طويلًا إلى الأسفل، ظلت تسقط إلى الأسفل، أكثر، فأكثر، حتى بدا أن السقوط لن ينتهي مطلقًا، وأن لا آخر له، لدرجة أن أليس قالت في صوت عالٍ: «أتعجب فعلاً، كم ميلًا قد سقطت بالفعل طوال ذلك الوقت؟ أحسب أنني على وشك الوصول إلى مركز الكرة الأرضية، دعني أرى! أظن أنني سقطت قرابة الأربعة آلاف ميل إلى الأسفل...». (بالطبع كما تلاحظ، لقد تعلمت أليس الكثير بخصوص ذلك، من دروسها التعليمية في فصلها المدرسي، على الرغم أنه لم يكن الوقت المناسب، أو الفرصة المواتية؛ كي تستعرض معرفتها؛ لأنه لم يكن هناك أحد يستمع إليها، لكن على كل حال، كان تصرفًا محمودًا منها أن تتدرب وتراجع ما درستته)، «... نعم! أعتقد أن المسافة صحيحة، لكنني أتساءل ترى أي خط طول وأي دائرة عرض يشكلان إحداثيات موقعي؟» (لم يكن لدى أليس أي فكرة عن خطوط الطول ودوائر العرض، إلا أنها ظنت أنها كلمات مهيبة لتقولها).

شرعت أليس في الحديث مجددًا بسبب كثرة ما يثير العجب من حولها قائلةً: «أتعجب حقًا، هل أسقط مباشرة وأتوغل عبر الكرة الأرضية! إلى أن أصل إلى طرفها الآخر! كم سيبدو الأمر مضحكًا! أن أظل أسقط، حتى أصل إلى أناس يمشون رأسًا على عقب، يمشون ورؤوسهم إلى الأسفل! أعتقد أنهم سيكونون «المقلوبون»... نعم على ما أظن...» (بالطبع كانت أليس سعيدة في ذلك الوقت؛ لأن ما من أحد هناك كي يسمعها، حيث إن ما قالته ليس بالكلمة الصحيحة أبدًا، كانت تقصد كلمة سبق ودرستها بفصولها التعليمية، وهي تخص

البلاد الواقعة على الجهة المقابلة من الكرة الأرضية، وعادة ما تطلق على أستراليا ونيوزيلاندا). «... أعتقد أنه حين وصولي إلى هناك، يجب عليّ أن أسأل عن اسم البلد التي وصلت إليها، كما تعرف، سيكون الأمر على الصورة التالية: أستمحيكِ عذراً سيدتي، أي البلدان هذه؟ أهـي نيوزيلاندا أم أستراليا؟...» (بالطبع تظاهرت كما لو كانت تمر بذلك الموقف بالفعل، حيث حاولت أن تنحني تأدباً، بينما كانت تتحدث، تخيل نفسك تنحني بينما تسقط في الهواء! هل تعتقد أنه سيمكنك ذلك، وأنت ستقدر على التحكم في حركتك؟)، «... لكن من المرجح حينها، أن تعتبرني تلك السيدة فتاة صغيرة جاهلة؛ بسبب سؤالي هذا! إذن، لن أسأل أحداً مطلقاً، من الممكن أن أرى اسم البلد مكتوباً هنا أو هناك في مكان ما».

لا شيء سوى سقوط طويل إلى الأسفل، أكثر، فأكثر، لم يكن في يدها شيء آخر يمكنها أن تفعله، لذلك شرعت مجدداً في الحديث مع نفسها «من المؤكد أن دينا ستفتقدني ليلاً» (دينا هي قطتها) «أتمنى أن يتذكروا ملء صحنها بالحليب في وقت الشاي، أوه، عزيزتي دينا! كم أود لو كنتِ هنا معي بالأسفل! أحسب أنه لا وجود للفئران في الهواء، لكن من الممكن أن تمسكي بخفاش، أعتقد أن الخفافيش تشبه الفئران إلى حد كبير، لكن تُرى! هل تأكل القطط الخفافيش؟». هنا بدأ النعاس يغالب أليس، وبدأت تتكلم كمن يتمتم في منامه «هل القطط تأكل الخفافيش؟ أم هل الخفافيش تأكل القطط؟»، لكنها على أي حال لم تجب على أي سؤال من السؤاليين، فلم تكن واعية بما

تقول، أو بالكيفية التي تطرح بها السؤال، ومن سيأكل من! بدأت تغفو وتحلم، بأنها تسير مع قطتها دينا جنبًا إلى جنب، وتقول لها في جدية تامة «الآن يا دينا، صارحيني بالحقيقة، هل أكلت خفاشًا من قبل؟»، لكنها ارتطمت فجأة بكومة من العصي وأوراق أشجار جافة؛ حيث انتهى السقوط أخيرًا.

لم تتأذَّ أليس كثيرًا جراء سقوطها الطويل؛ هبت قافزة على قدميها في الحال، ونظرت إلى الأعلى، غير أن الظلام قد كان حالكا فوق رأسها، ولم تستطع رؤية أي شيء، لكنها حينما نظرت إلى الأمام، استطاعت رؤية ممر طويل، يركض فيه الأرنب الأبيض مسرعًا على مرمى البصر، لم يكن لدى أليس وقت لتضيقه، لذلك انطلقت في سرعة كالرياح خلفه، كان الوقت كافيًا؛ كي تلحق به وتسمعه، بينما كان يسلك منعطفًا، يقول: «أقسم بأذني الطويلتين وبشاربي، أنني تأخرت كثيرًا!»، سلكت أليس ذلك المنعطف من خلفه، وكانت على مقربة منه جدًا، لكنه لم يلحظ وجودها، في حين وجدت نفسها في قاعة واسعة، سقفها منخفض، مضاءة بصف كامل من مصابيح معلقة في السقف.

أحاطت بالقاعة أبواب كثيرة من كل اتجاه، جميعها مغلق، أخذت أليس تنتقل من جانب إلى آخر، ومن أعلى إلى أسفل، مرورًا بالأبواب جميعها، إلا أنها كانت مغلقة، مشت أليس في حزن شديد إلى منتصف القاعة، متسائلة كيف لها أن تخرج من هنا مجددًا.

لكنها لمحت فجأة طاولة صغيرة لها ثلاثة قوائم، مصنوعة كلها

من الزجاج، لم يكن هناك شيء عليها، سوى مفتاح ذهبي صغير جدًا، أول فكرة خطرت على بال أليس بالطبع، أنه صالح حتمًا لأحد أبواب هذه القاعة، لكن يا للأسف الشديد! لقد كانت الأقفال كبيرة جدًا، والمفتاح صغير جدًا، لذلك لن يفتح المفتاح أيًا منها بأي حال، لكن عندما جالت أليس في القاعة لمرّة أخرى، رأت ستارة لم تلحظ وجودها من قبل، وتبينت وجود باب ضئيل الحجم من خلفها، كان ارتفاعه قرابة الخمسة عشر بوصة، حاولت أليس فتحه بالمفتاح الذهبي الصغير، وحينها غمرتها سعادة بالغة، إذ وجدته مناسبًا له.



فتحت أليس الباب، ووجدته مؤديًا إلى ممر صغير، لا يفوق حجمه حجم حجر فأر، جثت على ركبتها، ونظرت على طول الممر، رأت حديقة خلابة لم تر لها مثيلًا من قبل، كم كانت متشوقة بمجرد رؤيتها؛ للخروج من تلك القاعة المغلقة، والتنزه بين أحواض زهور الحديقة الزاهية، وبين تلك النافورات المنعشة، لكن للأسف الشديد، لم تتمكن أليس حتى من تجاوز مدخل الباب برأسها، أخذت أليس المسكينة تفكر بينها وبين نفسها «حتى وإن عبر رأسي مدخل الباب، ما الفائدة منه هناك من دون كتفي... كم أتمنى لو أنكمش مثل جميع تلك الأشياء التي أراها من عدسة التلسكوب الصغير! أعتقد أنني أستطيع فعل ذلك، لكنني أريد معرفة كيفية استخدامه فقط، وكيف تنكمش الأشياء من خلاله؟»، ربما تلاحظ مرور أليس بأحداث عجيبة وخيالية في الآونة الأخيرة، فلا عجب إن جال في تفكيرها بعض الوسائل غير التقليدية، حتى وإن كانت وسائل مستحيلة وغير منطقية.

بدا أنه لا فائدة من مكوثها إلى جانب الباب، لذلك عادت مجددًا إلى الطاولة، يعترها أمل في أن تجد مفتاحًا آخر، أو أن تجد كتابًا يشرح كيفية الانكماش عبر التلسكوب، لكنها في هذه المرة، اكتشفت وجود زجاجة صغيرة على الطاولة، قالت أليس: «من المؤكد أنها لم تكن هنا من قبل»، التف حول عنق الزجاجة ملصق مطبوع عليه في شكل جميل، وبأحرف كبيرة وواضحة (قومي بشربي). من الجيد أن يُقدّم لك شيء، مكتوب عليه (قومي بشربي)، كانت أليس صغيرة لكنها حكيمة؛ لم تشربه على الفور، حيث قالت: «لا، يجب عليّ

أن أنظر أولاً، كي أتفحص ما إن كان مكتوباً عليه «سُم» أم لا؟»،
لقد قرأت العديد من قصص الأطفال القصيرة، عن أطفال حُرقوا،
وأطفال التهمتهم الوحوش الضارية، وأطفال آخرون كان مصيرهم
لا يسر مطلقاً، وكان هذا كله بسبب، أنهم لم يتذكروا التنبيهات التي
علمها لهم أصدقاؤهم، على سبيل المثال: ستحرق أدوات إذكاء النار
الحمراء الملتهبة يدك إن أمسكت بها لفترة طويلة، إن لعبت بالسكين
وجرحت بها إصبعك جرحاً عميقاً، عادةً ما ستنزف كثيراً، وبالطبع لا
تنس أبداً، إن شربت الكثير من زجاجة كُتب عليها «سُم»، حتماً عاجلاً
أو آجلاً ستُصاب بتداعيات غير حميدة بالمرة.



على أي حال، لم يكن مكتوبًا على الزجاجاة كلمة «سُم»، لذلك غامرت أليس بتذوق القليل منه، ووجدت مذاقه طيبًا (في الواقع، كان عبارة عن خليط من النكهات المختلفة، فقد كان في طعمه نكهة فطيرة الكرز والكريمة المخفوقة والأناناس ومذاق الديك الرومي المشوي والساكر إلى جانب طعم الخبز المحمص بالزبد)، لذلك شربته إلى آخر قطرة فيه.

قالت أليس: «يا له من شعور عجيب، أشعر وكأنني انكشمت فعلاً، كما تنكمش الأشياء في عدسة التلسكوب!»، لم يكن هذا مجرد شعور فقط، في الواقع، لقد انكشمت أليس بالفعل، وتضاءل حجمها، إلى أن أصبحت بطول العشر بوصات فقط، حينها اعتلت وجهها أمارات السعادة؛ فقد أصبح حجمها مناسبًا الآن؛ وستتمكن من العبور من خلال الباب، إلى تلك الحديقة الخلافة. لكنها في بادئ الأمر، انتظرت دقائق قليلة؛ لترى إن كانت ستتكمش أكثر أو لا، قالت لنفسها وقد أصابها التوتر: «من المؤكد أن لذلك الانكماش نهاية، سيأتي عند حد معين ويتوقف، أعلم ذلك! وإلا سيتهي بي الحال إلى الاختفاء كلياً، كما تختفي شعلة الشمعة عندما تنتهي! أتساءل كيف سأبدو في ذلك الحين يا تُرى؟» بدأت أليس تشرد بذهنها وتخيل الشعلة وهي تختفي عند انتهاء الشمعة بأكملها؛ حيث لا تتذكر أنها قد رأت مثل ذلك الأمر من قبل.

بعد انقضاء مدة قصيرة، لاحظت أنه لم يحدث شيء آخر، لذلك قررت أن تهم من مكانها وتذهب إلى الحديقة الخلافة، لكن يا لأليس

المسكينة! عندما وصلت إلى الباب، اكتشفت أنها نسيت المفتاح الذهبي على الطاولة، وعندما عادت مرة أخرى إلى الطاولة، بالطبع كان من المستحيل أن تصل إلى أعلاها، كانت ترى المفتاح عبر زجاجها من الأسفل فقط، بذلت أليس قصارى جهدها؛ كي تتسلق قوائم الطاولة، لكنها كانت زلقة للغاية، بعد مرور بعض الوقت، غلبها التعب، وأصابها الانهالك الشديد من كثرة محاولات التسلق، دون جدوى، لذلك لم تملك سوى أن تجلس، وتنجرف في البكاء.

لكنها سرعان ما حفزت نفسها وقالت بشكل صارم وحاد: «انهضي من مكانك، لا فائدة من البكاء، أنصحكِ أن تتخطي هذه اللحظة! وتفكري فيما هو تالٍ»، أحياناً ما تُلقن أليس نفسها الكثير من النصائح المفيدة (رغم أنها نادراً ما كانت تعمل بها)، وأحياناً توبخ نفسها بشدة، لدرجة تجعلها تصل إلى أن تغرورق عيناها بالدموع، إلى جانب أنها تذكرت محاولاتها لصفع نفسها يوماً، بسبب غشها في لعبة الكروكيت، رغم أنها كانت تلاعب نفسها، عادةً ما كانت تلك الطفلة الصغيرة المثيرة للدهشة تُحب التظاهر بأنها شخصان مختلفان، لكنها قالت هي المسكينة لنفسها هذه المرة في بؤسٍ شديد: «لكن لا فائدة الآن من التظاهر بأنني شخصان؛ حيث إن ما تبقى من حجمي لا يكفي حتى لتشكيل شخص واحد ذي قيمة تُحترم».

مرّ وقت قصير، وقعت عيناها على صندوق زجاجي صغير أسفل الطاولة بمحض الصدفة، فتحتة، ووجدت بداخله كعكة صغيرة جداً، مزينة بحسّ جمالي رفيع بحبات الزبيب، شكلت الزينة عبارة

(قومي بأكلي)، قالت أليس لنفسها في الحال: «حسنًا! بالتأكيد سأقوم بأكلك، إن كان ذلك سيجعلني أنمو مرة أخرى، وأصل إلى المفتاح، أما إن كان سيجعلني أنكمش أكثر، فلا مانع من أن أتسلل من تحت الباب، حسنًا! في كلتا الحالتين، سأستطيع الدخول إلى الحديقة، لذلك لا أهتم كثيرًا أي منهما سيحدث!»، أكلت أليس قطعة صغيرة من الكعكة، وأخذت تكرر في قلق قائلة: «سأنمو أم سأنكمش؟ أيهما سيحدث؟ سأنمو أم سأنكمش؟ أيهما سيحدث؟» ووضعت يدها على رأسها لترى إن كانت تزداد حجمًا إلى الأعلى، أم تنكمش أكثر ويتضاءل حجمها إلى الأسفل، لكنها كانت في حيرة تمامًا من أمرها؛ عندما وجدت نفسها بالحجم نفسه، ولم يحدث لها أي تغيير. عادة ما يحدث هذا في عالمنا بالطبع لأي شخص يأكل الكعك، حيث لا يطرأ عليه أي تغيير، لكن الأمر يختلف مع أليس؛ فقد تعودت أن تتوقع ما هو غير مألوف بسبب ما رآته من عجائب، لذلك بدا لها ذلك الأمر سخيفًا ومملًا، لأنه أمر شائع الحدوث، لذلك أصرت على أن تأكل الكعكة كلها إلى آخر قطعة منها.



الفصل الثاني

بركة الدموع



«من عجيب إلى أعجب!» باتت
أليس تكرر تلك الكلمات من شدة
دهشتها، لدرجة أنها أصبحت لوهلة
غير مدركة لما تقول، نسيت المنطق في
حديثها حيث قالت: «الآن، أصبحت
مثل أكبر الأشياء التي نراها من خلال
التلسكوب في الطبيعة! وداعًا يا قدمي!»
(عندما نظرت أليس إلى قدميها
وجدت أنهما كادت أن تصبحا خارج
نطاق رؤيتها، فقد كانتا بعيدتين جدًا)،
«قدمي الصغيرتين المسكينتين، أتعجب
من سيئسكما الأحذية والجوارب فيما
بعد؟ فأنا لن أكون قادرة على فعل ذلك
بالتأكيد، أنا منزعة تمام الانزعاج

من ذلك الأمر، لكن فلتكونا على ما يرام، ولتحاولا الاعتماد على نفسيكما»، لكنها بعد وهلة عادت لتفكر محدثة نفسها «يجب عليّ أن أحافظ على معاملتهما بلطفٍ، وإلا فإنهما لن يطيعاني، ولن يذهبا بي حيثما أريد، لذلك سأقدم لهما زوجًا جديدًا من الأحذية مع كل سنة ميلادية جديدة».

شرعت أليس تخطط مع نفسها كيف ستتدبر الأمر «بالطبع سأرسل الحذاء مع مندوب، كم سيكون الأمر مضحكًا، أن يرسل المرء هدية إلى قدميه! وكم سيكون عنوان المستلم غريبًا!

السيد المبجل: قدم أليس اليمنى

المدفأة. بالقرب من السياج

(مع خالص مودتي، أليس)

«أوه، يا إلهي! ما هذا الهراء الذي أنطق به!».

في هذه اللحظة، ارتطم رأس أليس بسقف القاعة؛ لأن طولها في واقع الأمر قد وصل إلى أكثر من تسعة أقدام، إلا أنها تناولت المفتاح الذهبي الصغير في الحال، وسارعت إلى الباب المؤدي إلى الحديقة، لكن يا لأليس المسكينة! لقد كان عملاً شاقًا بالنسبة لشخص في حجمها؛ حيث استلقت على أحد جانبيها، كي تنظر إلى الحديقة بعين واحدة، فقد أصبح المرور من خلال الباب شيئًا مستحيلًا الآن، أكثر من أي وقت مضى، لذلك جلست وأجهشت في البكاء مرة ثانية.

غير أنها قامت بما قامت به أول مرة، حدثت نفسها قائلة: «يجب

أن تخجلي من نفسك، شخص بحجمك الذي أنت عليه الآن يبكي هكذا! كفي عن البكاء فوراً في التو والحال، قلت لك كفي» (لقد أحسنت قولاً)، لكنها استمرت في البكاء، حتى بدا أنها قد ذرفت ليرات من الدموع، إلى الحد الذي أدى إلى تشكل بركة كبيرة من الدموع حولها، امتدت إلى نصف القاعة، بلغ عمق تلك البركة قرابة الأربع بوصات.

بعد قليل، سمعت أليس وقع أقدام بالقرب منها، نظرت في سرعة بالطبع لترى القادم نحوها، لقد كان الأرنب الأبيض، عائداً مرة أخرى، لكنه كان يرتدي ملابس أنيقة، ممسكاً بزوج من قفازات بيضاء - أشبه بقفازات الأطفال - في يد، وفي اليد الأخرى ممسكاً بمروحة كبيرة، لقد كان يسير بسرعة ويبدو في عجالة من أمره، يتمم إلى نفسه: «أوه الدوقة.. أوه الدوقة.. ألن تكون عنيفة جداً، إن أبقيتها منتظرة طوال هذا الوقت!»، كانت أليس تشعر بالضعف الشديد في ذلك الوقت، لذلك كانت مستعدة تماماً، لطلب المساعدة من أي أحد، عندما اقترب الأرنب منها، بدأت تحدثه في صوت منخفض وخجول: «أستمحيك عذراً سيدي...»، إلا أن الأرنب الأبيض انتفض رعباً من فوره، وأسقط قفازه ومروحته، وانطلق يجري في الظلام بأقصى سرعة قدر استطاعته.

التقطت أليس قفازه ومروحته، ولأن القاعة كانت شديدة الحر، شرعت في التهوية على نفسها طوال فترة حديثها: «يا إلهي، يا إلهي! يا لها من أشياء عجيبة وغريبة تحدث اليوم، كان كل شيء يسير على ما

يرام البارحة كالمعتاد. أتساءل تُرى إن كنت تغيرت في الليل؟ دعوني أفكر قليلاً، هل كنت أنا نفسي عندما استيقظت هذا الصباح؟ أذكر أنني كنت أشعر في الغالب بقليل من الاختلاف، لكن إن لم أكن أنا هو أنا، ينبغي عليّ أن أطرح على نفسي السؤال التالي، إذَنْ مَنْ أكون أنا؟ يا إلهي، إنها حقاً أحجية صعبة الحل!»، بدأت أليس تفكر في جميع الفتيات الصغيرات في مثل عمرها اللاتي تعرفهن؛ لترى ما إن كانت قد تغيرت لتصبح إحداهن.



«متأكدة تمامًا من أنني لست «آدا»؛ شعرها طويل ومجعد، أما شعري ليس مجعدًا على الإطلاق، وبالطبع ليس من الممكن أن أكون «مايل» لأنني أعرف الكثير من المعلومات، أما هي، يا لها من مسكينة! تعرف القليل فقط من المعلومات، بالإضافة إلى أنها هي هي، وأنا أنا أنا، يا إلهي! يا لها من أحجية محيرة تمامًا! حسنًا! سأجرب وأختبر نفسي كي أرى إن كنت سأعرف المعلومات التي اعتدت معرفتها من قبل أم لا!

حاصل ضرب أربعة في خمسة يساوي اثنتي عشر، وحاصل ضرب أربعة في ستة يساوي ثلاثة عشر، أما عن حاصل ضرب أربعة في سبعة... يا إلهي! إن واصلت بهذا المعدل لن أصل أبدًا إلى العشرين! على أي حال جدول الضرب لا يعوّل عليه، دعوني أجرب الجغرافيا، لندن هي عاصمة باريس، وباريس هي عاصمة روما، أما روما فهي...، لا حتمًا هذا كله خطأ، أنا متأكدة من ذلك! هذا يثبت أنني تغيرت وأصبحت «مايل»، لكنني سأحاول غناء قصيدة «كم كان تمساحًا صغيرًا...»، وضعت يديها على حجرها، مثلما كانت تفعل عندما تستذكر دروسها، وتكررها على نفسها، لكن مع مرور الوقت، أصبح صوتها مبحوحًا وغريبًا، حتى صار مخرج الكلمات مختلفًا، على عكس عاداتها.

كم كان تمساحًا صغيرًا

أصبح ذيله أكثر بريقًا

ينثر مياه النيل بارعًا
على حراشفه الذهبية
كم تبدو ابتسامته سعيدة
باسطاً مخالبه الطويلة
مُرَجَّبًا بالسّمكات الصغيرة
مُباعِدًا بين فكيه بابتسامة جميلة

ترقرقت الدموع من عيني أليس وهي تقول: «أنا متأكدة أن هذه ليست كلمات القصيدة الصحيحة، في النهاية أعتقد أنني تغيرتُ وأصبحتُ «مايل»، ولزام عليّ أن أذهب لأعيش في بيتها الصغير غير المرتب، ولن أملك حينها أي لعب؛ كي ألعب بها، أوه، يا لها من مشقة، عندها سوف تكون هناك دروس علمية كثيرة متراكمة سيتوجب عليّ دراستها، حسنًا لقد قررت، إن كنت بالفعل «مايل» فعليّ أن أبقى هنا بالأسفل! وبالطبع عند ذلك لن تكون هناك فائدة من انحنائهم برؤوسهم إلى الأسفل ليهتفوا في «اصعدي أيتها الفتاة العزيزة»؛ لأنني حتمًا سأنظر إلى الأعلى نحوهم وأقول: «حسنًا! مَنْ أكون؟» أخبروني أولاً، وحينها إن راق لي كوني ذلك الشخص الذي أخبروني به، سأصعد إلى الأعلى، وإن لم يرق لي، سأظل هنا بالأسفل، إلى أن أكون شخصًا آخر... يا لي من مسكينة!...» أجهشت أليس في البكاء فجأة، وانهمر من عينيها سيل من الدموع: «يا لي من مسكينة.. كم أتمنى لو انحنوا برؤوسهم فعلاً، لقد سئمت من كوني وحيدة هنا بالأسفل!»

بينما كانت تقول ذلك، نظرت إلى يديها، وفوجئت أنها بينما كانت تتحدث إلى نفسها قد ارتدت أحد قفازي الأرنب الصغير. فكرت بينها وبين نفسها «كيف أمكنني فعل ذلك؟ من المؤكد أنني قد انكشيت مرة أخرى كي أقدر على فعل ذلك». نهضت مجدداً وذهبت إلى الطاولة؛ كي تقيس طولها بالنسبة إليها، ووجدت نفسها كما حسبت تماماً، لقد أصبح طولها قدمين فقط، حيث انكشيت بسرعة هذه المرة، اكتشفت أليس لاحقاً، أن السبب وراء انكماشها قد كان التهوية على نفسها بالمروحة التي كانت تمسكها بيدها، لذلك عندما اكتشفت ذلك الأمر، قامت بإلقائها فوراً، وفي الوقت المناسب تماماً؛ كي تحمي نفسها من مواصلة الانكماش، إلى أن تصل إلى الاختفاء بالكلية.



شعرت أليس بشيء من الخوف بسبب انكماشها المفاجئ، لكنه كان خوفًا مختلطًا بسعادة لأنها لم تختفي قائلةً: «لقد نجوت بأعجوبة... والآن إلى الحديقة!»، ركضت أليس نحو الباب الصغير بكل ما استطاعت من سرعة، لكن يا لها من مأساة حقيقية! لقد كان الباب مغلقًا مرة أخرى، وكان المفتاح الذهبي على الطاولة الزجاجية، كما كان تمامًا من قبل، لم يكن أمام الطفلة المسكينة إلا أن تعبر عن واقع حالها وتقول: «الأمور تتغير من سيئ إلى أسوأ، بل أسوأ من أي وقت مضى؛ فلم أكن أصغر من هذا الحجم من قبل، أجزم أن الأمور فاقت السوء بسوء مضاعف، هذا كل ما في الأمر!».

بينما كانت تقول تلك الكلمات، انزلت قدمها في اللحظة نفسها، وأضحت عائمة إلى ذقنها في مياه مالحة، في أول الأمر ظنت أنها سقطت بطريقة أو بأخرى في البحر، حيث قالت لنفسها: «حسنًا، لو أن الأمر كذلك سيكون باستطاعتي الوصول إلى محطة السكك الحديدية» (خطرت لها هذه الفكرة، بسبب المرة الوحيدة التي ذهبت فيها إلى البحر طوال حياتها، بناء على ما حدث في تلك المرة، توصلت إلى استنتاج عام، يذهب إلى أنه أينما كان موقعك على الساحل الإنجليزي، فستجد عددًا من أكشاك الاستحمام على الشاطئ، وأطفالًا يحفرون في الرمال بمجارفهم الخشبية، ثم تجد صفًا من المنازل، وحتماً ستجد خلف كل ذلك محطة السكك الحديدية)، لكن على أي حال، أدركت بعد قليل أنها تعوم في بركة دموعها التي سببتها عندما كانت تبكي وكان طولها تسعة أقدام.

قالت أليس بينما تواصل العوم في بركة دموعها؛ محاولة أن تجد مخرجًا: «يا ليتني لم أبكِ كثيرًا! أعتقد أنني يجب أن أعاقب على فعلي ذلك الآن، ولا بد أن عقابي هو الغرق في دموعي! كم سيبدو هذا الأمر غريبًا بالتأكيد، ولكن لم العجب؟! كل الأشياء التي تحدث لي اليوم غريبة».

عندها سمعت أليس صوت شيء ما، ينساب في المياه بالقرب منها، عامت أليس نحو ذلك الصوت؛ لتتفقد من صاحبه، ظنت أليس في بادئ الأمر أن الصوت من المحتمل أن يكون لحصان البحر أو لفرس النهر، لكنها سرعان ما تذكرت أن حجمها صغير جدًا، اكتشفت بمجرد اقترابها من مصدر الصوت، أن صاحبه مجرد فأر صغير، كان قد انزلق مثلها في بركة دموعها.

تساءلت أليس: «هل للحديث مع فأر أي فائدة على الإطلاق؟ كل شيء هنا عجيب وغريب، وكأنني أظن أن الفأر في إمكانه الحديث من الأساس، لكنني على الأقل لن أخسر شيئًا من المحاولة». لذلك شرعت أليس في الحديث: «أيها الفأر الصغير! هل تعرف وسيلة للخروج من هذه البركة؟ لقد سئمت من العوم هنا، أجبنني أيها الفأر الصغير!» ظنت أليس أن هذه هي الطريقة المناسبة كي تتحدث بها مع فأر؛ فهي حتمًا لم تقم بذلك الأمر من قبل، لكنها تذكرت شيئًا، قد سبق وقرأته في كتاب أخيها للنحو اللاتيني وأخذت تردد: «أيها الفأر.. للفأر، إلى الفأر.. من الفأر.. والفأر»، عند ذلك نظر الفأر إليها في شيء من الفضول والتعجب، وبدا كما لو كان قد غمز لها بإحدى

عينه، لكنه لم ينطق بأي شيء.

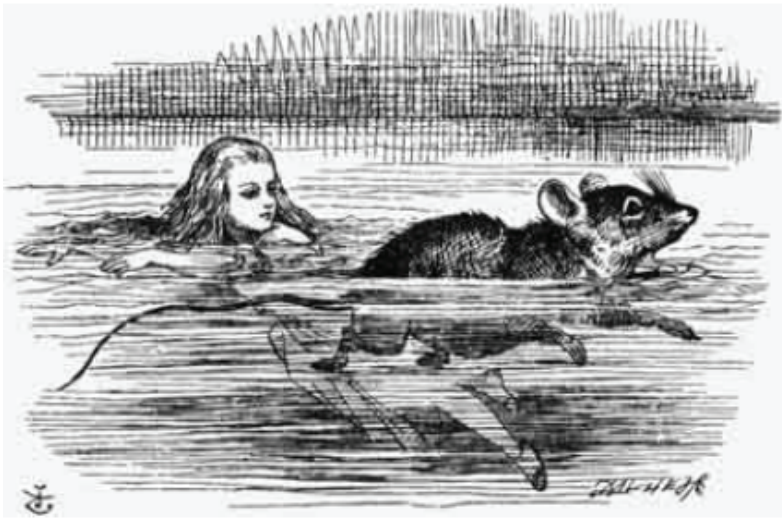
فكرت أليس بينها وبين نفسها: «ربما لا يمكنه فهم اللغة التي أتحدث بها، ربما يكون فأرًا فرنسيًا، أتى مع «ويليام الفاتح» أثناء غزوه لـ إنجلترا» (بحسب معلومات أليس التاريخية، لم تكن تعرف تمام المعرفة أن هذا قد حدث منذ زمن طويل) لذلك شرعت مجددًا في الحديث معه، ولكن باللغة الفرنسية هذه المرة، قالت «أين قطي؟». كان هذا السؤال هو أول عبارة درستها في كتابها الدراسي للغة الفرنسية.

انتفض الفأر في الماء إذ فجأة، وبدا أن جسده كله يرتعد خوفًا، صاحت أليس في الحال؛ خشية أن تكون قد أثارت خوف ذلك الحيوان المسكين الصغير قائلةً: «أعتذر، أعتذر حقًا.. لقد نسيت تمامًا أنك لا تحب الققط».

رد الفأر في صيحة صاخبة: «حتمًا لا أحب الققط! إن كنت مكاني هل ستحيينها؟».

قالت أليس في لهجة هادئة: «ربما لن أحبها! لكن من فضلك، لا تغضب مني بسبب ذلك، أتمنى أن أعرفك على قطتي دينا، أعتقد أنك ستصبح مغرمًا بالققط، بمجرد رؤيتك لها، إنها قطة أليفة هادئة» استطردت أليس في حديثها، بينما كانت تعوم بتكاسل في البركة قائلةً: «تجلس إلى جانب المدفأة وتخرخر في لطف، تلحق مخالبتها، وتنظف وجهها، ليس ذلك فحسب، بل حينما تحتضنها يكون ملمسها غاية في

النعومة، وبالطبع هي ماهرة جدًا في اصطياد الفئران...»، وإذ يجسد الفأر ينتفض كله، صاحت أليس في الحال: «أوه، عذرًا! عذرًا»، لقد شعرت بالسوء؛ لأن ما ذكرته قد جعل الفأر يشعر بالخوف والإهانة حتمًا، لذلك وعدته قائلة: «حقًا لن نتحدث عنها ثانية، إن كان ذلك سيشعرك بالرضى».



صاح الفأر وهو يرتجف كله حتى أطراف ذيله قائلاً: «لن نتحدث عنها ثانيةً فعلاً! كما لو أنني كنت لأتحدث عنها بالأساس! لطالما كرهت عائلة القطط جدًا.. قطط سيئة.. وحشية.. وخبيثة! لا أريد أن أسمع اسمها ينطق ثانيةً». قالت أليس: «بالطبع لن أفعل!»، وسرعان ما غيرت موضوع الحديث فيما بينهما قائلة: «هل.. هل أنت.. هل أنت محبٌّ لـ الكلاب؟»، لم يجبها الفأر، لذلك أكملت أليس حديثها

في حماس: «لدينا كلب لطيف صغير بالقرب من منزلي، كم أود أن أريك إياه! إنه كلب صيد صغير، عيناه لامعتان، أتعرف! ولديه شعر بني طويل ومجعد، يا لجماله! ودومًا ما يلتقط الأشياء التي نذفها له ونحن نلعب معه، دائمًا ما يجلس على قائمته الخلفيتين بطريقة مهذبة، عندما يطلب تناول العشاء، وله العديد من المميزات الأخرى - لكنني لا أستطيع تذكر نصفها على الأغلب-، أتدري أن صاحبه مزارعٌ، عادةً ما يقول إن الكلب مفيد جدًا له، يستحق ما يفوق المائة جنيه! دائمًا ما يقول إنه بارع حقًا في قتل الفئران..» لكن سرعان ما صاحت أليس: «أوه، يا عزيزي! عذرًا عذرًا! أخشى أن أكون قد تسببت في إخافتك ثانيةً»، لكن الفأر كان قد انطلق يسبح مبتعدًا عنها بأقصى ما استطاع من سرعة، متسببًا في صوت ارتطام شديد للمياه في البركة بينما كان يبتعد.

نادته أليس بصوت ناعم: «أيها الفأر! يا عزيزي! هل لك أن تأتي ثانيةً، أعدك أننا لن نتحدث مرة أخرى عن القطة أو الكلاب، إن كنت حقًا لا تحبهم!»، عندما سمع الفأر ذلك، استدار تجاهها وعاد عائمًا ببطء نحوها، كان وجهه شاحبًا جدًا (من الخوف حتمًا كما ظنت أليس)، قال لها في صوت مرتعد: «حسنًا! دعينا نصل إلى الشاطئ أولاً، ثم بعد ذلك سأقص عليك حكايتي، كي تفهمي السبب وراء خوفي وكرهي للقط وللكلاب».

لقد حان وقت الذهاب إلى الشاطئ، لكن في الوقت نفسه، أصبحت البركة مزدحمة للغاية بأنواع مختلفة من الطيور والحيوانات

التي سقطت فيها هي الأخرى، لقد كان من بينها: بطة وطائر الدودو
وبيغاء هندي ونسر صغير، والعديد من المخلوقات الأخرى العجيبة،
انطلقت أليس في المقدمة، وانطلقت المخلوقات جميعها معها عائمة
إلى الشاطئ.



الفصل الثالث

سباق جماعي.. وحكاية طويلة

لقد كان تجمعاً فريداً وعجيباً، ذلك الذي شكلته المخلوقات عندما وصلوا إلى الضفة، أخذت الطيور تجر ريشها المبلى، أما الحيوانات، فقد التصق فراؤها بجسدها، كانوا مبتلين جميعها، تتقاطر المياه من أجسادهم، غاضبين، لا يشعرون بالراحة مطلقاً.

حتمًا كان أول سؤال قد طُرح هو «كيف لنا أن نجف مرة أخرى؟»، دار نقاشٌ فيما بينهم، وبعد دقائق قليلة، بدا من الطبيعي تمامًا أن تتحدث أليس معهم وكأنه وضعٌ مألوفٌ، كأنها كانت تعرفهم طوال حياتها. في الواقع دار جدال طويل بين البيغاء الهندي وأليس، لكن الحال انتهى بالبيغاء الهندي عابساً على إثر الجدل، لذلك ولكي يحسم الجدل لصالحه اكتفى بأن يقول لأليس: «أنا أكبر منك سنًا، إذن أعرف أكثر منك»، وبالطبع لم تسمح أليس بإنهاء الجدل قبل معرفة كم كان عمره، لكن البيغاء الهندي رفض إخبارها عن عمره رفضاً قاطعاً، وانصرف عنها؛ لأنه لم يعد هناك شيء آخر لقوله.

في آخر المطاف، قال الفأر أخيرًا: «حسنًا! اجلسوا جميعًا، واستمعوا لي، سأعيدكم جميعًا جافين في الحال»، بدا كأن للفأر سلطة عليها جميعًا؛ حيث جلست المخلوقات جميعها في الحال، مُشكلة حلقة كبيرة، والفأر في منتصفها. أبقت أليس عينيها مثبتتين عليه في توتر؛ تريد أن تسمع إليه في انتباه شديد؛ حيث خشيت أن تصاب بنزلة برد حادة، إن لم تجف في وقت قريب.



شرع الفأر في الحديث بنبرة متعالية قائلاً: «إحم! هل أنتم مستعدون؟ هذه هي أكثر الطرق التي أعرفها نفعًا، كي تجفوا تمامًا مرة أخرى، صمّتًا رجاءً، صمّتًا من فضلكم!... حتمًا تعرفون «ويليام الفاتح» الذي كانت قضيته هي القضية المفضلة دائمًا لدى البابا،

والذي خضع له الإنجليز، عندما كانوا يريدون قادة يأتمرون بأمرهم،
والذين كانوا قد اعتادوا الغزو والاحتلال بما فيه الكفاية، بالإضافة إلى
أن كلاً من إدوين وموركار قادة مملكة ميرسيا ونورثمبريا قد تحالفا
معه...».

قال البغاء الهندي متأففاً «آخ!»، رد عليه الفأر في الحال في شيء
من العبوس لكن بأدب كبير: «عفوًا! هل تحدثت؟».

أجابه البغاء الهندي في سرعة: «أنا! لا لم أتحدث».

رد عليه الفأر «حسبت أنك فعلت، على كل حال، دعونا نمضي
قدماً... بالإضافة إلى تحالف كلٍّ من إدوين وموركار، قادة مملكة
ميرسيا ونورثمبريا معه، رأى «ستيغاند» رئيس الأساقفة لولاية
كانتربري البريطانية، المعروف بوطنيته، أن هذا مستحسنٌ...».

عقبت البطة: «على ماذا يعود «هذا»؟».

رد عليها الفأر في لهجة ساخرة: «يعود هذا على هذا، وبالطبع
أنت تعرفين ماذا يعني اسم الإشارة «هذا»».

قالت البطة: «نعم أعرف بالطبع ماذا يعني «هذا» كـ اسم إشارة،
حتمًا عندما أرى شيئًا، على سبيل المثال إن رأيت ضفدعًا أو دودة، أقول
«هذا ضفدع» للمذكر، و «هذه دودة» للمؤنث، لكن السؤال هنا الذي
أريد الاستفسار عنه، ما «هذا» الذي رآه رئيس الأسقف مستحسنًا؟».

لم يعر الفأر أي اهتمام لسؤال البطة؛ فقد أكمل حديثه سريعاً: «...
رأى أن هذا مستحسنٌ؛ أن يذهب مع إدغار اثلينج -الذي كان ملكًا

على إنجلترا ما بين ٩٥٩ إلى ٩٧٥ - للقاء ويليام الفاتح، وتقديم التاج له. كان ويليام الفاتح في بادئ الأمر لطيفاً معتدلاً، لكن بسبب وقاحة النورمانديين...» بينما كان يتحدث، التفت إلى أليس قاطعاً حديثه ليقول: «كيف تشعرين الآن يا عزيزتي؟»، قالت أليس في لهجة حزينة: «لا أزال مبلة كما كنت، يبدو أن حكايتك لا تساعد على الجفاف مطلقاً».

قال طائر الدودو بطريقة رسمية وهو يقف على قائمته: «حسنًا! في هذه الحالة، رُفعت الجلسة لاتخاذ إجراءات فورية ذات تأثير حيوي لمعالجة الأمر...».

قال النسر الصغير: «هل يمكنك فقط التحدث بلغة نفهمها! أنا لا أفهم نصف ما قلته تقريباً، ولا أعرف معنى تلك الكلمات الطويلة، بالإضافة إلى ذلك، أراهن أنك لا تعرف معناها أيضاً!»، أخفض النسر الصغير رأسه كي يخفي ابتسامته التهكمية، لكن صوت ضحكات باقي الطيور قد كان مسموعاً، أكمل طائر الدودو ما كان يقوله لكن بطريقة مسيئة: «ما أردت قوله هو أن أفضل طريقة كي نجف سريعاً هي تنظيم سباق جماعي»، قالت أليس: «وما هو السباق الجماعي؟»، لم تطرح أليس السؤال لرغبتها في معرفة ماهية السباق الجماعي، بل بسبب لحظة صمت سادت بينهم جميعاً، بعد توقف طائر الدودو عن الحديث؛ ظناً منه أن أحداً ما سيتكلم، لكن لم يبدُ على أحد مطلقاً أي رغبة في التعقيب على أي شيء أو قول أي شيء.

بدأ طائر الدودو بالحديث ثانية: «حسنًا! أفضل طريقة لشرح ماهية السباق الجماعي هو أن نقوم به».

(أعلم أنكم تريدون تجربة ذلك بأنفسكم، في يوم شتوي تكون قد هطلت فيه الأمطار، لذلك سأقول لكم، كيف أدار طائر الدودو السباق!).

أولاً، حدد مضمار السباق، الذي يجب أن يكون دائرياً نوعاً ما، (أو كما قال لا يهم الشكل الدقيق)، ثم وضع المتسابقين جميعاً على طول مضمار السباق، هنا وهناك، إلى جانب أنه لم يعط إشارة للبدء، فلم تكن هناك حاجة لقول: «واحد، اثنان، ثلاثة، انطلقوا!»، بل بدأوا جميعاً في الركض وقتما شاؤوا، وانتهوا من السباق عندما أحبوا، لذلك كان من الصعب عليهم معرفة متى سينتهي السباق. لكن على أي حال، بعد مُضي قرابة نصف الساعة وهم يركضون أصبحوا جافين تماماً مرة ثانية، لذلك أعلن طائر الدودو انتهاء السباق قائلاً: «لقد انتهى السباق»، كانوا جميعاً محتشدين حول بعضهم البعض، يلهثون من الركض، لكنهم سألوا: «إِذَنْ من هو الفائز في هذا السباق؟». لم يستطع طائر الدودو الإجابة على هذا السؤال إلا بعد تفكير عميق، ظل واقفاً لفترة طويلة واضحاً أحد أصابعه على ناصيته (الوضع الذي ترى شكسبير متخذاً إياه في أغلب صوره)، بينما قبع البقية منتظرين في صمت تام، في النهاية قال طائر الدودو: «حسناً، الجميع فائزون، والجميع سيتسلمون جوائزهم».

قال المتسابقون في صوت واحد كأنهم جوقة متسائلين: «لكن من الذي سيقدم لنا الجوائز؟»، قال طائر الدودو في الحال مشيراً إلى أليس بإصبع واحد: «بالطبع هي»، التف الجميع حولها في لحظة متزاحمين

في شدة، مرددين في صخب بطريقة مربكة: «جوائز، جوائز، نريد الجوائز»، لم يكن لدى أليس أدنى فكرة عن كيفية التصرف في هذا الشأن، لكنها وضعت يدها في جيبيها بطريقة محبطة، مخرجة علبة من السكاكر، (من حسن الحظ بالتأكيد أن الماء المالح لم يكن قد تسرب إلى داخل العلبة)، وبدأت في تسليم جوائزهم لهم، والتي كانت قطعة سكاكر واحدة لكل واحد منهم، إلا أنه لم يتبق لها شيء منها.
قال الفأر: «لكن يجب أن تحصلي على جائزة لنفسك أيضًا».



رد عليه طار الدودو في حماس غير متناهٍ: «بالطبع يجب أن تحصل على جائزة»، ثم التفت نحو أليس ليكمل حديثه: «إذن! ماذا لديك أيضًا في جيبك؟».

قالت أليس في بؤس شديد: «فقط كشتبان معدني صغير».

رد عليها طائر الدودو: «حسنًا! أعطيه لي».

احتشد الجميع حولها مرة ثانية، بينما كان يسلمها طائر الدودو الكشتبان قائلاً: «اسمحي لنا أن ننال شرف قبولك لهذا الكشتبان الأنيق»، عندما انتهى من إلقاء كلمته، صاح الجميع مهللين وفرحين. حسبت أليس أن هذا الأمر برمته يعد سخيفًا، لكنهم جميعًا بدوا متحمسين للغاية، وقد أخذوا الأمر على محمل الجد، لذلك لم تجرؤ أليس على الضحك والتهكم على هذا الأمر، وبالطبع لم يكن لديها شيء لتقوله، فقط انحنت ببساطة، وأخذت الكشتبان، وتظاهرت بالجدية قدر إمكانها.

أما الأمر الآخر الذي حدث بعد ذلك، فقد كان تناولهم للسكاكر، أحدثوا ضجة عالية وارتباكًا شديدة، حيث تدمرت الطيور الضخمة لأنها لم تستطع تذوق طعم السكاكر، أما الطيور الصغيرة، فقد علقت السكاكر في حلوقها، واختنقت، لذلك كان من اللازم الضرب على ظهورها. على أي حال، انتهى الأمر أخيرًا، عادوا للجلوس في حلقة ثانية، متوسلين إلى الفأر أن يخبرهم بالمزيد.

قالت أليس: «نعم، لقد وعدتني أنك ستقص عليّ حكايتك، وتبين

لي سبب كرهك لهذين الحيوانين اللذين تبدأ أحرف اسميهما بحرفي
الـ«ق» والـ«ك» (لقد قالت أليس ذلك في شيء من الهمس؛ خشية أن
تصيب الفأر بالذعر ثانية، أو أن تقول شيئاً يجعله يشعر بالإهانة مرة
أخرى أو أي شيء من هذا القبيل).

التفت الفأر إلى أليس متنهداً وقال: «إن حكايتي طويلة وحزينة
خاصة فيما يتعلق بالذيل!».

لم تكن أليس تدرك أن معنى ذيل حكايته آخرها لذلك نظرت إلى
ذيل الفأر في دهشة عارمة متعجبة تماماً، وقالت: «نعم أرى أنه ذيل
طويل، ولكن كيف له أن يكون حزيناً؟» بينما شرع الفأر في الحديث
ليقص حكايته، بدت أليس في حيرة تامة من أمرها، أما عن الحكاية
فدارت في ذهن أليس على هذه الشاكلة:

في يوم من الأيام

قال سيد غضبان

لفأر وجده في بيته

حتماً سأدع القانون

يأخذ مجراه

حتماً سأقاضيك

لا تحاول الإنكار

سنلجأ للمحكمة

وستعرض للمساءلة
أذكر ذاك الصباح
لم يكن لديّ شيء لأفعله
فقط كنت في جلسة المحكمة
قال الفأر للكلب الشرس
يا سيدي ليس هناك هيئة محلفين
أو قاضي حكيم
هذا سيكون مضيعة
لوقتنا الثمين
قال الكلب الشرس
أنا سأكون القاضي
وسأكون هيئة المحلفين
قال السيد غضبان
أما أنا سأقول كل الأسباب
التي بموجبها يُحكم عليك بالموت
أو تنال أشد عقاب

التفت الفأر فجأة موجهاً حديثه إلى أليس قائلاً: «أليس.. أنتِ لستِ متنبهة على الإطلاق، ما الذي تفكرين به؟».

قالت أليس في استكانة تامة وقد تواصل سوء فهمها لمعنى كلمة «ذيل»: «عفوًا، لكنني أعتقد أننا قد تخطينا المنحنى الخامس في الذيل، تقريبًا على ما أذكر، أليس كذلك؟».

صاح الفأر في غضب عارم وبأسلوب عنيف: «لا، ليس الأمر على هذه الصورة على الإطلاق».

قالت أليس باذلة قصارى جهدها حتى تكون دائمة على أهبة الاستعداد لكي تكون نافعة، بينما تنظر إلى ذيل الفأر في اضطراب: «إذن لقد بلغنا تلك العقدة التي في الذيل، دعني أحلها لك».

قام الفأر من مجلسه ومشى مبتعدًا وهو يقول: «لا أملك أدني فكرة عما تتحدثين عنه، كل ما تتفوهين به لا معنى له على الإطلاق وهو مهين!».

ردت عليه أليس المسكينة: «بالطبع لا أقصد الحديث بشكل مهين إطلاقًا، لكنك عادة ما تشعر بالغضب والإهانة سريعًا، وأنت تعرف ذلك!».

دمدم الفأر بكلام غير مفهوم، صاحت أليس تناديه قائلة: «من فضلك عد ثانية، لم أقصد الإهانة».

ردد الجميع من ورائها في صوت واحد كما الجوقة: «نعم، من فضلك عد ثانية، لم تقصد الإهانة».

هز الفأر رأسه غير راضٍ، لكنه قلل من سرعته في المشي.
عندما ابتعد الفأر تمامًا عن الأنظار، تنهد البيغاء الهندي متممًا:
«من المؤسف حقًا عدم بقاءه معنا».

استغلت السلطعون الأم تلك الفرصة لتعلم بنتها درسًا بشأن ما
حدث قائلته: «يا عزيزتي! خذي مما حدث درسًا لك، كي لا تفقدي
أعصابك أبدًا مهما حدث»، قالت الصغيرة بحنق وفي لؤم شديد:
«حقًا يا أمي! هل ينطق لسانك بهذه العبارة فعلاً! أرى أن من الأفضل
لو تجربين أنتِ الصبر كصبر المحار مثلاً!».

قالت أليس بصوت عالٍ دون أن توجه حديثها إلى أحد بعينه: «كم
أود لو كانت دينا هنا معي الآن! هي الوحيدة القادرة على إعادته لنا
سريعًا مرة أخرى!».

قال البيغاء الهندي: «ومَن هي دينا يا تُرى؟ إن جاز لي طبعًا أن
أطرح عليك مثل ذلك السؤال!».

أجابت أليس في حماسة عارمة، لأنها عادة ما تحب الحديث عن
حيواناتها الأليفة: «دينا هي قطتي، وبالطبع هي بارعة جدًا في الإمساك
بالفئران واللاحاق بها، أعتقد أنك لا تستطيع فعل ذلك، أوه! وبالطبع،
لست في حاجة إلى أن أذكر لكم، كم هي أكثر براعة في ذلك الأمر
مع الطيور، بمجرد أن تلحق بطائر وتمسك به، تأكله تمامًا على مرة
واحدة!».

تسبب حديث أليس في ضجة عارمة بين الجمع، سادت حالة من الهرج والمرج، حيث سارعت الكثير من الطيور بالرفرفة بعيداً في لمح البصر، وبدأ طير «عقّق» عجوز في الانكماش في نفسه في حذر شديد قائلاً: «أعتقد أنني في أشد الحاجة للعودة إلى منزلي؛ فهواء الليل عنيفٌ على حنجرتي العجوز»، ومن بعده صاح عصفور كناري على أطفاله بصوت متهدج: «هيا بنا في الحال، أعتقد أن موعد النوم قد حان»، وكذلك رحلت بعيداً فصائل أخرى كثيرة في الحال، وتواصل رحيلهم، إلى أن غادروا جميعاً، وبقيت أليس بمفردها.

قالت أليس في يأس متممة إلى نفسها: «يا ليتني لم أتحدث عن دينا ثانية، يبدو أن لا أحد يحبها هنا بالأسفل على الإطلاق، على الرغم من أنني أكاد أجزم بأنها أفضل قطعة في العالم! أوه يا حبيبي يا دينا، تُرى هل سأراكِ ثانية!»، وهنا أجهشت أليس بالبكاء مجدداً؛ لشعورها بالوحدة القاسية والبؤس المخيب للآمال، لكن بعد مرور وقت قصير، بدأت تسمع وقع أقدام أحدهم بالقرب منها، لذلك نظرت، والشغف يملؤها، آملة أن يكون الفأر قد غير رأيه، وعاد مرة أخرى لينهي حكايته.



الفصل الرابع

الأرنب يُرسل بيل الصغير

لقد كان الأرنب الأبيض، هو من عاد أدراجه مرة أخرى، كان يسير ببطء في حذر تام، بدا مضطرباً جداً تماماً كما كان حاله عندما ذهب، ينظر إلى كل حذب وصوب كأنه فقد شيئاً ما، سمعته أليس يتمتم بينه وبين نفسه: «الدوقة! الدوقة! ما ذنب مخاليبي الجميلة، وفرائي وشعري الناعم! حتماً ستأمر بقطع رأسي، متأكد تماماً من ذلك مثلما أنا متأكد من كوني أرنباً بالضبط! أين أسقطتهما؟ أعجب حقاً أين اختفيا؟».

أدركت أليس في اللحظة نفسها أن الأرنب أتى باحثاً عن قفازه الأبيض الطفولي ومروحته، ولأن أليس بالطبع على سجيتها الطيبة، بدأت تبحث معه عنهما جيداً، لكنهما لم يكونا في أي مكان ملحوظ للعينين، من الواضح أن مواضع كل الأشياء قد تغيرت بسبب انجرافها مع ماء بركة دموعها تلك، لدرجة أن القاعة الكبيرة والطاولة الزجاجية بالإضافة إلى الباب الصغير قد اختفت تماماً، ولم يبقَ لها أي وجود على الإطلاق.

بعد مُضيِّ وقت قصير، لاحظ الأرنب وجود أليس، بينما كانت تبحث معه عن أشياءه المفقودة، لكنه صاح فيها بنبرة يملؤها الغضب: «يا ماري آن، ما الذي تفعلينه هنا بالخارج؟ عودي إلى البيت سريعاً في الحال، واجلبي لي زوجاً من القفازات ومروحة! هيا! بسرعة، الآن!». كانت أليس خائفة جداً، لدرجة أنها ركضت في الحال في الاتجاه الذي أشار إليه الأرنب، دون أن توضح له حتى سوء فهمه.

قالت لنفسها بينما كانت تجري بسرعة: «حتمًا قد ظن أنني خادمة منزله، تُرى إلى أي حدّ سيكون مندهشًا، عندما يكتشف حقيقة من أكون بالفعل! لكنني أفضل الآن أن أُعيد له قفازه ومروحته، في حال إن تمكنت من العثور عليهما»، بينما كانت تتمم إلى نفسها بذلك، كانت قد وصلت إلى بيت أنيق صغير، معلق على بابهِ لوحة نحاسية لامعة محفور عليها اسم «السيد أرنب»، دخلت أليس دون أن تطرق الباب، وأسرعت إلى الأعلى، ينتابها خوف شديد من أن تقابل «ماري آن» الحقيقية، فتطردها من المنزل قبل أن تجد القفاز والمروحة.

قالت أليس لنفسها: «كم يبدو الأمر غريبًا، أسعى لتلبية أوامر أرنب وأقوم على خدمته! لو أكملنا على هذا المنوال، أعتقد أن قطتي دينا ستكون هي التالية؛ حيث سأقوم بتلبية أوامرها أيضًا!»، شرعت أليس كعادتها بالطبع في تصور الموقف إن حدث «آنسة أليس! تعالي إلى هنا، واستعدي كي آخذكِ للتنزه! أمامك دقيقة واحدة فقط كي تكوني جاهزة خلالها».

«لا أستطيع؛ لقد أمرتني دينا أن أبقى هنا أمام جحر الفأر إلى أن تأتي ثانية، وذلك كي أحرص على ألا يخرج الفأر منه»، ثم أكملت أليس قائلة: «لكنني لا أعتقد أنهم سيحتفظون بدينا في المنزل، إن باتت تأمر الناس على هذا النحو!».

في تلك الأثناء، وجدت أليس طريقًا مؤديًا إلى غرفة صغيرة مرتبة، بها طاولة ونافذة عليها (كما أملت تمامًا من قبل) مروحة وزوجين أو ثلاثة أزواج من القفازات البيضاء، إلا أن نظرها وقع على زجاجة صغيرة بمحاذاة «المرأة» عندما كانت تهتم بمغادرة الغرفة، لكن لم يحط بها أي ملصق مكتوب عليه «قومي بشربي» هذه المرة، غير أنها لم تكتثر بذلك الأمر، نزعت سداة الزجاجة فقط، ووضعتها على شفتيها، قائلة لنفسها: «أعلم تمام العلم أن شيئًا ما عجيبًا وغريبًا لا بد أن يحدث، كلما أكلت أو شربت شيئًا في هذا المكان، لذلك سأرى ما الذي ستفعله هذه الزجاجة هذه المرة. أتمنى أن تجعلني أنمو ثانية، لقد سئمت وتعبت حقًا من كوني شيئًا صغيرًا جدًا هكذا!».

سار الأمر في الواقع كما توقعت أليس بالفعل، قبل أن تنتهي من شرب ما يقارب نصف الزجاجة، وجدت رأسها ترتطم بسقف الحجرة، وأصبح لزامًا عليها أن تنحني برأسها إلى الأسفل، كي تحمي رقبتها من الانكسار، وضعت على الفور الزجاجة جانبًا دون ذرة تردد قائلة: «أعتقد أن هذا كافٍ جدًا، أتمنى فقط ألا أنمو أكثر من ذلك، لأنني لو واصلت على هذا النحو لن أستطيع الخروج من

الباب، يا ليتني لم أشرب هذا القدر الكبير!»، لكن يا لها من حسرة! أن تتمنى شيئاً بعد فوات الأوان، لقد أخذت تنمو وتنمو، إلى أن كادت تجثو على الأرض بركبتيها، بين لحظة وأخرى، لم يعد هناك متسع في الحجرة لركبتيها، لذلك حاولت التمدد على الأرض بمحاذاة الباب، متكئة على أحد مرفقي ذراعيها، واضعة الذراع الآخر حول رأسها. غير أنها كانت تواصل النمو، لذلك وكملاذ أخير، اضطرت إلى وضع ذراعها الثانية خارج النافذة، ووضع إحدى قدميها على المدفأة، قالت لنفسها: «الآن لم يعد في وسعي فعل أي شيء آخر، أيّا ما كان ما سيحدث فيما بعد... لو واصلت النمو بمثل هذا المعدل، ما الذي سأتحول إليه؟».



لكن لحسن حظ أليس، كان ذلك هو التأثير الكامل للزجاجة السحرية الصغيرة، حيث إنها لم تواصل النمو أكثر من ذلك، إلا أن الوضع لم يزل غير مريح على الإطلاق، إلى جانب أنه لا يبدو أن هناك أي فرصة تلوح في الأفق تمكنها من الخروج من تلك الحجرة مرة أخرى، فلا عجب من شعورها بالحزن.

قبعَت أليس المسكينة في مكانها تفكر فيما بينها وبين نفسها: «هناك في بيتي سعادة أكبر من الموجودة هنا، لا أحد ينمو مزدادًا في الحجم أو ينكمش متقلصًا فجأة، وما من أرنب هناك أو فأر يوجهان لك الأوامر، يا ليتني لم أنزل في جحر الأرنب ذاك، لكن... لكن... إن نوع الحياة التي أعيشها هنا، هو النوع الذي يثير دهشتي ويستدعي فضولي، كما تعرفين! حتى الآن ورغم وضعي هذا، يتسلل إليّ الفضول، ويجعلني أتساءل ما الذي سيحدث لي فيما بعد! أنذكر نفسي عندما كنت أقرأ واحدة من تلك القصص الخيالية، كنت مولعة تمامًا بتلك الأشياء الخرافية التي تحدث فيها ولا تحدث على أرض الواقع، الآن أعيش بداخل أحداث واحدة من تلك القصص! أعتقد أنه يجب عليهم أن يكتبوا قصة عن مغامرتي هنا، نعم! يجب عليهم أن يفعلوا ذلك! حتمًا عندما أكبر، سأكتب قصتي بنفسي»، لكنها أضافت في تهكم وبلهجة يتخللها الحزن: «لكنني كبيرة جدًا الآن، كما أنه لا وجود لغرف أخرى؛ كي أواصل الكبر فيها لكن...»، فكرت أليس لشوان، ثم أكملت حديثها «لكن هل ينبغي عليّ ألا أكبر أبدًا أكثر مما أنا عليه الآن؟ سيكون هذا جيدًا في شيء واحد فقط، ألا وهو أنني لن

أصبح امرأة عجوزًا مطلقًا، لكن سينبغي عليّ استذكار العديد والعديد من الدروس التعليمية، أوه! لا أحبذ ذلك حتمًا!» لكنها سرعان ما عقت مردفة على ما قالت: «أوه! أنت حمقاء يا أليس! كيف ستدرسين هنا في هذه الغرفة، إنها غرفة ضيقة جدًا، لا تسع لك، بالإضافة إلى عدم وجود غرفة كي تضعي كتبك الدراسية فيها!».

بينما كانت أليس تُحدّث نفسها وتجب على نفسها، خالقة حوارًا حقيقياً مع نفسها بشكل ما، وبعد مضي بضع دقائق، سمعت صوتًا بالخارج، توقفت عن الحديث، لكي تنصت جيدًا، كان الصوت يقول: «يا ماري آن! يا ماري آن! أحضري لي قفازي في الحال والتوا!»، أعقب ذلك سماعها لوقع أقدام على الدرج، أدركت أليس أنه الأرنب، أتى باحثًا عنها، ارتجفت أليس من شدة الخوف، لدرجة أن ارتعاضها هز المنزل، ناسية تمامًا أن لا شيء يدعو للخوف؛ فحجمها يفوق حجم الأرنب ألف مرة تقريبًا.

وصل الأرنب إلى باب الحجرة، وحاول فتحه، لكن الباب كان يُفتح نحو الداخل، وكان مرفق أليس يصده بقوة ويمنع فتحه بالطبع، لذلك باءت محاولة الأرنب في فتح الباب بالفشل، لكن أليس سمعته يقول لنفسه: «إذن! سأستدير وأذهب إلى الجهة المقابلة، وأدخل من النافذة».

فكرت أليس: «لا، لن تستطيع!»، وبعد قليل من الانتظار، خُيِّل لها أنها سمعت الأرنب وقد جاء إلى أسفل النافذة بالضبط، بسطت يدها

على الفور، وحركتها في الهواء وكأنها تلتقط شيئاً، لكنها لم تمسك
بأي شيء، إلا أنها سمعت صرخة خافتة، وصوت شيء ما يسقط،
وصوت تحطم زجاج، ربطت أليس الأصوات ببعضها، وفطنت في
النهاية إلى أن الأرنب قد سقط في صوبة زراعية مزروع فيها خيار أو
شيء من هذا القبيل.



تبع تلك الأصوات صوت غاضب جدًا... كان الصوت للأرنب الذي أخذ يقول: «بات! بات! أين أنت؟»، ثم استمعت إلى صوت لم تسمعه من قبل، جاء بعد صوت صياح الأرنب، يقول: «نعم! أنا هنا! أجمع ثمار التفاح يا سيدي»، قال الأرنب في غضب عارم: «تجمع التفاح! حقًا! احضر هنا في الحال وساعدني؛ كي أخرج من هنا!». (لحق بهذا الصوت صوت تحطم المزيد من الزجاج).

«الآن! هل لك أن تخبرني يا بات، ما ذلك الشيء الذي يخرج من النافذة؟».

«بالطبع، إنه ذراع، يا سيدي!» (بغض النظر عن أنه قد لفظها سيراغ).

«ذراع! أيها الساذج، هل رأيت ذراعًا بهذا الحجم من قبل؟ كيف لذراع أن يملأ حيز النافذة بأكمله؟».

«نعم، أنا متأكد تمامًا! إنه ذراع رغم كل ذلك، يا سيدي».

«حسنًا، لا فائدة تُرجى من ذلك الشيء هناك، على أي حال، اذهب وانزعه من هناك!».

ساد صمت طويل بعد ذلك، ولم تسمع أليس سوى همسات تصدر بين الحين والآخر، منها:

«بالتأكيد، سيدي! لكن لا يروق لي هذا على الإطلاق.. على الإطلاق.. على الإطلاق!».

«افعل كما أقول لك، أيها الجبان!» حينها بسطت أليس يدها مرة

أخرى، وحاولت أن تلتقط أي شيء، لكن في هذه المرة، كان هناك صوت صرختين خافتتين، وأصوات أخرى كثيرة لزجاج يتحطم، حدثت أليس نفسها «تُرى كم عدد صوبات الخيار الزراعية التي من المفترض امتلاكهم لها! أتساءل ما الذي سيفعلونه بعد ذلك، هل سيقومان بسحبي من النافذة مثلاً، في الواقع كم أتمنى أن يتمكننا من فعل ذلك! أنا في يقين تام من عدم مقدرتي على تحمل البقاء هنا لأكثر من ذلك!».«

انتظرت أليس لبعض الوقت دون أن تسمع صوتاً، لكنها في النهاية سمعت صوت عجلات عربية آتية، تتداخل معه أصوات مختلطة لأشخاص يتحدثون معاً، لكنها استطاعت استخلاص بعض الجمل:

«أين السلم الآخر؟ - لم أستطع حمل سوى سلم واحد فقط، وسيأتي «بيل» بالآخر - بيل! احضر إلى هنا في الحال، نعم ضعه تماماً عند الزاوية، لا.. لا.. أولاً اربطهما معاً - لن يصلا حتى إلى نصف المسافة - أوه، لا! أعتقد أن طولهما معاً سيكون مناسباً مع تلك المسافة. لا تكن محدود النظر - بالضبط هنا يا «بيل»! أمسك هذا الجبل بشدة - هل سيتحمله السقف؟ - احذر هناك لوح قد انفصل - أوه! إنه يسقط علينا! أخفضوا رؤوسكم فوراً! (صوت تحطم عالٍ) - «الآن! من تسبب في ذلك؟ - إنه بيل، على ما أعتقد - من سينزل إلى المدخنة؟ - لا! بالطبع لن أفعل ذلك، أقول لك شيئاً، انزل أنت! - لماذا أنا من يفعل ذلك؟ أنا لن أنزل! - بيل هو من سينزل إلى المدخنة، هيا يا بيل! - إن زعيمنا يقول إنك من سيدخل إلى المدخنة!».«

بعدما سمعت أليس ما استطاعت من هذا الحوار الذي دار فيما بينهم، فكرت بينها وبين نفسها قائلةً: «أوه! إذن «بيل» هو مَنْ سيدخل إلى هنا عن طريق النزول من المدخنة، أليس كذلك؟، لكن لماذا يبدو



أنهم يضعون عبء كل شيءٍ على عاتق بيل! أفضل ألا أكون في مكانه وألا أعامل معاملته نفسها أبدًا، إن المدخنة ضيقة جدًا، لكنني أعتقد أنني أستطيع دفعه بركلة خفيفة على كل حال!».

سحبت أليس قدمها من المدخنة بقدر ما تمكنت، وظلت منتظرة حتى سمعت صوت حيوان يبدو أنه صغير (لم تكن تعرف من أي نوع كان)، ينزل عبر المدخنة ويصل إلى فوقها بالضبط، حينها قالت لنفسها: «حسنًا! من المؤكد أن هذا هو بيل»، ثم بعد ذلك سدّدت ركلة عنيفة تجاهه، وانتظرت حتى ترى ماذا سيحدث فيما هو قادم.

كان أول ما سمعته، أصواتًا مختلطة كما الجوقة تقول معًا:

«انظروا! إنه «بيل» يطير في الهواء»، ثم سمعت صوت الأرنب بمفرده يقول: «حاولوا التقاطه يا مَنْ تقفون بالقرب من سياج الشجر!»، ثم ساد الصمت، إلى أن صدرت أصوات أخرى مرتبكة للغاية تقول: «أمسكوا برأسه - الآن يا «براندي» - لا.. حاول ألا تخنقه - ماذا حدث لك أيها الرفيق؟ أخبرنا كل شيء بالتفصيل!».

عقب ذلك سمعت صوتًا واهنًا، (رجحت أليس أن هذا الصوت يعود إلى «بيل») يقول: «أكاد لا أدرك ما حدث لي، لا أستطيع إخباركم بالكثير، على أي حال شكرًا لكم، أشعر بتحسن الآن، لكنني دائخ جدًا كي أقدر على إخباركم بأي شيء، لكن كل ما أعرفه أن شيئًا ما اندفع نحوي فجأة، مثل لعبة البلياتشو الذي يخرج من صندوق الموسيقى فجأة، وعقب ذلك انطلقت في الهواء كأنني صاروخ جوي!».

رد عليه آخر: «نعم لقد بدا الأمر على هذه الصورة أيها الرفيق»، ثم أعقب ذلك صوت الأرنب وهو يقول: «يجب علينا إحراق المنزل بما فيه»، لكن أليس صاححت في الحال بأعلى صوت استطاعته «إن قمت بفعل ذلك، سأطلق عليك دينا لتأكلك»، خيم الصمت الرهيب على المكان بأكمله بالطبع، مما جعل أليس تفكر بينها وبين نفسها: «تُرى ماذا سيحدث عقب ذلك! إن كانت لديهم عقول نبهة، لأزالوا السقف».

بعد مرور دقيقة أو دقيقتين، بدأوا التحرك ثانية، سمعت أليس الأرنب وهو يقول: «سيكون استخدام «النقالة» فعالًا؛ كي نبدأ به»، فكرت أليس: «أي نقالة! وماذا سينقل بها، لكنها لم تمتلك وقتًا طويلاً

ليأخذها التفكير، في اللحظة ذاتها إذ بوابل من الحصى يُلقى عليها قادمًا من النافذة، أصاب بعضه وجهها، قالت أليس لنفسها: «سأضع حدًا لهذا كله»، ثم صاحت صيحة مدوية: «من الأفضل لك ألا تفعل ذلك مرةً أخرى!»، أعقب ذلك صمت رهيب بالطبع.

أُصِيبَت أليس بدهشة شديدة حين تبين لها أن الحصوات قد تحولت بالكامل إلى كعكات صغيرة تناثرت على أرضية الحجر، عند ذلك خطرت لها فكرة لامعة. فكرت أليس: «إذا أكلت واحدة من هذه الكعكات، من المؤكد أن تغييرًا ما سيطرأ على حجمي، ومن المستبعد تمامًا أن تجعل حجمي يزداد مرة أخرى، بالتأكيد ستجعلني صغيرة الحجم، كما أفترض».

لذلك أكلت أليس إحدى الكعكات، وكانت سعيدة تمامًا، عندما بدأت في الانكماش ثانيةً. بمجرد أن أصبحت صغيرة مرة أخرى بالقدر الذي يمكنها من العبور من الباب، جرت أليس مسرعة إلى خارج البيت، وجدت تجمعًا هائلًا من الحيوانات والطيور في الخارج، كان «بيل» سحلية مسكينة، يرقد في المنتصف، يمسك به خنزيران غينيا، ويسقيانه شيئًا ما من زجاجة. في اللحظة التي ظهرت فيها أليس، اندفعوا جميعًا نحوها، لكنها ركضت في الحال بأقصى سرعة لديها، إلى أن وجدت نفسها في أكلة كثيفة الأشجار، آمنة تمامًا. قالت لنفسها بينما كانت تتجول في الأكلة: «بالطبع أول شيء يجب عليّ فعله، هو أن أعود إلى الحجم المناسب مرة أخرى، وثاني شيء هو أن أجِدَ طريقي نحو الحديقة الخلابة تلك، أعتقد أن هذه خطة عظيمة».

لقد بدت كخطة عظيمة بالفعل دون أدنى شك، كانت في غاية البساطة والتنظيم، لكن العائق الوحيد الصعب أمامها تمثل في عدم امتلاكها أدنى فكرة عن كيفية تنفيذ الخطة، بينما كانت تتطلع إلى الأشجار في ترقب، سمعت نباحًا حادًا أتى من فوق رأسها جعلها تنظر إلى الأعلى من فورها، لقد كان جروًا لطيفًا ينظر إلى الأسفل نحو أليس بعينيه الكبيرتين الدائرتين، ويمد بتأنٍ مخلبًا واحدًا في محاولة منه للمسها.



قالت أليس في لهجة كلها لطف: «جرو لطيف صغير»، لدرجة أنها حاولت أن تصفر له، على الرغم من خوفها الرهيب منه بالطبع؛ خافت أن يكون الجرو جائعًا، ففي هذه الحالة سيكون من المرجح جدًا أن يأكلها، رغم ملاطفتها له.

بالكاد أعرف ما فعلت معه، التقطت أليس عصا صغيرة، وأخذت تلوح بها للجرو، الذي بدوره أخذ يقفز في الهواء على قوائمه الأربعة فورًا، تغمره سعادة عارمة، راکضًا نحو العصا، ما أثار قلق أليس، التي سرعان ما توارت خلف نبات الشوك، كي تكون بعيدة عن دهنس الجرو لها، في اللحظة التي ظهرت فيها من الجهة الأخرى، ركض الجرو نحو العصا ثانيةً، ومن سرعة ركضه الكبيرة نحو العصا ليتناولها، تعثر وانقلب إلى الخلف، حينها شعرت أليس أن ما يحدث مشابهٌ جدًا للعب مع عربة يجرها الخيول، حيث تتوقع في كل لحظة، أنك ستدهس تحت قوائمها، توارت أليس خلف نبات الشوك ثانيةً، حينها بدأ الجرو يهجم على طرف العصا، ويجري قليلاً إلى الأمام، ثم يعود مسافة أطول إلى الوراء، مطلقاً نباحاً حاداً طوال الوقت، لكنه في نهاية المطاف جلس بعيداً، يلهث ولسانه يتدلى من فمه، وعينه الكبيرتان شبه مغمضتين.

بدا هذا لأليس فرصة جيدة سانحة للهروب، لذلك ركضت في الحال حتى تقطعت أنفاسها، وأصبحت متعبة جداً، لم تتوقف إلا عندما بدا صوت نباح الجرو خافتاً جداً فقط.

«كم كان جروًا لطيفًا صغيرًا»، قالت أليس ذلك بينما كانت تتكى على زهرة الـ«حوزان» لتستريح، آخذة ورقة من أوراقها لتهوي بها على نفسها. «كم كنت سآحب تدريبه على الكثير من الألعاب، لو.. لو كنت فقط في حجمي الطبيعي؛ كي أستطيع القيام بذلك! أوه! يا إلهي! لقد كدت أن أنسى تمامًا أنه يجب عليّ أن أنمو مجددًا! لنرى، كيف لي أن أفعل ذلك؟ أظن أن عليّ أن أكل أو أن أشرب شيئًا ما أو آخر، لكن السؤال المحوري هنا: «ما هو هذا الشيء؟»».

بالطبع كان السؤال الأكثر أهمية في ذلك الحين هو: «ما هو هذا الشيء؟»، شرعت أليس في النظر حولها على الزهور والأعشاب، لكنها لم تتمكن من رؤية أي شيء صالح للأكل أو للشرب يتناسب مع الظروف التي تخضع لها.

وجدت أليس فطرًا كبيرًا ينمو مباشرةً بالقرب منها، كان في نفس طولها تمامًا، نظرت إلى أسفله، وإلى جانبه وخلفه، ثم خطر في بالها أن تنظر إلى أعلاه؛ لترى ما فوقه.

وقفت أليس على أطراف أصابع قدميها، لتلقي بنظرها على ما فوق الحافة، وإذ بها تلمح من فورها ورقة كبيرة زرقاء، كانت تجلس فوق الفطر، وأذرعها مطوية على بعضها، تدخن «النارجيلة»، لم تعر أليس انتباهًا، غير مكترثة بأمرها أو بأي أمر آخر.



الفصل الخامس

نصيحة من السيد يرقه

أخذت أليس والسيد يرقه كلاهما ينظران إلى أحدهما الآخر في صمت تام، لكن السيد يرقه أخرج النارجيلة من فمه أخيرًا، ووجه حديثه إلى أليس بصوت واهن ونعسان قائلاً: «مَن أنتِ؟»، لم يكن هذا الحديث ليحفز على بدء الكلام، لكن على أي حال أجابته أليس في خجل: «أنا.. أنا.. حقًا لا أعرف مَن أكون يا سيد يرقه، لكنني في الوقت الحاضر، أعرف على الأقل «مَن كنت!» عندما استيقظت هذا الصباح، حيث إنني تغيرت مرات عدة من ذلك الحين...».

قاطعها السيد يرقه في صرامة: «ماذا تقصدين بأنك قد تغيرت مرات عدة؟ عرّفيني بنفسك!».

قالت أليس: «أخشى أنني لا أستطيع ذلك يا سيدي، لأنني لست أنا، كما تفهم!».

قال السيد يرقه: «لا! أنا لا أفهم».



ردت أليس في أدب شديد: «أخشى أنني لا أستطيع التوضيح أكثر من ذلك؛ فأنا نفسي لا أفهم، لكن كبداية، أن تتغير لتصبح في أحجام مختلفة في يوم واحد هو أمر محير جداً».

قال السيد يرقرة: «لا! ليس محيراً!».

ردت أليس: «حسنًا! ربما لأنك لم تختبر ذلك بعد، لكن عندما تتغير وتتحول إلى خادرة اليرقة (طور العذراء الذي تمر به اليرقة قبل أن تتحول إلى فراشة) -ستتحول إلى ذلك بالطبع في يوم من الأيام، كما تعرف- ثم ستصبح بعد ذلك فراشة، أعتقد أنك ستشعر بأن الأمر غريب بعض الشيء، أليس كذلك؟».

قال السيد يرقة: «لا! ليس كذلك».

قالت أليس: «حسنًا، لكن ربما ستتغير مشاعرك حينها، ما أعرفه تمامًا، أن الأمر بالنسبة لي يبدو غريبًا جدًا».

قال السيد يرقة في ازدراء: «بالنسبة لك! من أنت؟».

جعلهما هذا السؤال يعودان مرة أخرى إلى بداية الحديث بالطبع. شعرت أليس بالقليل من الحنق والازدراج، لكلامه القصير ولتعقيباته القصيرة، لذلك مددت نفسها إلى الأعلى وقالت في شجاعة: «أعتقد أن عليك أنت أن تخبرني أولاً من تكون؟».

قال السيد يرقة: «لماذا؟».

أصاب ذلك السؤال الذي طرحه السيد يرقة أليس بحيرة تامة، لم تستطع الوصول إلى أي سبب كي تجيب به عليه، لكنها رجحت أن السيد يرقة في مزاج عكر وغير سعيد، لذلك استدارت لترحل.

صاح السيد يرقة: «عودي ثانية! لدي شيء مهم لأقوله لك!».

بدا ذلك واعدًا بالتأكيد، لذلك استدارت أليس ثانية، وعادت إليه مرة أخرى.

قال السيد يرقه: «حافظي على هدوئك»، ثم صمت!
قالت أليس محاولة أن تبتلع غضبها: «فعلًا! هل هذا كل شيء؟».
أجابها السيد يرقه: «لا»

حسبت أليس حينها أن عليها أن تنتظر رغم صمته، ربما يقول شيئًا آخر يستحق السمع، بالإضافة إلى أنها لا تملك شيئًا آخر لتفعله. بعد بضعة دقائق نفخ السيد يرقه دخان نارجيلته دون أن ينطق بشيء، بسط ذراعيه ثم أخرج النارجيلة من فمه مرة أخرى، ثم قال: «حسنًا، تعتقدين فعلًا أنكِ تغيرتِ، أليس كذلك؟».

قالت أليس: «نعم يا سيد يرقه، أعتقد أنني قد تغيرت فعلًا؛ لا أستطيع تذكر أشياء قد اعتدت على معرفتها، بالإضافة إلى أنني لا أثبت على الحجم نفسه لعشر دقائق متواصلة!».

قال السيد يرقه: «لا تستطيعين تذكر الأشياء؟».

ردت أليس بصوت يتخلله الحزن: «أعلم! لقد حاولت تذكر قصيدة «كم كانت نحلة نشيطة صغيرة»، جاءت مختلفة بالكلية - وغيرتها إلى «كم كان تمساحًا صغيرًا!»».

قال السيد يرقه: «حسنًا، عوضًا عن ذلك، قل لي قصيدة «أيها الأب ويليام، أنت عجوز كبير»».

شبكت أليس يديها وشرعت في الإلقاء:

قال الشاب الصغير: «أيها الأب ويليام، أنت عجوز كبير
وأصبح الشيب في شعرك كثيراً
رغم ذلك تقف على رأسك بثبات وأنت بالثقة جديراً
هل تظن أن في مثل عمرك هذا هناك شيء ليس بخطير؟»



أجاب الأب ويليام ابنه: «في شبابي
كنت أخشى أن يكون هناك احتمال لأن يتلف عقلي
لكنني الآن أعتقد تماماً أن لا عقل لي
إذن أستطيع فعل ذلك بشكل تكرراري»

۸۲

اسمح لــــي أن أبيع لك علــــبــــتين!

قال الشاب الصغير: «أنت عجوز كبير، وأمسي فكاك ضعيفين
لا يقدران على قضم ما هو أقسى من شحوم عصفورين
ورغم ذلك التهمت إوزة كاملة حتى المنقار وعظام الجناحين
فــــما هو الســــبب أفصح وبين؟».



قال الأب: «لقد درست الشؤون القانونية
وناقشت كل بنوده مع زوجتي الذكية
ومن هنا اكتسبت عضلات فك قوية
لما في حياتي من بقيــــة».

قال الشاب الصغير: «أنت عجوز كبير
لكن بقي شيء واحد، صعب التقدير
بقيت عيناك مستقرة تمام الاستقرار
وأنت توازن ثعبان البحر على أنفك الصغير
فما الذي جعلك بتلك المهارة دون تقصير؟».



قال الأب: «لقد أجبت على ثلاث أسئلة، وهذا يكفي».
لا تكن على هذا القدر كله من التباهي، أعتقد أنني
سأظل طوال اليوم أصغي لحديث المنطق ينفي
كُفَّ عني، وإلا ركلتك عن السلم إلى الطابق السفلي!».

قالت أليس فور انتهائها من غناء القصيدة: «أعتقد أن هذه أيضًا ليست صحيحة».

قال لها السيد يرقه: «بل لا تمت للصحة بصلة».

قالت أليس في خجل: «بعض الكلمات قد تبدلت».

قاطعها السيد يرقه دون هوادة: «لا وجود لأي كلمة صحيحة من أول القصيدة إلى آخرها».

ثم عمَّ المكان الصمتُ لبضع دقائق...

إلى أن شرع السيد يرقه في الحديث مرةً أخرى، سألها: «ما الحجم الذي ترغبين في أن تصبحي عليه؟».

أجابت أليس على الفور: «لست متطلبة كثيرًا فيما يتعلق الحجم، أريد شيئًا واحدًا فقط، حيث إنني لا أحب التغيير أحيانًا، كما تعرف!».

قال السيد يرقه: «لا، لا أعرف!».

لم تعقب أليس بشيء؛ فهي لم تقابل يومًا من عارضها بمثل هذا القدر من قبل.

قال السيد يرقه: «هل أنت راضية عن حجمك الآن؟».

قالت أليس: «حسنًا! أود أن أكون أكبر من ذلك قليلًا، يا سيدي! إن كنت لا تمانع؛ أن أكون بطول ثلاث بوصات فقط هو أمر بئس حقًا».

قال السيد يرقه بغضب معدلاً من جلسته ليستقيم (وقد تبين

أن طوله ثلاث بوصات بالتمام والكمال أيضًا): «إنه طول جيد جدًا للغاية».

قالت أليس المسكينة بطريقة مثيرة للشفقة: «أنا لم أعتد فقط على مثل هذا الطول!»، بينما كانت تفكر بينها وبين نفسها «لكم أتمنى لو لم تكن مخلوقات هذا المكان تستشعر الإهانة بمثل تلك السرعة!» قال السيد يرقه: «حسنًا، ستعتادين عليه بمرور الوقت»، ثم أعاد وضع «النارجيلة» في فمه ليدخن مرة أخرى.

خلال هذا الوقت انتظرت أليس بفارغ الصبر، كي يتحدث ثانية. بعد مرور دقيقة أو دقيقتين، أخرج «النارجيلة» من فمه وتثاءب مرة أو مرتين، هازًا نفسه، ثم نزل عن الفطر، زاحفًا إلى العشب، معقبًا بكل بساطة بينما كان يتعد: «أحد الجانبين سيجعلك أكبر وأطول، والجانب الآخر سيجعلك أصغر وأقصر».

فكرت أليس بينها وبين نفسها: «أحد جانبي ماذا؟ وجانب آخر من ماذا؟».

قال السيد يرقه: «من الفطر»، كما لو أن أليس قد طرحت عليه السؤال الذي دار بخاطرها بصوت عالٍ مسموع، عندما قال ذلك، كان قد اختفى عن الأنظار بالكلية.

ظلت أليس تنظر في حرص شديد إلى الفطر طوال دقيقة كاملة؛ محاولة أن تعرف أين هما جانبا الفطر! فلقد كان مستديرًا تام الاستدارة، لذلك تبين لها أن هذه مسألة مستعصية تمامًا.

على أي حال، في النهاية، توصّلت إلى أن تمد ذراعها إلى أبعد ما تستطيع الوصول إليه على الجانبين، ثم أخذت قطعة من كل حافة من الحافتين بيديها.

قالت أليس لنفسها وهي تقضم قضمة صغيرة من القطعة التي في يدها اليمنى: «لنرّأيًا منهما هي القطعة الصحيحة؟»، إلا أن أليس سرعان ما شعرت بضربة عنيفة أسفل ذقنها، من المفاجئ أن ذقنها قد اصطدم بقدمها!

كان التغير مفاجئًا أثار خوف أليس، لكنها رأت أنها لا تملك الوقت الكافي كي تضيعه، حيث كان انكماشها يتزايد في سرعة رهيبية، حاولت أن تقضم جزءًا من القطعة الأخرى، غير أن ذقنها قد كان قريبًا جدًا من قدمها لدرجة أنه قد كان ضاغطًا عليه، لكنها في نهاية المطاف تمكنت بصعوبة شديدة من فتح فمها، وتمكنت من ابتلاع جزء من القطعة التي كانت تمسكها باليد اليسرى.

قالت أليس وقد غمرتها السعادة: «أخيرًا! رأسي حر» إلا أنه سرعان ما تبدلت السعادة إلى فزع، عندما وجدت أن كتفها قد ابتعدا عن الأنظار، وأن كل ما أصبحت تستطيع رؤيته عندما تنظر إلى الأسفل، مجرد رقبة هائلة الطول، بدت وكأنها جذع نخلة خرجت من بحر من أوراق أشجار بعيدة جدًا.

قالت أليس: «ما هذه الأشياء الخضراء كلها؟ وأين اختفى كتفائي؟ و.. يداي المسكيتان! كيف حدث هذا؟ لم أعد أراكما؟» في تلك

الأثناء أخذت أليس تحرك يديها في كل اتجاه لكن لم يكن هناك أي طائل من وراء هذا، سوى اهتزاز بعيد لبعض أوراق الشجر الخضراء.

تأكدت عن طريق ما فعلت أنه لا وجود لأي إمكانية لرفع يديها إلى رأسها، لذلك حاولت أن تنحني برأسها لتصل إليهما، بلغت من السعادة أشدها عندما اكتشفت قدرتها على لوي رقبتها في أي اتجاه شاءت بسهولة، حيث كانت حركتها تشبه حركة الثعبان. نجحت أليس في ثني رقبتها وتحريكها في خطوط متعرجة بأسلوب رشيق، غاصت بها في تلك الأشياء الخضراء التي ذكرتها، وقد تبين بعد الوصول إليها أنها لم تكن سوى قمم الأشجار، التي كانت تتجول فيما بينها منذ قليل، لكنها سمعت حفيفاً حاداً، جعلها تستقيم في عجلة مرة ثانية، كان ذلك الحفيف صادراً عن تحليق حمامة ضخمة من حولها، اصطدمت الحمامة بوجه أليس، وظلت تهاجمها وتضربها بأجنحتها في عنف شديد.

صرخت الحمامة: «ثعبان!»

قالت أليس في غضب حاد: «أنا لست ثعباناً، اتركيني وشأني!». كررت الحمامة ما قالته مرة أخرى لكن بصوت أكثر هدوء: «ثعبان»، ثم أضافت في لهجة خافتة متنهدة: «لقد جربت كل شيء، لكن لا شيء فعّال معها!».

قالت أليس: «ليس لديّ أدنى فكرة عن أي شيء تتحدثين!». أكملت الحمامة قائلة دون الالتفات إلى أليس: «لقد جربت جذور الأشجار، وجربت سيقانها، لدرجة أنني جربت السياج، لكن

يا لهؤلاء الثعابين، لا شيء أبدًا يرضيها!».

أصابَت أليس حيرة أكبر فأكبر، لكنها اكتشفت أن لا فائدة تُرجى من قول أي شيء، إلى أن تنتهي الحمامة من حديثها تمامًا.

«كما لو أن الرقاد على البيض ليس متعبًا بما يكفي، كي أظل يقظة طوال الليل والنهار لإبعاد الثعابين، لم أغفُ ولو لثانية واحدة طوال الثلاثة أسابيع الماضية!».

قالت أليس بعد أن أدركت مقصد الحمامة أخيرًا: «آسفة جدًا، حيال ما تمرين به من متاعب ومضايقات».

استطردت الحمامة لكن بصوت عالٍ أقرب إلى الصراخ: «لقد وضعت عشي على أعلى شجرة في الأيكة، وكنت أظن أنني بذلك قد ابتعدت عن الثعابين كلها، أوف! يا لكم من ثعابين مؤذية!».

قالت أليس: «مهلاً، لقد أخبرتك أنني لست ثعبانًا.. أنا.. أنا...».

قالت الحمامة بصبر نافذ «حسنًا، من أنت؟ أرى أنك تعمدين إلى اختلاق قصة ما!».

قالت أليس مترددة قليلًا؛ بسبب تذكرها في تلك اللحظة لتغيرات كثيرة كانت قد مرت بها منذ الصباح: «أنا.. أنا مجرد فتاة صغيرة».

قالت الحمامة بصوت مملوء بالازدراء والتهكم: «فعلاً! قصة واقعية تمامًا، أتعلمين! أنتِ ثعبان، لقد رأيت فتيات صغيرات مرات عدة، لم تكن رقابهن طويلة إلى هذا الحد، لا.. لا.. أنتِ ثعبان! لا فائدة من الإنكار.. ستقولين لي بالطبع فيما بعد أنه لم يسبق لك أن

تذوقت البيض من قبل!».

قالت أليس التي كان طبعها الصدق الشديد؛ فهي لا تكذب أبدًا:
«بالطبع تذوقت البيض، كما تعرفين الفتيات الصغيرات يأكلن البيض
مثل الثعابين تمامًا».

قالت الحمامة: «لا أظن هذا، لكن إن كُنَّ يفعلن ذلك حقًا، إذنُ
فهن نوع ما من أنواع الثعابين، هذا ما يمكنني استنتاجه في المجمال».
كانت تلك الفكرة، جديدة تمامًا بالنسبة إلى أليس، التي صمتت
لدقيقة أو لدقيقتين، ما منح الحمامة الفرصة كي تستكمل حديثها
وتضيف قائلة: «من المؤكد أنكِ تبحثين عن البيض، أعرف ذلك
بالشكل الكافي، وحينها ما الذي يعنيني إن كنتِ ثعبانًا أو كنتِ مجرد
فتاة صغيرة، فكلًا كما يأكل البيض!».

قالت أليس على الفور: «حسنًا، هذا جيد جدًا... فيما يتعلق بي،
أنا لا أبحث مطلقًا عن البيض، وإن حدث وبحثت عن البيض، فسوف
يكون ذلك البيض الذي أبحث عنه بيضًا آخر، ليس بيضك بكل تأكيد،
أنا لا أحب البيض النيئ».

قالت الحمامة في تجاههم، بينما كانت تعود إلى عَشَها مرة أخرى:
«حسنًا! ارحلي بعيدًا إذن».

جثت أليس بين الأشجار، بقدر ما استطاعت؛ حيث استمرت
أفروع أشجار كثيرة في التعلق برقبتها، كان عليها التوقف بين الحين
والآخر؛ من أجل تخليص رقبتها منها. بعد مُضَيِّ بعض الوقت،

تذكرت أليس أنها لا تزال ممسكة بقطعتي الفطر في يديها، بدأت أليس من فورها في أكل جزء من القطعة الأولى لكن في حذر شديد، ثم قضمت جزءاً من القطعة الأخرى، أخذت تكبر أحياناً وتنكمش في أحيان أخرى، ظلت على هذا المنوال، تكبر وتنكمش، إلى أن نجحت أخيراً في موازنة الأمر، واستعادة طولها المعتاد مرة أخرى.

كان قد مر وقت طويل منذ آخر مرة اتخذت فيها طولها المعتاد، لدرجة أنها شعرت بشيء من الغرابة لبضع دقائق، إلى أن ألقت الوضع، بدأت تتحدث مع نفسها كالمعتاد: «بالوصول إلى هذه النتيجة، أكون قد نجحت في إنجاز نصف الخطة الآن، كم بدت التغيرات جميعها محيرة تماماً! لم أكن أدري أبداً أي حجم سأصبح عليه بين الفينة والأخرى! على كل حال لقد عدت إلى حجمي المعتاد... الأمر التالي إذن: يتمثل في استكشاف هذه الحديقة الخلابة.. أتساءل، كيف لي أن أتم ذلك؟»، بينما تتحدث أليس إلى نفسها، إذ بها تصل فجأة إلى مكان مفتوح، به بيت صغير بطول أربعة أقدام فقط، لذلك فكرت أليس: «تُرى من يعيش في هذا البيت، بالطبع لن أدخل بيتاً بهذا الحجم، حتماً سأخيفهم جميعاً إلى حد الفزع، لذلك شرعت مجدداً في قضم جزء من القطعة التي في يدها اليمنى، ولم تجازف بالاقتراب من البيت، إلى أن قلَّ طولها إلى تسع بوصات.



الفصل السادس

خنزير.. وبهار الفلفل

وقفت أليس قرابة الدقيقة أو الدقيقتين تنظر إلى البيت، بينما كانت لا تزال تتساءل ما الذي عليها أن تفعله بعد ذلك، أتى خادم في زي رسمي يجري من ناحية الأيكة، (اعتقدت أليس في كونه خادماً بسبب لباسه الذي يرتديه، لكن بالنظر إلى وجهه، فقد كان في حقيقة الأمر، ما نطلق عليه جميعاً «سمكة»)، طرق الباب طرقات عالية بسلميات أصابعه، فتح الباب خادم آخر في زي رسمي، له عينان كبيرتان جاحظتان تماماً كالضفدع، لاحظت أليس أن شعر كليهما معقود وملفوف على كل الرأس، شعرت أليس بفضول كبير؛ كي تعرف سبب كل هذه الاستعدادات، تسلت إلى خارج الغابة قليلاً بالطبع؛ لتستمع!

بدأ الخادم السمكة بإخراج خطاب من تحت ذراعه، كان الخطاب ضخماً للغاية يوشك أن يكون في نفس حجم الخادم السمكة نفسه، سلمه يداً بيد، وهو يقول بأسلوب رسمي: «دعوة من الملكة إلى الدوقة

للعب مباراة كروكيت، يتم تسليم الخطاب إلى الدوقة في الحال»،
ثم كرر الخادم الضفدع نفس ما كان قد سبق وقاله الخادم السمكة،
وبنفس الأسلوب الرسمي، غير في ترتيب الكلمات قليلاً فقط حيث
قال: «دعوة من الملكة إلى الدوقة للعب مباراة الكروكيت».



انحنى كل منهما للآخر انحناءً بسيطة، إلا أنها تسببت في جعل شعرهما المجدول يتشابك معًا.

علا صوت ضحكات أليس جدًّا، لدرجة أنها جرت سريعًا؛ لتعود إلى الأيكة؛ خوفًا من أن يسمعها أحدهما، عندما عادت مرة أخرى، وجدت أن الخادم السمكة قد رحل بالفعل، أما الخادم الآخر فكان جالسًا على الأرض بالقرب من الباب، يحملق ببلاهة إلى السماء.

تحركت أليس في خجل نحو الباب، ثم طرقت عليه.

قال الخادم: «لا طائل هناك من طرقكِ للباب، وذلك لسببين، أولهما: لأنني على نفس الجهة من الباب الذي تطرقينه، وثانيهما: لأنهم يصدرون ضوضاء شديدة بالداخل؛ فلا يمكن لأحدهم أن يسمعكِ». انبعث بالفعل من الداخل الكثير من الضجيج الصاخب، وصوت بكاء شديد وصوت عطس، وبين الحين والآخر صوت يعود ربما لطبق أو لغلاية ينكسر ويتناثر فتاتًا.

قالت أليس: «حسنًا، كيف لي أن أدخل من فضلك؟».

«يجب أن يكون لديك حسٌّ من الذكاء عندما تطرقين الباب»، ثم أكمل الخادم دون أن يلتفت لها: «إن كان الباب هو ما يحول بيننا الآن، أقصد، على سبيل المثال، إن كنتِ أنتِ بالداخل ومن ثم طرقتِ الباب، فحينها من الممكن أن أفتح لك، وأسمح لك بالخروج، كما تعرفين».

كان يقول هذا بينما ينظر إلى السماء طوال الوقت، رأت أليس أن هذا التصرف يعد تصرفًا غير متحضر بالطبع.

قالت أليس لنفسها: «ربما لا يستطيع هذا الخادم المساعدة حقًا، تعتلي عيناه قمة رأسه تقريبًا، لكنه على كل حال، من الممكن أن يعرف إجابة بعض الأسئلة»، ثم كررت أليس سؤالها بصوت عالٍ: «كيف لي أن أدخل من فضلك؟».

عقب الخادم قائلاً: «يجب أن أظل جالسًا هنا، حتى الغد...». في هذه اللحظة، فُتِح الباب، وأُلقي منه صحنٌ، طار تمامًا فوق رأس الخادم، بمحاذاة أنفه، لكنه تفاداه، فاصطدم بشجرة خلفه، وتهشم إلى آلاف الجزيئات.

أكمل الخادم كلامه، بنفس النبذة والوتيرة، وكأن شيئًا لم يحدث: «أو ربما إلى بعد الغد».

سألت أليس مرة أخرى بصوت أعلى: «كيف لي أن أدخل؟». قال الخادم: «هل تريد حقًا الدخول إلى هناك؟ هذا أول سؤال يجب أن يُطرح، كما تعرفين».

بالطبع ودون شك، لا تحب أليس أن يحدثها أحدهم على مثل هذا النحو، لذلك تمتمت إلى نفسها: «إنه غريب حقًا، والطريقة التي تتحاور بها مخلوقات هذا المكان، حتمًا تصلب الشخص إلى حافة الجنون!».

رأى الخادم أن الفرصة مواتية؛ كي يكرر ما قاله مرة أخرى، لكن مع بعض التغيير، حيث قال: «يجب أن أظل جالسًا هنا، على نحو متقطع، لأيام وأيام».

قالت أليس: «حسنًا! ما الذي ينبغي عليّ فعله؟».

رد الخادم: «أي شيء تودين فعله»، ثم شرع في الصفير.

قالت أليس في بؤس شديد: «أوه، لا فائدة من الحديث معه، إنه حقًا أبله تمامًا» فتحت الباب لنفسها دون طرق، ثم دخلت.



قادها الباب مباشرة إلى مطبخ كبير، كان مليئًا على آخره بالدخان، وكانت الدوقة جالسة في المنتصف على مقعد له ثلاث قوائم ومن دون ظهر أو مسندين، تهدد طفلًا، وكانت هناك طاهية منكبة على رجل على النار، تُقلّب ما بداخله، بدا القدر مليئًا حتى آخره بحساء يغلي.

لم تكن أليس قادرة على الحديث؛ لأنها بمجرد أن دخلت،

أُصِيبَتْ بنوبة من العطس المتواصل إذ فجأة، إلا أنها بذلت قصارى جهدها حتى استطاعت أن تقول لنفسها: «لا بد أن هذا الحساء به الكثير من بُهار الفلفل!».

من المؤكد أن الفلفل انتشر في الهواء أيضًا، حتى الدوقة كانت تعطس بين الحين والآخر، وكذلك كان الطفل الرضيع يتنحب ويعطس بالتناوب، لم يتوقف للحظة. أصابت نوبة العطس الجميع فيما عدا مخلوقين اثنين: الطاهية وقطًا كبيرًا كان يجلس إلى جانب الموقد، يبتسم ابتسامة تصل من الأذن إلى الأذن الأخرى.

قالت أليس في خجل نوعًا ما؛ حيث إنها لم تكن متأكدة، إن كان من الصائب أن تبدأ هي بالحديث أم لا: «لماذا تبتسم قطتك هكذا؟». قالت الدوقة: «إنه قط شيشاير، وهذا هو السبب... أيها الخنزير!».

قالت الدوقة الكلمة الأخيرة في عنف بالغ، ما جعل أليس تكاد تقفز من مكانها خوفًا، لكنها بعد لحظة استوعبت أن تلك الكلمة موجهة إلى الطفل الرضيع، وليست موجهة لها، لذلك أخذتها الشجاعة، واستكملت الحديث: «لم أكن أعرف أن قط شيشاير يبتسم دائمًا هكذا، بل في الواقع، لم أكن أعرف أن القطط تبتسم من الأساس».

قالت الدوقة: «القطط جميعها تستطيع الابتسام، ومعظمها يبتسم فعلاً».

قالت أليس في أدب شديد، وفي سعادة لمواصلة الحديث: «لا أعرف أي قط يمكنه الابتسام».

قالت الدوقة: «أنتِ لا تعرفين الكثير، هذه هي الحقيقة».

لم ترحب أليس أبدًا بما أشارت إليه الدوقة، ورأت أن من الضروري تغيير موضوع الحديث، بينما كانت تفكر في فتح موضوع آخر، أزاحت الطاهية المرجل من فوق النار، وبدأت ترمي كل ما يقع في متناول يدها على الدوقة والرضيع، بدأت برمي المغارف وأدوات إذكاء النار، ثم أتبع ذلك بوابل من المقالي والقذور والأطباق والصحون، لكن الدوقة رغم ذلك لم تعرها أي انتباه، حتى مع إصابتها ببعض هذه المقذوفات، أما عن الرضيع فقد كان يبكي من قبل ذلك بالطبع، لذلك من المستحيل التأكد، إن كان قد أصابه شيء ما بالفعل أم لا!

صاحت أليس وهي تقفز للأعلى وتنحني إلى الأسفل؛ خوفًا من أن يصيبها شيء: «أوه، لماذا تقومين بذلك؟.. أوه! انتبهي! ستؤذين أنفسه!»، في ذلك الوقت أطاحت الطاهية بقدر كبير، طار مباشرة نحو أنف الرضيع، إلا أن أليس أزاحته بعيدًا في آخر لحظة.

قالت الدوقة بصوت أجش: «لو انتبه كل شخص لعمله المنوط به، لسار العالم حتمًا بشكل أسرع مما هو عليه الآن».

شعرت أليس بسعادة غامرة؛ فقد أُتيحت لها الفرصة؛ كي تُظهر من خلالها بعضًا من معارفها، حيث قالت: «لن يصاحب تنفيذ ذلك أي ميزة؛ لو فكرت أي عمل هذا بإمكانه تغيير تعاقب النهار والليل! كما تعرفين، الأرض تستغرق أربع وعشرين ساعة لتدور حول محورها...».

قالت الدوقة: «بالحديث عن المحاور... اقطعي محور رأسها!». نظرت أليس إلى الطاهية نظرة فاحصة، وقد انتابها قلق شديد؛ خشية أن تكون الطاهية قد سمعت ما قالت الدوقة، لكن لحسن الحظ كانت الطاهية مشغولة تمامًا في رج الحساء، ولم تلتفت إلى ما قالت الدوقة، لذلك أكملت أليس: «هل هم أربع وعشرون ساعة - كما أحسب - أم اثنتا عشرة فقط؟».

قالت الدوقة: «أوه! لا تستفزي مشاعري! أنا لا أتحمل الأرقام قط!»، ثم عادت إلى هدهدة الرضيع مجددًا، وهي تغني له ما يشبه تهويدة (أغنية) قبل النوم، لكنها كانت تهزه هزة عنيفة مع نهاية كل شطر:

تحدث مع طفلك الصغير بعنف
وعندما يعطس، اضربه دون لطف
لأنه يعلم أن هذا يضايقنا ومن السخف

الجوقة

(التي ضمت كل من الطاهية والطفل)

«واو! واو! واو!».

بينما أخذت الدوقة في غناء النصف الثاني من التهويدة، راحت تهز الطفل في عنف دون هوادة صعودًا وهبوطًا، أما الرضيع المسكين فلم

يكفّ عن البكاء طوال الوقت، لذلك سمعت أليس الكلمات بالكاد.

أتحدث مع طفلي في شدة

أضربه عندما يعطس في قسوة

كي يستمتع تمامًا بالفلفل في صفوة

الدوقة

«واو! واو! واو!».

عندما انتهت الدوقة من الغناء قالت لأليس، وهي تقذف بالرضيع إليها: «الآن، يمكنك أخذ هذا الرضيع مني؛ لتهدديه قليلاً، إن كنت تحبين ذلك! يجب عليّ أن أستعد للعب مباراة الكروكيت مع الملكة»، ثم أسرعَت إلى حجرتها.

بينما كانت الدوقة في طريقها، قذفتها الطاهية بمقلاة، لكنها لم تصبها.

حملت أليس الرضيع بصعوبة بالغة، كان مخلوقاً غريباً بعض الشيء، يرمي بذراعيه وساقيه في كل الاتجاهات، (كما لو كان «نجم بحر») كما ارتأت أليس. كان ذلك المسكين الصغير ينخر محدثاً صوتاً مثل ذلك الصوت الذي لمحرك بخاري، عندما حملته، كان يتلوى، وينكمش في نفسه ويمط جسده مراراً وتكراراً، لدرجة أن أليس قد أمضت ما يقرب من الدقيقة أو الدقيقتين في محاولاتها للإمساك به جيداً.

بمجرد أن استطاعت أليس التوصل إلى الطريقة الصحيحة
لحملة وهددته (حيث قامت ببرمه في شكل يشبه العقدة، كما
قامت بالإمساك بشدة بأذنه اليمنى وقدمه اليسرى، لمنعه من التملص
مطلقاً)، حملته إلى الخارج حيث الهوى الطلق.



فكرت أليس: «لو لم آخذ ذلك الرضيع معي إلى الخارج، لقتلوه حتمًا خلال يوم أو يومين، أليس تركه معهم بمثابة جريمة قتل؟ قالت أليس الكلمات الأخيرة بصوت مرتفع، بعدها أطلق الرضيع الصغير نخيرًا قويًا - كأنما يؤكد به على حديثها - (لقد كف عن العطس الآن)، قالت أليس: «لا تنخر! هذه طريقة غير لائقة للتعبير».

نخر الرضيع ثانيةً، فنظرت أليس بقلق شديد إلى وجهه؛ لتفقد حاله. اكتشفت أليس أن أنفه كبير جدًا، ينحني إلى الأعلى بلا شك، لا يشبه الأنف البشرية على الإطلاق، أما عيناه فكانتا صغيرتين جدًا لا تناسبان طفلًا رضيعًا، لم يرق لأليس شكله في المجمل على الإطلاق.

فكرت أليس مرة أخرى: «ربما كان يبكي عندما نظرت إليه، وهذا البكاء هو ما تسبب في اتخاذه لهذا الشكل»، نظرت أليس مجددًا إلى عينيه؛ لترى إن كان بها دموع، لكنها لم تجد أي دموع، عند ذلك قالت أليس في صرامة تامة: «إن كنت ستتحول إلى خنزير، يا عزيزي، فما من شيء هناك أستطيع القيام به لأجلك، ولن يكون لي حينها أي شأن بك... انتبه إلى كلامي!».

أخذ المسكين الصغير يبكي وينتحب بشدة (أو ينخر، حيث كان من المستحيل تحديد أي الفعلين بالضبط قد قام به)، ثم مضى معًا، وقد ساد الصمت فيما بينهما.

أخذت أليس تفكر بينها وبين نفسها: «الآن، ما الذي سأفعله بهذا المخلوق، عندما أعود إلى بيتي مرة أخرى»، غير أنه عاد للنخير ثانيةً،

ما دفع أليس للنظر إلى وجهه في صرامة شديدة على سبيل التحذير، في هذه المرة لم يكن هناك أي مجال للشك، لقد كان خنزيرًا، لا يمكن أن يكون شيئًا آخر غير ذلك، حينها شعرت أليس أن من المريب جدًا الاستمرار في حمله وهددهته، لذلك أنزلت ذلك المخلوق عن يديها، وشعرت بارتياح شديد، عندما رآته يشق طريقه بعيدًا في هدوء تام إلى داخل الأيكة.

قالت أليس لنفسها: «إن كان طفلًا بحق، وقُدِّر له أن يكبر على هذا الشكل، لكان طفلًا قبيحًا بشكل منفر، لكنه في واقع الأمر خنزير جميل وظريف، كما أظن»، أخذت أليس تفكر في الأطفال الرضع الذين عرفتهم من قبل، كيف سيكون مصيرهم إن تحولوا جميعًا إلى خنازير، ثم قالت لنفسها: «فقط إن كان لأحدهم أن يعرف الطريقة التي تحولهم...» لكن سرعان ما أصابتها الدهشة، عندما رأت قط شيشاير يجلس مستلقيًا على غصن شجرة على بعد بضعة ياردات منها.

عندما رأى القط أليس، كان لا يزال محتفظًا بابتسامته العريضة، التي أكسبته الكثير من الألفة والجاذبية، على الرغم من أسنانه الكثيرة، ومخالبه الطويلة، لذلك رأت أن من الضروري معاملته بشيء من الاحترام.

بدأت أليس في الحديث معه لكن في شيء من الخجل، نادته: «قط شيشاير»؛ لم تكن تعرف إن كان يحب هذا الاسم أم لا! غير أنه على كل حال لم يقم بأي شيء سوى الابتسام بابتسامات عريضة.



فكرت أليس بينها وبين نفسها، بينما كانت في طريقها نحوه:
«حسنًا! يبدو راضيًا تمامًا»، ثم قالت له: «هل في إمكانك إخباري أي
الطرق يجب أن أسلك؛ كي أخرج من هنا؟».

رد القط: «هذا يعتمد على المكان الذي تودين الذهاب إليه».

قالت أليس: «لا يعني كثيرًا إلى أين سأذهب...».

رد عليها القط: «إذن لا يهم أي طريق تسلكين».

أضافت أليس مفسرةً ومستكملةً ما قالت: «... ما دمت سأصل إلى المكان في النهاية».

قال القط: «أوه، حتمًا ستصلين إلى مكان في الأحوال كلها، إن استمررت في المشي لمسافة طويلة بما يكفي».

شعرت أليس أنه لا يمكنها إنكار ما قاله القط ردًا على سؤالها، لذلك فكرت في أن تطرح عليه سؤالًا آخر:

«حسنًا ما نوع الناس الذين يعيشون هنا في الأنحاء؟».

قال القط مشيرًا بمخبله الأيمن: «في هذا الاتجاه، يعيش صانع القبعات، أما في ذلك الاتجاه..»، بينما يشير بمخبله الآخر، «.. فيعيش الأرنب الوحشي «مارس»، يمكنك زيارة مَنْ تفضلين، كلاهما مجنون».

عقبت أليس: «لكنني لا أفضل الذهاب إلى أناس مجانين».

قال القط: «لا.. لن تستطيعي فعل أي شيء حيال ذلك، كلنا هنا مجانين، أنا مجنون، وأنت أيضًا مجنونة».

قالت أليس: «فعلًا! كيف تعرف أنني مجنونة؟».

قال القط: «يجب أن تكوني، وإلا ما أتيت إلى هنا».

رأت أليس أن هذا لا يعد دليلاً على الإطلاق، لذلك أكملت حديثها: «حسنًا، كيف تعرف أنك مجنون؟».

قال القط: «بادئ ذي بدء، الكلاب ليست مجنونة، أتوافقين على ذلك؟».

ردت أليس: «نعم، أظن ذلك».

أكمل القط: «حسنًا! إذن تشاهدين الكلب يزمرجر، حينما يكون غاضبًا، ويحرك ذيله، عندما يكون سعيدًا، الآن أنا أزمجر عندما أكون سعيدًا، وأحرك ذيلي عندما أكون غاضبًا، وبالطبع هذا كافٍ لإثبات جنوني».

قالت أليس: «أنا أسميها خرخرة، وليست زمجرة».

قال القط: «أطلقني عليها ما تشائين من أسماء.. هل ستشاركين في مباراة الكروكيت مع الملكة اليوم؟».

قالت أليس: «كم سأحب ذلك كثيرًا، لكن لم تتم دعوتي بعد».

قال القط: «سترينني هناك»، ثم اختفى فجأة!

لم تندersh أليس كثيرًا جراء ذلك؛ فلقد اعتادت على رؤية كل ما هو غريب وعجيب في هذا المكان، بينما كانت لا تزال تنظر إلى المكان الذي كان مستلقيًا فيه، ظهر إذ فجأة مرة أخرى، وقال: «إلى اللقاء، لكن صحيح ما الذي حدث للطفل! نسيت أن أسأل».

أجابت أليس في هدوء شديد، كما لو كان من الطبيعي أن يظهر

القط بهذا الشكل المفاجئ وقالت: «لقد تحوّل إلى خنزير».

قال القط: «كنت أعلم ذلك»، ثم اختفى تمامًا مرة أخرى.

انتظرت أليس قليلاً؛ فهناك احتمالية لظهوره مرة أخرى، لكنه لم يظهر، بعد مرور دقيقة أو دقيقتين، شرعت أليس في سلوك الطريق المؤدي إلى المكان الذي يعيش فيه الأرنب الوحشي «مارس»، قائلةً لنفسها: «لقد رأيت صانعي قبعات من قبل، لكن رؤية الأرنب الوحشي «مارس» ستكون أكثر تشويقاً، ومن المحتمل بما أننا في شهر مايو ألا يكون مجنوناً، مثلما يكون في شهر مارس».

بينما كانت أليس تتحدث إلى نفسها، ألقت بنظرها نحو الأعلى، حيث كان القط جالساً على غصن الشجرة ثانيةً.

قال القط: «هل قلتِ «خنزير» أم «جنزير»؟».

أجابت أليس: «لقد قلت «خنزير»، وأتمنى ألا تواصل الظهور والاختفاء فجأة هكذا، إن ذلك يصيبني بالدوار!».

قال القط: «على الرحب والسعة» ثم شرع في الاختفاء تدريجياً هذه المرة، ابتداءً من طرف ذيله، وانتهاءً بابتسامته العريضة، التي ظلت باقية لبعض الوقت حتى اختفت بالكلية.

فكرت أليس: «حسنًا، لقد رأيت قطعاً قطعاً من دون ابتسامات عريضة، لكن أن أرى ابتسامة عريضة من دون أي قطط، إن هذا بالفعل هو أكثر الأشياء التي رأيتها طوال حياتي إثارةً للعجب!».



لم تكن أليس قد سارت لمسافة بعيدة، حين أصبح بيت الأرنب الوحشي «مارس» في مجال إبصارها، ظنت أن هذا البيت لابد أن يكون هو البيت بالفعل؛ حيث اتخذت مداخنه شكل أذنين، بالإضافة إلى سقفه الذي كان مكسواً بالفراء. لقد كان بيتاً ضخماً، لم تجرؤ أليس على الاقتراب منه، قبل أن تأكل قضمة من قطعة الفطر التي في يدها اليسرى، وبذلك ازداد طولها قدمين، ثم شرعت في التحرك نحو البيت في شيء من الخجل، تقول لنفسها: «جل ما أخشاه أن يكون مجنوناً بعد هذا كله! حتماً سأندم على عدم ذهابي لرؤية صانع القبعات!»



الفصل السابع

حفل الشاي المجنون



كان الأرنب الوحشي «مارس» وصانع القبعات يجلسان في ظل شجرة أمام البيت على مائدة منصوبة، يشربان الشاي، ويجلس بينهما قارض صغير يشبه السنجاب اسمه «الزغبة»، لكنه سرعان ما كان يغفو في النوم، استغل الاثنان الآخران ذلك، وجعلا من رأسه وسادة، يتكئان

عليها بمرفقيهما، ويتبادلان أطراف الحديث من فوقها.

فكرت أليس: «لا بد أن هذا الوضع غير مريح تمامًا بالنسبة لـ «الزغبة»، إلا أنني أظن أنه لا يكثر كثيرًا بالأمر؛ لأنه نائم».

كانت المائدة طويلة جدًا، لكن ثلاثتهم تكدسوا في ركن واحد فقط منها. صاحوا جميعًا بمجرد رؤية أليس: «ليست لدينا أماكن شاغرة! ليست لدينا أي أماكن!»، قالت أليس في سخط شديد: «لا.. إن لديكم الكثير من الأماكن!» ثم جلست على كرسي ضخم بمسندين في آخر المائدة.

قال الأرنب الوحشي مارس في حماس: «هل تشربين بعض النبيذ؟».

نظرت أليس حولها على طول المائدة؛ حيث لم يكن عليها سوى الشاي، لذلك عقت: «لا أرى أي نبيذ هنا!».

رد عليها الأرنب الوحشي مارس: «بالطبع! لأنه ليس لدينا أي نبيذ».

ردت عليه أليس في غضب: «إذن ليس من الذوق، أن تعرض تقديمه».

رد عليها الأرنب الوحشي مارس: «حسنًا! إذن وليس من الذوق أن تجلسي هنا من دون أن تتم دعوتك».

قالت أليس: «لم أكن أعرف أن المائدة تخصكم وحدكم فقط، لقد نُصبت لتكفي عددًا أكبر بكثير، لا مجرد ثلاثة أشخاص فقط».

كان صانع القبعات ينظر إلى أليس مليًا ولوقت طويل في فضول شديد، وكانت هذه هي أول كلماته التي تلفظ بها، حيث قال: «ينبغي أن يُقص شعرك».

قالت أليس في شيء من الصرامة: «يجب عليك أن تتعلم ألا تصدر أحكامًا على أمور شخصية، ما قمت به يفتقر حقًا إلى اللباقة». اتسعت عينا صانع القبعات جدًّا، عند سماعه لما قالته أليس، إلا أنه لم يتلفظ إلا بالعبارة التالية: «لماذا يفضل الغراب أن يمتلك مكتبًا؟».

فكرت أليس: «حسنًا، سنحظى بالمرح الآن! أنا سعيدة حقًا، لقد بدأوا في طرح الألغاز»، ثم أضافت بصوت مرتفع: «أحسب أنني أستطيع فك شفرة هذا اللغز».

قال الأرنب الوحشي مارس: «أتعنين أن في إمكانك معرفة إجابة هذا اللغز؟».

قالت أليس: «نعم بالطبع!».

أكمل الأرنب الوحشي مارس: «إذن يجب أن تقولي ما تعنيه». ردت أليس على الفور: «بالطبع سأقول... لأنني على الأقل على الأقل أعني ما أقول... وهذا يحمل نفس المعنى، كما تعرف».

قال صانع القبعات: «ليس نفس المعنى على الإطلاق.. هل يمكنك أن تقولي أن عبارة «أنا أرى ما آكله» تحمل نفس معنى عبارة «أنا أكل ما أراه»!».

ثم أضاف الأرنب الوحشي مارس: «وكذلك أيضًا! هل يمكنك أن تقولي أن عبارة «أنا أحب ما أحصل عليه» تحمل نفس المعنى الذي لعبارة «أنا أحصل على ما أحب»!«.

وأضاف الزغبة الذي بدا كأنما يتكلم أثناء نومه: «وكذلك أيضًا! هل يمكنك أن تقولي أن عبارة «أنا أتنفس عندما أنام» تحمل نفس المعنى الذي لعبارة «أنا أنام عندما أتنفس»!«.

قال صانع القبعات: «كل هذه الأمثلة مشابهة تمامًا لما تدّعين»، وهنا توقف الحديث، وساد الصمت بينهم لما يقرب من الدقيقة، بينما كانت أليس تفكر في كل ما يمكنها استرجاعه من معارف عن الغربان والمكاتب - وهي المعارف التي لم تكن بالشيء الكثير، كسر صانع القبعات حاجز الصمت حيث قال متوجها إلى أليس: «اليوم هو أي أيام الشهر؟»، كان قد أخرج ساعته من جيبه، واستمر ينظر إليها في انزعاج، ويهزها بين الحين والآخر، ويقربها من أذنه.

فكرت أليس قليلاً، ثم قالت: «اليوم هو رابع أيام الشهر».

تنهد صانع القبعات: «متأخرة يومين كاملين»، ثم أضاف في غضب، وهو ينظر إلى الأرنب الوحشي مارس «لقد قلت لك إن الزبد لا يصلح لها». رد الأرنب الوحشي مارس في خضوع: «لقد كان زبداً من أجود الأنواع!».

قال صانع القبعات متذمراً: «لا بد أن بعض فتات الخبز قد دخلت فيها، كان ينبغي عليك ألا تضع الزبد مستخدماً سكينه الخبز أبداً».

تناول الأرنب الوحشي مارس الساعة، وأخذ ينظر إليها في عبوس شديد، ثم غمسها في فنجان الشاي الخاص به، ثم انتشلها، ونظر إليها مجددًا، لكنه لم يجد عبارة أفضل من تلك التي قالها في أول الأمر: «لقد كان زبدًا من أجود الأنواع، كما تعرف».

في تلك الأثناء كانت أليس تنظر من فوق كتفيه في شيء من الفضول، قالت: «يا لها من ساعة مضحكة! تدلك على تاريخ اليوم، ولا تدلك على الساعة الآن!».

تمتم صانع القبعات: «لماذا يجب أن تفعل ذلك؟ هل تدلك ساعتك على العام الذي نحن فيه؟»

أجابت أليس بسهولة شديدة: «بالطبع لا، لكن هذا بسبب أن العام نفسه يبقى لفترة طويلة جدًا».

قال صانع القبعات: «حسنًا، نفس الأمر يحدث مع ساعتني بالضبط».

شعرت أليس بحيرة مربكة؛ حيث بدا لها أن ما قاله صانع القبعات بلا معنى على الإطلاق، رغم أنه يتحدث اللغة نفسها التي تتحدث بها. قالت أليس في أدب شديد: «أنا لا أفهمك مطلقًا».

«لقد نام الزغبة مرةً أخرى»، قال صانع القبعات ذلك، بينما كان يسكب الشاي الساخن في أنف الزغبة.

هز الزغبة رأسه في الحال وقال لكن دون أن يفتح عينيه: «بالطبع بالطبع، هذا ما كنت سأقوله بالضبط بنفسني».

قال صانع القبعات ملتفتاً إلى أليس مرة أخرى: «هل خمنت حل اللغز؟».

ردت أليس: «لا لقد استسلمت.. ما الإجابة إذن؟».

قال صانع القبعات: «ليست لديّ أدنى فكرة».

تبعه الأرنب الوحشي مارس: «ولا أنا أيضاً».

تنهدت أليس من شدة الضيق وقالت: «أتعلمان! أعتقد أنه يتوجب عليكم القيام بشيء نافع من أجل استغلال الوقت بشكل جيد، بدلاً من إضاعته في طرح ألغاز لا حل لها».

قال صانع القبعات: «إن كنت تعرفين إيقاع الوقت كما أعرفه تمامًا، ما كنت لتتحدثين عن إضاعته، إنه السبب وراء ذلك».

قالت أليس: «لا أفهم ما تعنيه!».

قال صانع القبعات محركاً رأسه في ازدراء: «بالطبع لا تعرفين، أراهن أنه لم يسبق لكِ التحدث مع إيقاع الوقت من قبل!».

ردت عليه في حذر: «أخشى فعلاً أنني لم أتحدث إليه من قبل، لكنني أعرف أن في إمكاني ضرب الإيقاعات كلها إذا تعلمت الموسيقى».

قال صانع القبعات: «آه! هذا إذن هو السبب، بالطبع هو لا يتحمل الضرب... الآن إن حافظتِ على علاقة جيدة بينكما، سيفعل بالطبع كل ما تودينه بخصوص الساعة، على سبيل المثال: نفترض أن الساعة

كانت التاسعة صباحًا، وهذا هو الوقت الذي تبدأين فيه دروسك، كل ما عليك هو أن تهتمي إلى الوقت فقط، ثم في لمح البصر، تدق الساعة، وإذ بها الواحدة والنصف، حان وقت الغداء!».

(قال الأرنب الوحشي مارس إلى نفسه بصوت هامس: «كم أتمنى لو كان الأمر على هذه الصورة»).

قالت أليس بينما كانت مستغرقة في التفكير: «سيكون ذلك عظيمًا بالتأكيد، لكنني لن أكون جائعة حين ذلك، كما تعرف».

قال صانع القبعات: «ليس في البداية، على ما أعتقد، لكن يمكنك إبقاء الساعة متوقفة على الواحدة والنصف أطول مدة تريدينها».



سألت أليس: «هل هذه هي طريقتك في إدارة الوقت؟».

هز صانع القبعات رأسه، وأجاب في حزن: «لا! لقد تشاجرنا في مارس الماضي، قبل أن يجن جنونه، كما تعرفين.. (مشيرًا بملعقة الشاي تجاه الأرنب الوحشي مارس).. لقد كان حفلًا كبيرًا أقامته ملكة القلوب، وكان يجب علي غناء:

تلاً.. تلاً.. تلاً أيها الخفاش وكن لامعًا

كم أتعجب من وصولك إلى هنا سالمًا!

ربما تعرفين تلك الأغنية؟

قالت أليس: «أعتقد أنه قد سبق لي سماع أغنية شبيهة بتلك».

أكمل صانع القبعات: «تأتي بقيتها على هذا النحو..

تطير فوق العالم محلقًا

مثل صينية شاي في السماء عاليًا

تلاً.. تلاً.. تلاً...

هنا هز الزغبة نفسه، وشرع في الغناء، بينما كان نائمًا: «تلاً..

تلاً.. تلاً.. تلاً...» واستمر يغني هكذا لمدة طويلة، حتى اضطروا

إلى قرصه؛ ليتوقف.

قال صانع القبعات: «حسنًا، ما إن انتهيت من غناء المقطع الأول، حتى صرخت الملكة: «إنه يقتل الوقت.. اقطعوا رأسه».

هتفت أليس: «يا لها من وحشية غير متناهية!».

أكمل صانع القبعات في نبرة حزينة: «ومنذ ذلك الحين، يرفض الوقت تنفيذ كل ما أطلبه منه! وأصبحت الساعة تشير إلى السادسة طوال الوقت في أي وقت».

أضاعت فكرة لامعة في ذهن أليس، وسألت: «هل هذا هو سبب وجود الكثير من فناجين الشاي والملاعق والأطباق هنا على المائدة؟». قال صانع القبعات مع تنهيدة عميقة: «نعم، هذا هو السبب... إنه دائمًا موعد الشاي، لدرجة أننا لا نملك الوقت؛ كي نغسل الأشياء بين مواعيد الشاي».

قالت أليس: «إذن! أفترض أنكم تغيرون أماكن جلوسكم وتنقلون بين الكراسي بين كل موعد وآخر؟».

قال صانع القبعات: «تمامًا، هكذا تسير الأمور بالضبط، ننقل كلما فرغنا من شرب ما بالفنجان أو كلما اتسخ».

غامرت أليس وسألت: «لكن ماذا يحدث عندما تعود إلى البداية من جديد؟».

قاطعها الأرنب الوحشي مارس متثائبًا: «دعونا نغير الموضوع، لقد سئمت وتعبت من الحديث عن ذلك الموضوع، أقترح أن تقص علينا هذه الشابة الصغير قصة قصيرة».

شعرت أليس بالارتباك حيال ما اقترحه الأرنب الوحشي مارس وقالت: «أخشى أنني لا أعرف أي قصة».

صاح الأرنب الوحشي وصانع القبعات معاً في نفس الوقت: «إذنْ يقص علينا الزغبة قصة.. استيقظ أيها الزغبة!»، ثم قرصاه معاً في ذات الوقت، كل واحد منهما من ناحيته.

فتح الزغبة عينيه في بطء شديد، وقال بصوت أجش ضعيف: «لم أكن نائماً، لقد سمعت كل كلمة ذكرتموها في حديثكم يا رفاق».

قال الأرنب الوحشي مارس: «قصّ علينا قصة!».

ثم ألحت أليس: «نعم من فضلك! قصّ علينا قصة!».

أضاف صانع القبعات: «نعم وكن سريعاً، قبل أن يغشاك النوم ثانيةً قبل أن تنتهيها».

بدأ الزغبة في عجالة، وقال: «في يوم من الأيام، كان هناك ثلاث أخوات صغيرات، كانت أسماؤهنَّ «إلسي ولاكي وتيلي»، كن يعشن في قاع بئر...».

قالت أليس التي كان طبعها الاهتمام بشكل كبير بطرح أسئلة حول الأكل والشرب: «ماذا كن يأكلن؟».

قال الزغبة بعد التفكير لدقيقة أو لدقيقتين: «كن يأكلن السكر».

عقبت أليس في لطف: «لا يمكنهن ذلك، كما تعرف... سيمرضن بالتأكيد».

قال الزغبة: «إذن هكذا كن، لقد كن مريضات جداً».

شردت أليس قليلاً، أخذت تتصور حياتهن غير المألوفة، وتتساءل كيف يعيشن حياة مثلها، لكن هذا التفكير أصابها بحيرة شديدة، لذلك قالت: «لكن لماذا كن يعيشن في قاع بئر؟».

قال الأرنب الوحشي مارس في جدية: «خذي المزيد من الشاي».

قالت أليس في استياء: «لم آخذ شيئاً من قبل، كي آخذ المزيد منه».

قال صانع القبعات: «وهذا يعني أيضاً أنه لا يمكنك أخذ أقل مما لديك؛ لأن تأخذي المزيد أفضل من ألا تأخذي شيئاً على الإطلاق».

قالت أليس: «لم يطلب رأيك أحد».

قال صانع القبعات منتصباً: «مَن الذي يصدر أحكاماً شخصية الآن؟».

لم تعرف أليس ما الذي يمكنها قوله في هذا الخصوص، لذلك قامت بنفسها بتناول بعض الشاي والخبز بالزبد، ثم التفتت مجدداً إلى الزغبة، وأعادت طرح سؤالها مرة ثانية: «لماذا كن يعيشن في قاع بئر؟».

استغرق الزغبة في التفكير مرة أخرى قرابة الدقيقة أو الدقيقتين، ثم قال: «لقد كان بئر سكر».

قالت أليس وقد بدت غاضبة للغاية: «لا وجود لشيء مثل هذا!».

بينما صاح صانع القبعات والأرنب الوحشي: «ششش... شششش! اصمتي!».

وقال الزغبة بصوت غلب عليه العبوس: «إن لم تقدرى على أن تكوني أكثر تحضرًا من ذلك، سيكون من الأفضل لو تقصين أنتِ نهاية القصة بنفسكِ».

قالت أليس في تواضع: «لا، من فضلك، أرجوك امض قدمًا.. لن أقاطعك مرةً أخرى، ربما كان هناك بثْرٌ واحدةً على هذه الشاكلة». قال الزغبة في سخط: «نعم، بثْرٌ واحدةً في الواقع!»، لكنه بالرغم من ذلك قبل اعتذارها، وأكمل الحكى: «وهكذا سارت حياة الأخوات الصغيرات الثلاثة، كن يتعلمن الاستخراج..أتعلمون ذلك!».

قالت أليس ناسية تمامًا ما وعدت به: «ماذا كن يستخرجن؟».

قال الزغبة دون تفكير نهائيًا هذه المرة: «السكر».

قاطعته صانع القبعات قائلاً: «أريد فنجانًا نظيفًا، دعونا ننتقل بمقدار كرسيٍّ واحدٍ».

تحرك صانع القبعات بينما كان يتحدث، ثم تبعه الزغبة، في حين أصبح الأرنب الوحشي مارس في مكان الزغبة، وبالطبع انتقلت أليس رغمًا عنها إلى مقعد الأرنب الوحشي مارس. هكذا كان صانع القبعات هو الوحيد الذي استفاد من الانتقال، أما أليس فقد تغير وضعها إلى وضع أسوأ من ذي قبل؛ حيث كان الأرنب الوحشي مارس قد أسقط إبريق الحليب في طبقه.

لم ترد أليس مضايقة الزغبة مرةً أخرى، لذلك تحدثت في حذر شديد: «لكنني لا أفهم! من أين كن يستخرجن السكر؟».

قال صانع القبعات: «يمكنك استخراج الماء من بئر الماء، إذن يمكنك استخراج السكر من بئر السكر... هيه أيتها البلهاء؟».

وجهت أليس حديثها إلى الزغبة، غير مكترثة بالتعقيب الأخير: «لكنهن كن في البئر».

قال الزغبة: «بالطبع كن في البئر.. في عمق البئر».

شتتت هذه الإجابة أليس المسكينة تمامًا، لكنها تركت الزغبة يكمل الحكى دون أن تقاطعه لبعض الوقت.

كان الزغبة يتثائب، ويفرك عينيه، فقد أصبح يشعر بالنعاس بشدة، لكنه استطرد في الحديث قائلاً: «لقد كن يتعلمن الرسم أيضًا، يرسمن أشياء مختلفة، يرسمن الأشياء التي تبدأ بحرف الـ «ميم»».

قالت أليس: «لماذا حرف الـ «ميم»؟».

قال صانع القبعات: «ولماذا لا؟».

غير أن أليس التزمت الصمت تمامًا.

في تلك الأثناء، أغلق الزغبة عينيه، وشرع في النوم، لكن بسبب قرصة من صانع القبعات، انتفض من نومه، صارخًا إلا أنها قد كانت صرخة خافتة، ومن ثم أكمل الحكى: «... الأشياء التي تبدأ بحرف الـ «ميم» مثل مصيدة فئران، محاق (طور من أطوار القمر)، مذكرة، منتقاة.. هل تعلمين أنك عندما تقولين إن «تلك الأشياء (منتقاة) أي أنها عالية الجودة والدرجة... هل رأيت أحدًا من قبل يرسم «منتقاة»!».

قالت أليس وهي في حيرة تامة: «فعلًا! الآن أنت تسألني.. لكنني لا أعتقد أنني قد رأيت ذلك من قبل!».

قال صانع القبعات: «فلتصمتي إذن!».

لم تستطع أليس تحمل هذا القدر الكبير من التهكم، وعدم اللباقة، لذلك وقفت في اشمئزاز، وهمت بالرحيل عنهم، في تلك الأثناء أصبح الزغبة يغط في النوم، فلم يلتفت أي منهم إلى رحيل أليس عنهم، رغم أنها التفتت مرة أو اثنتين؛ آملة في أن ينادوا عليها؛ لتعود مجددًا، غير أنها رأتهم في آخر مرة وهما يحاولان غمر الزغبة في إبريق الشاي.



قالت أليس بينما كانت تتخذ طريقها صوب الأيكة: «على كل حال، لن أعود إلى هناك مرةً أخرى، لقد كانت أكثر حفلات الشاي التي رأيتهـا في حياتي غباءً!».

في نفس الوقت الذي قالت فيه أليس ذلك، لاحظت أن في إحدى الأشجار بابًا يؤدي إلى داخلها. فكرت أليس: «حتماً هذا أمر عجيب مثير للفضول! لكن كل الأشياء اليوم عجيبة مثيرة للفضول، أعتقد أنني سأدخل من ذلك الباب»، ثم دلفت إلى الداخل بالفعل.

وجدت أليس نفسها في القاعة الواسعة ثانيةً، على مقربة من الطاولة الزجاجية الصغيرة تمامًا، قالت لنفسها «الآن سأصرف على نحو جيد بالتأكيد» ثم شرعت في تناول المفتاح الذهبي الصغير، لفتح الباب الذي يؤدي إلى الحديقة. ثم أخذت قزمة من الفطر (كانت تحتفظ ببعض منه في جيبيها)، وانتظرت إلى أن أصبح طولها قدمًا واحدًا، ثم سارت في ذلك الممر الصغير، إلى أن وجدت نفسها في النهاية قد وصلت إلى الحديقة الخلابة، بين أحواض الزهور الزاهية، والنافورات المنعشة.



الفصل الثامن

ملعب الكروكيت الملكي

بالقرب من مدخل الحديقة كانت هناك شجرة ورد كبيرة، على أغصانها ترعرع ورد أبيض، وكان هناك ثلاثة بستانيون كذلك منهمكون جدًا في طلاء الورد باللون الأحمر. رأت أليس أن ما يقومون به يعد أمرًا عجيبيًا ومثيرًا للفضول بالطبع، لذلك اقتربت منهم لتتفقدتهم عن كثب، بمجرد أن وصلت إليهم، سمعت أحدهم يقول: «كن متبها! يا رقم خمسة! لا ترشني بالطلاء هكذا!».

رد عليه رقم خمسة في تذمر: «لم أتعمد ذلك! إن رقم سبعة هو من دفع مرفقي».

نظر رقم سبعة إلى رقم خمسة: «حقًا! يا رقم خمسة! كل ما تفعله هو إلقاء اللوم على الآخرين فقط!».

قال رقم خمسة: «يجدر بك ألا تتكلم؛ لقد سمعت الملكة بالأمس تقول أنك تستحق قطع الرأس».



قال مَن بدأ هذا الحوار: «لماذا؟».

قال رقم سبعة: «ليس هذا من شأنك، يا رقم اثنين!».

قال رقم خمسة: «لا! هذا من شأنه، كما أنني سأخبره بالسبب،

هذا بسبب جلبه لـ «جذور الخزامي» بدلاً من البصل».

ألقي رقم سبعة بفرشاة الطلاء من يده، وقال: «حسنًا! يعود كل ذلك لأحكام ظالمة...»، لم يكذب ينتهي من جملته، حتى وقعت عيناه على أليس، التي كانت واقفة، تختلس النظر إليهم، جمد مكانه إذ فجأة، بينما انحنى الآخرون من حوله لها.

قالت أليس في خجل: «هل يمكنكم إخباري لماذا تطلون هذا الورد؟».

لم يقل رقم خمسة أو رقم سبعة شيئًا، بل نظرًا إلى رقم اثنين، فبدأ رقم اثنين في الحديث، لكن بصوت خافت جدًا حيث قال: «لماذا! في الحقيقة، كما ترين يا آنسة، كان يجب أن يكون ورد شجرة الورد هذه، أحمر اللون، وقد غرسنا شجرة ورد أبيض بدلاً منها بالخطأ، وإن اكتشفت الملكة ذلك الأمر، حتمًا ستقطع رؤوسنا جميعًا، كما تعرفين، لذلك كما ترين يا آنسة، نبذل قصارى جهدنا كي ننتهي قبل أن تأتي إلى...»، في هذه اللحظة أخذ رقم خمسة ينظر عبر الحديقة في توتر وقلق تام، ثم صاح فجأة: «الملكة! إنها الملكة!» بمجرد أن نطق بذلك جثا الثلاثة بستانيون على وجوههم فورًا، تصاعدت أصوات وقع أقدام كثيرة، التفتت أليس في شغف؛ كي ترى الملكة.

في أول الأمر، جاء عشرة جنود، يتخذون هيئة ورق اللعب «السباتي»، يشبهون البستانيين الثلاثة، مستطيلين ومسطحين، ولهم أيدي وأقدام تخرج من زواياهم الأربعة، جاء من بعدهم عشرة أفراد

من الحاشية الملكية، لكنهم كانوا مرصعين بالألماس البراق من قمة رؤوسهم وحتى أخمص أقدامهم، يسرون في نظام، اثنان من خلف اثنين، كما فعل الجنود تمامًا، يتبعهم أطفال العائلة الملكية، جاء منهم عشرة أفراد فقط، كان هؤلاء الأعزاء يتقافزون في فرح، يسرون يدًا بيد، في أزواج، مزينين جميعًا بالقلوب، ثم من بعدهم جاء الضيوف، أو بالأحرى الملوك والملكات، لمحت أليس الأرنب الأبيض بينهم، كان يتحدث في سرعة بطريقة يملؤها التوتر، يتسم لكل ما يقال، إلا أنه مرّ دون أن يلاحظ وجود أليس، ثم تبعهم ولد القلوب (في ورق اللعب «الكوتشينة»)، يحمل تاج الملك على وسادة مخملية ناعمة قرمزية، وأخيرًا في نهاية هذا الموكب الحافل، جاء ملك القلوب ومملكة القلوب.

ساورت أليس الشكوك، حول ما إذا كان لزامًا عليها أن تجثو على وجهها، مثلما فعل البستانيون الثلاثة أم لا، غير أنها لم تستطع تذكر ما إذا كانت قد سمعت بمثل هذه القاعدة من قبل فيما يتعلق المواكب الملكية، فكرت «إلى جانب ذلك، ما الفائدة من المواكب الملكية، لو جثا الجميع على وجوههم، ولم يشاهدوه؟»، لذلك بقت أليس واقفة مكانها، وانتظرت.

عندما بلغ الموكب أليس تمامًا، توقفوا جميعًا ونظروا إليها، ثم قالت الملكة: «من هذه؟» موجهة سؤالها إلى ولد القلوب، الذي لم يرد إلا بالانحناء والابتسام فقط.

قالت الملكة هازة رأسها وقد نفذ صبرها: «أبله!»، التفتت الملكة إلى أليس، وقالت: «ما اسمك، أيتها الطفلة؟».

أجابت أليس في أدب جم: «اسمي أليس، يا جلالة الملكة...»، ثم فكرت بينها وبين نفسها «إنهم مجرد مجموعة من أوراق اللعب، لا يجب أن أخاف منها!»، قالت الملكة مشيرة إلى البستانين الذين يستلقون حول شجرة الورد: «ومن هؤلاء؟»، كان ثلاثتهم جاثين على وجوههم، وكما تبين لك كان النمط المنقوش على ظهورهم هو نفسه المنقوش على باقي أفراد مجموعة أوراق اللعب، لذلك لم تستطع الملكة التعرف عليهم، ومعرفة ما إذا كانوا بستانين أم جنودًا أم من الحاشية أم ثلاثة من أبنائها.

قالت أليس التي فاجأتها شجاعتها: «كيف لي أن أعرف؟ ليس هذا من شأني!».

تبدل لون الملكة وأصبح قرمزيًا من شدة الغضب، وبعد أن نظرت إلى أليس نظرة مطولة، نظرة تشبه تلك التي لوحش مفترس، صرخت في صرامة: «اقطعوا رأسها.. اقطعوا رأسها».

قالت أليس بصوت مرتفع وفي حزم شديد: «كلام فارغ!» ما جعل الملكة تلزم الصمت.

أمسك الملك ذراع الملكة بيده، ثم قال على استحياء: «عزيزتي! إنها مجرد طفلة!».



أبعدت الملكة نفسها عنه في غضب عارم، وقالت لولد القلوب:
«أدرهم على وجوههم فوراً!».

فعل الولد ما أمر به، حيث نكزهم بقدم واحدة في حذر شديد.
صاحت الملكة صارخة في صخب: «انهضوا في الحال!» هبوا
من رقادهم على الفور بالطبع، وانحنوا للملكة وللملك ولأطفال

العائلة الملكية جميعهم ولكل شخص آخر.

صاحت الملكة: «كفوا عما تقومون به، أفعالكم تصيبني بالدوار»، ثم التفت نحو شجرة الورد واستكملت حديثها: «ما الذي كنتم تفعلونه هنا؟».

جثا رقم اثنين على ركبة واحدة بينما كان يتحدث في خضوع تام: «اعذرينا يا جلالة الملكة.. لقد كنا نحاول أن...».

قالت الملكة بينما كانت تتفقد الورد: «نعم، أفهم الآن»، ثم صاحت «اقطعوا رؤوسهم!».

واصل الموكب تحركه، في حين انتظر ثلاثة جنود كي ينفذوا أمر الملكة بقطع رؤوس البستانيين البؤساء، الذين هرولوا بدورهم نحو أليس يسألونها الحماية.

قالت أليس بينما كانت تضعهم في إناء زهور كان بالقرب منها: «لن تُقطع رؤوسكم»، ظل الثلاثة جنود يطوفون لدقيقة أو لدقيقتين، باحثين عنهم، ثم ساروا بكل هدوء كي يصطفوا خلف الآخرين.

صاحت الملكة: «هل قُطعت رؤوسهم؟».

صاح الجنود في الحال ردًا عليها: «نعم لقد قُطعت رؤوسهم، إن كان هذا يرضيك يا جلالة الملكة».

صاحت الملكة: «نعم بالطبع!... والآن هل يمكنك لعب الكروكيت؟».

لم يرد الجنود، إلا أنهم أخذوا ينظرون إلى أليس، حيث اتضح في النهاية أن السؤال موجَّهاً لها.

صاحت أليس: «نعم، يمكنني!».

قالت الملكة في صخب: «إذن هيا بنا!»، انضمت أليس إلى الموكب، متسائلة في فضول شديد ما الذي سيحدث بعد ذلك!

همس صوت انبعث إلى جانب أليس في خجل: «إن.. إن طقس اليوم جميل جدًّا!»، إنه الأرنب الأبيض، هو مَنْ كان يسير بجانبها، كان ينظر إلى وجهها مختلسًا نظرات قلقة.

قالت أليس: «نعم، جدًّا... أين الدوقة؟».

همس الأرنب الأبيض في عجالة: «هووش.. هووش اصمتي!»، نظر حوله في قلق وارتباب بينما كان يتحدث، ثم وقف على أصابع قدمه، أدنى فمه من أذنها، وهمس: «حُكم عليها بقطع الرأس».

قالت أليس: «لماذا؟».

سأل الأرنب: «هل قلت: يا للأسف؟».

أجابت أليس: «لا! لم أقل.. لا أظن أن الأمر مؤسفًا البتة، لقد قلت «لماذا؟»».

قال الأرنب: «لقد صفعت الملكة على أذنها»، ضحكت أليس ضحكات عالية، ما جعل الأرنب يهمس لها وهو يرتعد خوفًا: «أوه.. هووش! اصمتي! ستسمعك الملكة! أتعرفين لقد جاءت متأخرة، وقد قالت الملكة...».

صاحت الملكة بصوت كأنه الرعد: «هيا، خذوا أماكنكم!»، حينها بدأ الجميع يهرولون في عجالة في كل الاتجاهات، إلى الحد الذي جعلهم يصطدمون ببعضهم البعض، إلا أنهم اتخذوا جميعاً أماكنهم بعد دقيقة أو دقيقتين، وبدأت المباراة.

اعتقدت أليس أنها لم ترَ ملعباً غريباً ومثيراً للدهشة مثل هذا الملعب طوال حياتها، كان مليئاً بالحفر والنتوءات، إلى جانب أن كرات الكروكيت كانت عبارة عن قناذل حية، والمضارب كانت طيور الفلامنجو، أما عن الجنود فقد اضطروا إلى مضاعفة أطوالهم، والانحناء متكئين على أيديهم وأرجلهم، ليشكلوا الأقواس.

تمثلت الصعوبة الرئيسة التي واجهت أليس في تلك اللعبة فيا لتحكم في طائر الفلامنجو، لكنها بشكل عام نجحت في طي جسمه وفي جعل رجليه متدليتين ناحية الأسفل، وفي توجيه رقبته في لطف باستقامة نحو الخارج، هذا كله جيد جداً، لكنها حينما أوشكت على ضرب القنفذ برأس الفلامنجو، أدار طائر الفلامنجو نفسه، وأخذ ينظر إلى وجهها والحيرة بادية عليه، حينها انفجرت أليس ضاحكة، بسبب تعبيرات وجهه العجيبة والمثيرة للدهشة، ما إن أعادت توجيه رأسه ناحية الأسفل مرةً أخرى، حتى كرر ما فعله أول مرة، أما القنفذ فقد بسط جسمه في استفزاز، حيث لم يعد ملتفّاً حول نفسه كالكرة، كما تحرك مبتعداً. لم يقتصر الأمر على ذلك فحسب، بل دائماً ما توجد حفرةٌ أو أخدودٌ في الاتجاه الذي يجب على أليس أن ترمي بالقنفذ نحوه، بالإضافة إلى ما كان يفعله الجنود المنحنون، إذ كانوا يسيرون

في الملعب وقتما شاءوا، ما دفع أليس في النهاية إلى الاعتراف بأن
هذه اللعبة في الواقع هي أكثر الألعاب صعوبة.



جميع اللاعبين يلعبون في وقت واحد، دون أن ينتظروا أدوارهم، يتشاجرون طوال الوقت، ويتعاركون من أجل القنافذ، بسبب ذلك نفذ صبر الملكة خلال فترة قصيرة، وأصبحت ثائرة تمامًا، تتميز غضبًا، ما دفعها إلى وضع نهاية لهذا كله، بصياحها عاليًا بين الفينة والأخرى: «اقطعوا رأسه.. اقطعوا رأسها».

بدأت أليس تشعر بعدم الارتياح، رغم أنها لم تتشاجر بعد مع الملكة، إلا أن شعورًا بدأ يتسرب إليها بأن هذا لا بد أن يحدث في أي دقيقة، لذلك فكرت: «وماذا بعد؟ ما الذي سيحدث لي؟ إنهم مولعون بقطع رؤوس الناس هنا، لدرجة أنه من العجيب أن يبقى أحدهم على قيد الحياة!».

أخذت أليس تبحث عن طريقة للهرب، متسائلة كيف لها أن تفعل ذلك دون أن تلفت نظر أحد هناك، غير أنها إذ فجأة لاحظت ظهور شيء ما في الهواء، جعلها في حيرة تامة من أمرها في البداية، لكنها بعد التدقيق فيه لما يقرب من الدقيقة أو الدقيقتين، تبينت ماهيته، ابتسمت ابتسامة عريضة، وقالت لنفسها: «إنه قط شيشاير، الآن قد وجدت أحدًا، بإمكانني الحديث معه».

قال القط بمجرد أن ظهر ما يكفي من فمه للحديث: «كيف حالكِ؟».

انتظرت أليس إلى أن ظهرت عيناه، ثم هزت رأسها مفكرة: «لا جدوى من الحديث إلى أن تظهر أذناه أيضًا، أو على الأقل أذن واحدة منهما»، لكن رأسه بالكامل ظهرت بعد قليل، وضعت أليس طائر

الفلامنغو من يدها، وبدأت في سرد ما حدث في المباراة في سرور تام، لأنها عثرت على مَنْ يسمع لها. يبدو أن القط فكر في أنما يظهر منه الآن كافٍ، ولا حاجة لديه لإظهار البقية.

شرعت أليس في الحديث قائلة بنبرة شاكية «لا أعتقد أبدًا أنهم يلعبون بشكل عادل، إلى جانب أنهم يتشاجرون مع بعضهم البعض على نحو مفزع، لدرجة أنه ليس في إمكان الواحد منا سماع نفسه وهو يتحدث... علاوة على ذلك، لا يبدو أن هناك قواعد معينة تحكم اللعبة، على الأقل تسري القواعد عليهم إن كانت لتوجد على الإطلاق، لكنها ليست لمن ينضمون إليهم... لا يمكنك أن تتخيل كيف هو الأمر عجيب ومحير، كل الأشياء حية، على سبيل المثال: هناك قوس يجب أن تمرر الكرة عبره، لقد كان يسير نحو نهاية الملعب... حسنًا، منذ وقت ليس ببعيد كنت على وشك أن أهاجم قنفذ الملكة، إلا أنه هرب عندما رأي قنفذي متجهًا نحوه».

همس القط بصوت لا يكاد يسمع: «إلى أي مدى تحبين الملكة؟». قالت أليس: «لا أحبها على الإطلاق! إنها غاية في...»، لكنها سرعان ما انتبهت إلى أن الملكة تقف خلفها على مقربة منها، تستمع لما تقوله، لذلك أكملت قائلة «إنها في غاية الحماس، تستحق الفوز عن جدارة في التو والحال، لدرجة أنه سيكون من غير المجدي الانتظار حتى نهاية المباراة».

ابتسمت الملكة، ثم مضت في طريقها.

جاء الملك إلى أليس، ينظر في فضول شديد إلى رأس القط،
ويسأل: «مَن الذي يتحدثين إليه؟».

قالت أليس: «إنه صديقي.. قط شيشاير.. اسمح لي أن أقدمه لك».

قال الملك: «لا! أنا لا أحب مظهره كله.. لكن على أي حال،
يمكنه تقبيل يدي، إن أراد».

عقب القط قائلاً: «لا أريد ذلك بتاتا!».

قال الملك بينما كان يقف خلف أليس وهو يتحدث: «لا تكن
وقحًا! ولا تنظر إليَّ هكذا!».

قالت أليس: «قط ينظر إلى الملك.. لقد قرأت هذه الجملة في
كتاب، لكنني لا أذكر أي كتاب!».

قال الملك في صرامة: «حسنًا، هذا القط يجب أن يُبعد عن هنا»،
ثم نادى الملكة، التي كانت تمر في اللحظة نفسها إلى جانبه، وقال:
«عزيزتي! أود أن يُبعد هذا القط عن هنا!».

بالطبع كانت لدى الملكة طريقة واحدة لحل جميع الأزمات،
ولتسوية جميع الأمور، سواء قل شأنها أو عظم، صاحت من دون أن
تنظر حتى حولها: «اقطعوا رأسه!».

قال الملك في غير صبر: «سأحضر السيف بنفسِي»، ثم ذهب
مسرّعًا.

ظنت أليس أن من الأفضل لها أن تعود لمتابعة ما يحدث في

المباراة، لكنها سمعت الملكة تصرخ من بعد. سمعت أليس أنهم سيقطعون رؤوس ثلاثة لاعبين تغيبوا عن أدوارهم في اللعب، لقد سئمت ما يحدث كله؛ فالمباراة عبارة عن حالة من هرج ومرج أصابتها بحيرة شديدة؛ فلم تعد تعرف أبدًا إن كان قد حان دورها أم لا.

من هذا المنطلق ذهبت أليس؛ لتبحث عن قنفذها.

وجدت القنفذ مشتبكًا في عراك مع قنفذ آخر، أدركت أليس أن الفرصة سانحة لها؛ كي تضرب أحدهما بالآخر، غير أن الصعوبة الوحيدة التي قابلتها تمثلت في طائر الفلامنجو حيث كان قد رحل بعيدًا إلى الجانب الآخر من الحديقة، رآته أليس هناك يذلل قصارى جهده في محاولات يائسة من أجل الطيران إلى إحدى الأشجار.

بمرور الوقت، استطاعت أليس التقاط واستعادة طائر الفلامنجو، غير أن العراك الدائر بين القنفذين كان قد انتهى، كما اختفى القنفذان عن الأنظار، فكرت أليس: «هذا لا يهم كثيرًا؛ فقد تحركت كل الأقواس إلى ذلك الجانب من الحديقة» لذلك تأبطت أليس طائر الفلامنجو الخاص بها ووضعت أسفل ذراعها وأمسكته بإحكام، حتى لا يهرب مرة أخرى، وعادت لتحظى بالمزيد من الحديث مع صديقها.

عندما عادت إلى قط شيشاير، فاجأها تمامًا احتشاد جمع كبير من حوله، وهناك شبه خلاف دائر بين السياف والملك والملكة، يتكلم ثلاثتهم في نفس الوقت، بينما بقية المحتشدين صامتون، تبدو عليهم إمارات القلق والتوتر.



في اللحظة التي ظهرت فيها أليس قرروا الاحتكام إليها، عرضوا عليها المسائل الثلاث المطروحة بالكامل، وأخبروها بأمر الخلاف الدائر فيما بينهم، إلا أنهم جميعا كانوا يتكلمون في الوقت نفسه، لذلك كان من الصعب عليها تحديد ما يقولونه بالضبط.

تمثلت حجة السياف في أنه من غير الممكن قطع رأس لا جسد لها؛ حيث إنه من اللازم فصلها عن الجسد، فهو لم يسبق له أن قطع رأساً كهذه بلا جسد من قبل، وليس لديه الاستعداد لأن يشرع في فعل كهذا في الوقت الحالي.

أما حجة الملك فتمثلت في أن أي شيء له رأس، من الممكن قطع رأسه، وأي حديث آخر غير ذلك يعتبر من الترهات.

وتمثلت حجة الملكة في أنه إن لم يُنفذ ما أمرت به كله في الحال، من دون أي تأخير فسوف تحكم على جميع من حولها بقطع رؤوسهم (هذا ما جعل علامات القلق والتوتر بادية على كل الوجوه).

لم تستطع أليس التفكير في شيء، إلا أنها قالت: «إنه ملك للدوقة، يجب أن تقولي لها قبل القيام بأي شيء».

قال الملك للسياف: «إنها في السجن، اذهب إليها هناك فوراً»، انطلق السياف سريعاً كما السهم.

بدأ رأس القط في الاختفاء والتلاشي، كان قد اختفى تماماً بين اللحظة التي انطلق فيها السياف، واللحظة التي عاد فيها مع الدوقة، طفق الملك والسياف ينظران فيما حولهما، هنا وهناك، بالأعلى وبالأسفل، باحثين عنه، بينما عاد البقية لاستكمال اللعب.



الفصل التاسع

حكاية السلحفاة الزائفة

«لا يمكنك أن تتخيلي، كم أنا سعيدة حقًا؛ لرؤيتك ثانيةً، أيتها الطفلة الصغيرة العزيزة!»، هذا ما قالته الدوقة حين رأت أليس، كانت قد وضعت ذراعها على كتف أليس في مودة ولطف، ومن ثم سارتا معًا.

كانت أليس سعيدة فعلاً؛ عندما وجدتها في مزاج لطيف هادئ، ذهبت إلى أنه الفلفل ربما هو ما كان يجعلها فظة ومتوحشة، عندما تقابلتا في المطبخ.

قالت لنفسها (في غير تفاؤل، في الحقيقة) «عندما أصبح دوقة، لن أجلب الفلفل إلى مطبخي أبداً، سيكون الحساء طيب المذاق من دونه... ربما تتسبب حرارة الفلفل في جعل الجميع في مزاج عصبي»، ثم أكملت وقد أصبحت في غاية السعادة؛ لأنها توصلت إلى قاعدة من نوع جديد «وبنفس المنطق فإن الخل هو ما يجعل كلامهم لاذعاً، والبابونج المر هو ما يتسبب في مرار العيش، أما سكر النبات وباقي

الحلويات فهي التي تتسبب في جعل مزاج الأطفال حلواً، أتمنى
أن يدرك كل الناس هذا، حينها لن ييخلوا على أنفسهم بها، كما
تعرفون...».



مر الوقت، ونسيت أليس وجود الدوقة تمامًا لاستغراقها في مناجاة نفسها، لذلك فزعت لسماعها صوتًا يهمس بالقرب من أذنها: «حتمًا تفكرين في شيء ما، يا عزيزتي! وهو ما يجعلك تنسين الحديث، لا يمكنني أن أخبرك بمغزاه الآن، لكن من الممكن أن أتذكره بعد قليل». غامرت أليس بالتعقيب: «ربما لم يكن له أي مغزى على الإطلاق!». قالت الدوقة: «توء، توء! أيتها الطفلة العزيزة... كل شيء له مغزى بالطبع، فقط إن أمكنك اكتشافه»، بينما كانت تتحدث اقتربت الدوقة كثيرًا من أليس.

لم يرق لأليس اقتراب الدوقة الشديد منها على هذا النحو، أولاً: لأن الدوقة كانت قبيحة الوجه، وثانيًا: لأن طولها مكنها من أن تتركن بذقنها على كتف أليس تمامًا، كما كانت ذقنها حادة غير مريحة أبدًا، غير أن أليس لم ترغب في أن تتصرف بفظاظة على أي حال، لذلك أبت على تحملها لذقنها بقدر ما استطاعت.

قالت أليس بأقل قدر يمكن أن يبقى على الحوار فيما بينهما قائمًا فقط: «تواصل المباراة على نحو جيد الآن».

قالت الدوقة: «نعم على نحو جيد تمامًا، والمغزى من ذلك.. أوه! هو الحب، الحب ما يجعل العالم يسير ويستمر».

همست أليس: «قال أحدهم من قبل إن هذا يحدث إن انتبه كل شخص إلى عمله الخاص!».

قالت الدوقة غارزة ذقنها الحاد الصغير في كتف أليس: «آه،

بالتأكيد، إن هذا يعني إلى حد كبير الشيء نفسه، والمغزى من ذلك... هو أن تهتم بالمعنى، أما الكلمات فتهتم بمعناها بنفسها».

فكرت أليس بينها وبين نفسها: «كم هي مهووسة بإيجاد مغزى لكل شيء!». .

قالت الدوقة بعد برهة من التوقف عن الحديث: «أجروا على ادعاء أنك تتساءلين بينك وبين نفسك، لماذا لا أطوق ذراعي حول خصركِ.. السبب هو أنني أخشى رد فعل طائر الفلامنجو، لكن من الممكن أن أجرب؟».

لم تشعر أليس بأي قلق على الإطلاق حيال ما تريد الدوقة تجربته، لكنها قالت في حرص: «من الممكن أن يعضك!».

قالت الدوقة: «هذا صحيح تمامًا، الفلامنجو والخردل كلاهما بعضان... والمغزى من هذا، هو أن الطيور على أشكالها تقع».

عقبت أليس قائلة: «لكن الخردل ليس طائرًا».

قالت الدوقة: «هذا صحيح، كالعادة... يا لها من طريقة واعية، تلك التي تصنفين بها الأشياء!».

قالت أليس: «إنها المشروبات الغازية، على ما أعتقد».

قالت الدوقة التي بدت على أهبة الاستعداد كي توافق أليس على كل ما تقوله: «نعم بالطبع، هي السبب... بالحديث عن الخردل، يوجد بالقرب من هنا منجم خردل، لونه خردلي، والمغزى من هذا أن الكثير من الخردل سيكون لي، والقليل سيكون لك».

قالت أليس رغم أنها لم تكن منتبهة إلى آخر ما قالته الدوقة: «أوه! أعرف أعرف... هذا نوع من الخضر، إلا أنه لا يشبه الخضر، لكنه خضر».

قالت الدوقة: «أوافقك الرأي تمامًا، والمغزى من هذا هو أن كُنْ شبيهًا لما تريد أن تكون شبيهًا له، أو كي نقولها بصورة أبسط، لا تتصور نفسك أبدًا في صورة هي على العكس مما يجب أن تظهره للناس، إن كان ما أنت عليه ليس على عكس ما أظهرته لهم أو ما كان يجب عليك أن تظهره لهم لتكون على عكس ذلك».

قالت أليس في أدب: «أعتقد أنني لو كتبت هذا، سأفهمه جيدًا، لكنني لم أستطع متابعتك وكتابته عندما كنت تقولينه».

ردت الدوقة في حبور: «هذا شيء لا يُذكر بالنسبة لما أستطيع قوله، إن أردت».

قالت أليس: «لا.. من فضلك! لا تقحمي نفسك في قول شيء أطول من هذا»

قالت الدوقة: «لا تتحدثني عن الإقحام، سأقدم لك هدية تحوي كل شيء قلته حتى الآن».

فكرت أليس بينها وبين نفسها: «يا له من نوع رخيص من الهدايا!»، ثم أكملت لكن من دون أن تغامر بقول ذلك بصوت مسموع «أنا سعيدة؛ لأن الناس لا يقدمون هدايا أعياد الميلاد من مثل هذا النوع الرخيص من الهدايا!».

سألت الدوقة، غارزة ذقنها الحاد الصغير أكثر: «أتفكرين ثانية؟»
قالت أليس في حدة، حيث بدأ يساورها القلق: «التفكير حق مشروع لي».

قالت الدوقة: «بالطبع حقك مكفول، مثلما هو حق الخنازير في الطيران مكفول، والم...».

هنا، تعجبت أليس كثيرًا، حيث خفت صوت الدوقة، بينما هي في منتصف كلمتها المفضلة «المغزى»، كما أخذ الذراع الذي كانت تضعه على كتفها في الارتجاف، نظرت أليس إلى الأعلى، فوجدت الملكة واقفة أمامها مباشرة، معقودة الذراعين، عابسة وحانقة وتتميز من شدة الغضب لدرجة جعلتها أشبه بعاصفة الرعدية.

بدأت الدوقة الحديث: «يومك سعيد! يا جلالة الملكة» جاء صوتها خافتًا ضعيفًا.

صاحت الملكة في وجهها، بينما تضرب الأرض برجليها: «الآن، هذا تحذير منصف بما يكفي، إما أن ترحلي فورًا، وإما أن أقطع رأسك في غمضة عين! اختاري!».

اختارت الدوقة، وإذ بها تفر هاربة في لمح البصر.

قالت الملكة لأليس: «هيا بنا لنستكمل اللعب». كانت أليس ترتعد خوفًا، لدرجة أنها لم تنطق بكلمة واحدة، سارت ببطء فقط تابعة الملكة تجاه ملعب الكروكيت.

أما بقية الضيوف، فقد استغلوا غياب الملكة، وأخذوا قسطًا

من الراحة في الظل، لكنهم حينما رأوها قادمة، هرعوا جميعاً نحو استكمال المباراة على الفور، حيث إن الملكة كانت قد أشارت إلى أن لحظة واحدة تتسبب في تأخير المباراة، ستكلفهم حياتهم جميعاً.

لم تكف الملكة عن الشجار مع اللاعبين للحظة طوال فترة مباشرتهم للعب، صائحة: «اقطعوا رأسه.. اقطعوا رأسها!» وأولئك الذين حكمت عليهم الملكة بقطع الرأس، أسرهم الجنود، الذين كانوا بدورهم ينفضون عن تشكيل الأقواس؛ لينفذوا حكم الملكة، لذلك بعد مرور قرابة نصف الساعة، لم يتبقَّ في الملعب أي أقواس أو أي لاعبين عدا الملك والملكة وأليس، الباقون كانوا تحت حراسة مشددة، في انتظار تنفيذ حكم الإعدام فيهم.

فرغت الملكة من اللعب، متقطعة الأنفاس، قالت لأليس: «هل رأيت من قبل السلحفاة الزائفة؟».

قالت أليس: «لا.. أنا لا أعرف من الأساس، ما هي تلك السلحفاة الزائفة؟».

قالت الملكة: «إنها المستخدمة لعمل حساء السلاحف المزيف»^(١).

قالت أليس: «لم أرَ أيًّا منها من قبل، ولم أسمع عنها من قبل».

قالت الملكة: «إذن، تعالي معي... وهي التي ستخبرك بحكايتها بنفسها».

بينما كانتا تسيران معاً، سمعت أليس الملك يقول بصوت خافت

(١) حساء مشهور في العصر الفيكتوري.

لكل مَنْ تم أسرهم: «لقد تم العفو عنكم جميعاً»، قالت أليس لنفسها فور سماعها ذلك «نعم هذا هو الصواب، إنه لأمر جيد»، حيث كانت تشعر بالامتعاض الشديد، بسبب كل تلك أحكام الإعدام التي لا حصر لها، التي تأمر بها الملكة.



سرعان ما التقت أليس والملكة بنسر الـ«جريفون»، وقد تمدد أسفل أشعة الشمس (إن لم تكن تعرف ما هو «نسر الجريفون» فما عليك سوى النظر إلى الصورة).

قالت الملكة: «ها انهض أيها الكسول، وخذ هذه الأنسة؛ لترى السلحفاة الزائفة، ولتسمع حكايتها... يجب عليّ أن أعود لأبشر تنفيذ أحكام الإعدام التي أمرت بها».

رحلت الملكة وتركت أليس بمفردها مع نسر الجريفون، لم يرق

لأليس مظهر هذا المخلوق، لكنها اعتقدت أن البقاء معه، سيكون أكثر أماناً في المجمل، من البقاء بصحبة الملكة، لذلك انتظرت معه. نهض نسر الجريفون، وأخذ يحك عينيه، ويتابع الملكة أثناء رحيلها، حتى غابت عن الأنظار تماماً، ثم انفجر ضاحكاً في تكتم. قالت أليس: «ما المضحك؟».

قال لها نسر الجريفون: «هي بالطبع، وكأنهم ينفذون أحكام الإعدام التي تأمر بها، لا يُقطع رأس أحدهم مطلقاً... على كل حال، هيا بنا!».

فكرت أليس بينما تتبع خطاه في بطة: «الجميع هنا يقولون «هيا بنا.. هيا بنا! لم يسبق لأحدهم أن وجه لي كل تلك الأوامر من قبل مطلقاً، طوال حياتي!».

لم يكونوا قد ذهبوا بعيداً، عندما لمحوا السلحفاة الزائفة من على البعد، تجلس حزينة وحيدة بائسة على حافة صخرة صغيرة، عندما اقتربا منها، سمعتها أليس تنن، كما لو أن قلبها قد انفطر، ما جعل أليس تشفق على حالها كثيراً.

سألت أليس نسر الجريفون: «ما سبب حزنها؟»، أجابها نسر الجريفون بكلمات مثل تلك التي كان قد قالها من قبل: «هي بالطبع، تفعل هذا كله بسبب استمرارها في تصديق وهمها، ليس لديها أي سبب يجعلها حزينة، كما تعرفين... هيا بنا!».

حينما وصلا إلى السلحفاة الزائفة، نظرت إليهما بأعين مليئة

بالدموع، ولم تقل شيئاً.

قال نسر الجريفون: «هذه الأنسة الصغيرة تود أن تعرف ما هي حكايتك!».

قالت السلحفاة الزائفة بصوت أجوف عميق: «سأخبرها، اجلسا كلاكما، ولا تنطقا بكلمة حتى أنتهي من حديثي».

جلسوا جميعاً، ولم ينطق أحد منهم بشيء لعدة دقائق، ما جعل أليس تفكر بينها وبين نفسها: «لا أدري كيف لها أن تنتهي أبداً من حديثها، إن لم تبدأه من الأساس»، لكنها انتظرت في صبر.

قالت السلحفاة الزائفة أخيراً، متنهدة في عمق: «في يوم من الأيام، كنت سلحفاة حقيقية».

أتبعت هذه الكلمات بصمت طويل، لم يكسره سوى تنهدات متفرقة يصدرها نسر الجريفون، وأنين متواصل من السلحفاة الزائفة.

فرغ صبر أليس، إلى الحد الذي كادت أن تقف معه لتقول: «شكراً جزيلاً! على سماع هذه القصة الشيقة»، لكنها لم تستطع الامتناع عن التفكير في تنمة هذه القصة، لذلك ظلت جالسة لا تنطق بشيء، ولم تبرح مكانها.

أكملت السلحفاة الزائفة أخيراً، بعد أن صارت أهدأ، رغم استمرارها في النحيب بين الفينة والأخرى، قائلة: «عندما كنا صغاراً، ذهبنا إلى مدرسة في البحر، كان المعلم سلحفاة برية عجوزاً، تعودنا على مناداته بـ «السيد السلحفاة البحرية...».

سألت أليس: «لماذا كنتم تنادونه بـ«السيد السلحفاة البحرية»
وهو ليس واحدًا منها على الإطلاق؟».



قالت السلحفاة الزائفة في غضب: «كنا نناديه هكذا؛ لأنه كان
يعلمنا في البحر، كم أنت غبية حقًا!».
وأضاف نسر الجريفون إليها: «يجب أن تخجلي من نفسك فعلًا؛

بسبب سؤالك لهذا السؤال السهل البسيط».

ثم جلسا صامتين، ينظران إلى أليس المسكينة، التي ودّت لو تنشق الأرض وتبتلعها في ذلك الحين.

قال نسر الجريفون في النهاية للسلحفاة الزائفة: «أكملي يا رفيقة، لن تستغريقي اليوم بأكمله في سرد حكايتك!».

لذلك أكملت السلحفاة قائمة هذه الكلمات:

«نعم، لقد ذهبنا إلى مدرسة في البحر فعلاً، على الرغم من أنك لا تصدقين ذلك...».

قاطعتها أليس: «لم أقل مطلقاً أنني لا أصدقك».

قالت السلحفاة الزائفة «لا! لقد قلت».

صاح نسر الجريفون قبل أن تتكلم أليس مجدداً: «كفّ عن الجدال!».

استطردت السلحفاة الزائفة: «حصلنا على أفضل تعليم في الحقيقة، كنا نذهب إلى المدرسة كل يوم...».

قالت أليس: «أنا أذهب أيضاً كل يوم إلى المدرسة، فلا داعي لأن تكوني فخورة إلى هذا الحد».

سألت السلحفاة الزائفة في لهفة لكن مع قليل من الارتياب: «مع المواد الإضافية؟».

أجابت أليس: «نعم، أتعلم الفرنسية والموسيقى».

قالت السلحفاة الزائفة: «والغسيل؟».

قالت أليس في تأفف: «قطعاً لا!».

قالت السلحفاة الزائفة، وقد تنفست الصعداء: «آه! إذَنْ أَنْتِ غير ملتحنة بمدرسة جيدة مثل مدرستي، كان مكتوباً في آخر لائحتنا المدرسية: الفرنسية، الموسيقى، الغسيل».

قالت أليس: «لكنكم لم تكونوا في حاجة إلى الغسيل، أنتم تعيشون في أعماق البحر».

قالت السلحفاة الزائفة وهي تتنهد: «لم أدفع مقابل تعلم تلك المواد، لقد حصلت على التعليم العادي».

استفسرت أليس: «وماذا كان ذلك؟».

أجابت السلحفاة الزائفة: «القراءة والكتابة كبدية، ثم مختلف الأقسام الأخرى من حساب وطموح وإلهاء وتقبيح وسخرية».

غامرت أليس وقالت: «لم أسمع من قبل شيئاً عن: «التقبيح»».

رفع نسر الجريفون قائميه في تعبير عن الدهشة: «لم تسمعي من قبل عن التقبيح كيف هذا؟»، ثم أكمل للتوضيح: «أفترض أنك تعرفين ما هو «التجميل» أليس كذلك؟».

قالت أليس في تردد: «نعم.. هذا.. يعني.. أن تجعل الأشياء أكثر جمالاً».

أكمل نسر الجريفون: «حسنًا، إذَنْ إِنْ كُنْتَ لَا تدرकिन إلى الآن معنى «التقبيح»، فأنتِ ساذجة بالطبع!».

شعرت أليس بإحباط شديد، جعلها لا تجرؤ على طرح المزيد من الأسئلة بخصوص تلك الكلمة، لذلك التفتت إلى السلحفاة الزائفة وقالت: «حسنًا، ماذا تعلمت أيضًا؟».

ردت السلحفاة الزائفة، بينما تحسب عدد المواد مستعينة بقوائمها: «الغموض الحديث والقديم في جغرافية البحار، ثم التلثم وبطء الكلام... كان معلم التلثم ثعبان بحر عجوزًا، تعود أن يأتي مرة واحدة في الأسبوع، علمنا التلثم وبطء الكلام، إلى جانب التمدد والإغماء في لعبة الحجلة».

قالت أليس: «كيف كنتم تفعلون ذلك؟».

قالت السلحفاة الزائفة: «لا يمكنني أن أريك الآن، أصبحت عجوزًا، عظامي متصلبة، ونسر الجريفون لم يتعلمها قط من قبل».

قال نسر الجريفون: «لم يكن لديّ وقت، كنت أدرس الكلاسيكيات، رغم أن المعلم كان سلطعونًا عجوزًا».

قالت السلحفاة الزائفة متنهدة: «لم أذهب إليه قط، كان يُعلم الضحك والبكاء، لطالما قالوا عنه ذلك».

قال نسر الجريفون متنهدة كذلك بالتناوب مع السلحفاة: «نعم هذا صحيح، نعم هذا صحيح»، ثم أخفى المخلوقان كلاهما وجهيهما بقائمتيهما.

قالت أليس على الفور: «كي تغير الموضوع: «وكم كان عدد ساعات الدروس اليومية؟».

قالت السلحفاة الزائفة: «عشر ساعات في اليوم الأول، ثم تسع ساعات، وهكذا...».

تعجبت أليس: «يا لها من خطة مسلية!».

قال نسر الجريفون: «مسلية! لأن كل يوم تقل فيه عدد ساعات الدروس عن اليوم الذي يسبقه!».

استغرقت أليس في التفكير في شيء ما، ثم أبدت ملاحظتها: «إذن! على هذا المنوال، سيكون اليوم الحادي عشر عند حلوله إجازة بالطبع؟».

قالت السلحفاة الزائفة: «لطالما كان كذلك».

قالت أليس وقد اعتراها الشغف: «إذن، وما هو حال اليوم الثاني عشر؟».

قاطعها نسر الجريفون في حزم وقال: «يكفي الحديث عن الدروس، دعونا نتحدث عن الألعاب، أخبريها الآن شيئاً عن ألعابنا».



الفصل العاشر

رقصة السلطعون الرباعية

تنهدت السلحفاة الزائفة في عمق، وحكَّت عينيها بظهر أحد قائميهما، ثم نظرت إلى أليس محاولة الحديث، لكنها لما يقرب من الدقيقة أو الدقيقتين، لم تستطع الكلام بعد أن اختنق صوتها من فرط النحيب، قال نسر الجريفون: «وكان عظمة قد علقت في حنجرتها» ثم أخذ يهزها ويضرب على ظهرها.

استعادت السلحفاة الزائفة صوتها أخيراً، لكن الدموع سالت على خديها، أكملت الحديث ثانيةً من حيث توقفت وقالت: «بالتأكيد لم يسبق لك العيش في أعماق البحار...» (قالت أليس: «بالتأكيد، لم يسبق لي») «... ولم تتعرفني من قبل على سلطعون...» (كانت أليس على وشك أن تقول «لقد تذوقت أحدها من قبل» ثم راجعت نفسها وقالت «لا، لم يسبق لي») «... إذن لا يمكنك تخيل كم هي مبهجة رقصة السلطعون الرباعية!».

قالت أليس: «لا يمكنني في الواقع، لكن ما هذه الرقصة؟».

قال نسر الجريفون: «أولاً نصطف في خط واحد على امتداد الشاطئ...».

صاحت السلحفاة الزائفة: «بل نصطف في خطين! تقف الفقمة أولاً ثم السلاحف ثم سمك السلمون، وهكذا... وبالطبع نبعد قناديل البحر عن طريقنا، على طول الشاطئ...».

قاطعها نسر الجريفون: «يستغرق هذا بالتأكيد وقتاً طويلاً...»
«... ثم نتقدم خطوتين إلى الأمام...».

صاح نسر الجريفون: «ويتخذ كل واحد سلطعوناً شريكاً له!». قالت السلحفاة الزائفة: «نعم بالطبع، ثم نخطو خطوتين، للقاء شريك الرقص...».

ثم أكمل نسر الجريفون: «... نستبدل السلطعون، ثم نكرر ما فعلناه، لكننا نخطو إلى الخلف».

قالت السلحفاة الزائفة: «ثم - كما تعرفين - نلقي ال...»، صاح نسر الجريفون فجأة، قافزاً في الهواء «نلقي السلطعونات كلها!». «... بعيداً، إلى أبعد مكان في البحر بقدر ما نستطيع...».

صاح نسر الجريفون: «ثم نسبح للحاق بهم!». من ثم صرخت السلحفاة الزائفة، وهي تثب كالمجانين: «نقفز في الماء قفزة بهلوانية».

زعق نسر الجريفون بأعلى طبقة من صوته: «ثم نستبدل السلطعون ثانية!». «...».

قالت السلحفاة الزائفة في صوت خافت على نحو مفاجئ:
«وأخيرًا نعود إلى الشاطئ مرة أخرى... وهكذا تنتهي الرقصة الأولى».
أخيرًا، جلس المخلوقان اللذان كانا يتقافزان طوال الوقت، هنا
وهناك في جنون تام، لكنهما جلسا في حزن وهدوء، ينظران إلى أليس.
قالت أليس في انبهار: «إنها حتمًا رقصة ساحرة».
قالت السلحفاة الزائفة: «أتودين مشاهدة جزء منها؟».
قالت أليس: «بكل تأكيد، في الحقيقة».



قالت السلحفاة الزائفة لنسر الجريفون: «إِذْنُ هيا بنا، لنجرب الرقصة الأولى، بإمكاننا تأديتها من دون الاستعانة بأي سلطعون، أتعلم ذلك... ماذا سنغني؟».

قال نسر الجريفون: «غني أنتِ، لقد نسيت الكلمات».

شرعا يرقصان معاً، ويدوران ويلفان حول أليس، وبين كل لحظة وأخرى، يدوسان على أطراف أصابع قدميهما، عندما كانا يقتربان منها، كانا يلوحان بقائميهما الأماميين بين الحين والآخر، بينما كانت السلحفاة الزائفة تغني في حزن وببطء شديد:

قالت سمكة «الحدوق» للحلزون: «هَلَّا أسرعت قليلاً

سمكة «خنزير البحر» تطأ ذيلي، هي بالخلف قريباً

انظر كيف تتقدم السلطعونات والسلاحف تقدماً سريعاً

ينتظرون على لوحة خشبية جميعاً

هل ستأتي وترقص معنا؟

هل ستأتي؟ أم لن تأتي؟ هل ستأتي؟ أم لن تأتي؟

هل ستأتي وتشاركنا؛ لنرقص رقصةً بديعاً؟

هل ستأتي؟ أم لن تأتي؟ هل ستأتي؟ أم لن تأتي؟

هل ستأتي وتشاركنا؛ لنرقص رقصةً بديعاً؟

«لن تتخيل كم السعادة عندما يقذفوننا بعيداً

مع السلطعونات، إلى آخر البحر جميعاً

لكن الحلزون رد: «بعيداً، بعيداً!»

نظر إلى آخر البحر متفحصاً

ثم التفت نحو الحدود شاكراً

لكنه لا يريد الرقص بتاتاً.

لا يريد، لا يستطيع، لا يريد، لا يستطيع

لا يريد الرقص بتاتاً!

لا يريد، لا يستطيع، لا يريد، لا يستطيع

لا يريد الرقص بتاتاً!

قال صديقه الحرشفي ما المشكلة إن صرنا بعيداً

بل إنني أعرف على الجانب الآخر شاطئاً

أكثر بعداً

بعيداً تماماً عن إنجلترا، ومن فرنسا سيكون قريباً

لذلك لا تكن يا حلزوني العزيز حزيناً

بل تعال لترقص معنا!

هل ستأتي؟ أم لن تأتي؟ هل ستأتي؟ أم لن تأتي؟

هل ستأتي وتشاركنا؛ لنترقص رقصاً بديعاً؟

السلطعون ليرقص، كان يُقذف به في آخر البحر، كان يسقط بعيداً جداً، لذلك كان يضع ذيله في فمه في عجالة؛ كي لا يتم سحبه وإخراجه من الماء ثانية، هذا كل ما يتعلق بذلك الأمر».

قالت أليس: «أشكرك جداً، إنه أمر مشوق وممتع للغاية، لم أكن أعرف الكثير عن سمك الحدوق من قبل».

قال نسر الجريفون: «يمكنني إخبارك بأكثر من ذلك، إن أردت، هل تعرفين لماذا سُمي بسمك «الحدوق»؟».

قالت أليس: «لم أفكر في سبب التسمية مطلقاً من قبل».

أجاب نسر الجريفون في وقار: «حدقة العين سوداء، وعلى طول جانب سمك الحدوق الأبيض اللامع هناك خط جانبي أسود اللون... أتعلمين! نحن نلمع به الأحذية والنعال».

بدت أليس في حيرة تامة، وكررت ما قاله نسر الجريفون في شيء من العجب: «تلمعون به الأحذية والنعال!».

قال نسر الجريفون: «بماذا تلمعين أحذيتك، أقصد كيف تجعلين أحذيتك لامعة جداً هكذا؟».

نظرت أليس إلى الأسفل نحو حذائها، وأخذت تفكر قليلاً قبل أن تجيبه: «أذكر أنها تلمع بلمع الأحذية».

أكمل نسر الجريفون حديثه في نبرة عميقة: «تلمع الأحذية والنعال في أعماق البحار بسمك الحدوق، الآن بت تعرفين».

سألت أليس في فضول شديد: «لكن مما تُصنع تلك الأحذية؟». رد الجريفون بصبر نافذ: «من سمك موسى ومن ثعابين البحر بالطبع... بإمكان أي جمبري صغير هنا إخبارك بهذا».

قالت أليس: «إن كنت مكان سمك الحدودق...»، حاولت أن تستعيد كلمات الأغنية في ذهنها، ثم أكملت «...كنت لأقول لـ«خنزير البحر» ابتعد عن هنا، من فضلك! لا نريدك أن تكون معنا!».

قالت السلحفاة الزائفة: «لقد كانوا مضطرين إلى اصطحابه معهم». «لا تذهب أي سمكة حكيمة إلى أي مكان من دون اصطحاب سمكة «خنزير البحر»».

قالت أليس وقد تملكتها الدهشة: «لا تذهب حقاً؟».

قالت السلحفاة الزائفة: «بالأكيد لا... إن أتت لي سمكة، وأخبرتني أنها ستذهب في رحلة مع خنزير البحر، حتماً سأقول لها أي بحر وما الغرض؟».

قالت أليس: «أتقصدين قول أي خنزير بحر؟».

قالت السلحفاة الزائفة في عنف: «أنا أقصد ما أقول».

ثم أضاف نسر الجريفون: «دعونا نسمع بعضاً من مغامراتكِ الشيقة».

قالت أليس في شيء من الخجل: «حسناً سأخبركم عن مغامراتي، بدء من صباح اليوم، لكن لا فائدة من ذكر يوم أمس، فلقد كنت شخصاً مختلفاً تماماً».

قالت السلحفاة الزائفة: «فلتوضحي هذا كله».

قال نسر الجريفون دون صبر: «لا..لا! دعيها تخبرنا أولاً عن مغامراتها؛ إن بدأت في الإيضاح، ستستغرق وقتاً طويلاً».

على ذلك بدأت أليس في إخبارهم بكل شيء يتعلق بمغامراتها، ابتداء من الأرنب الأبيض.

عندما شرعت أليس في القص عليهما، كانت متوترة قليلاً، حيث اقترب منها كلا المخلوقين كثيراً، وجلسا على جانبيها، كل واحد منهما على جانب من الجانبين، يحملقان فيها، فاتحين أفواههما في شغف تام، لكنها اكتسبت الشجاعة بمرور، وباتت تسرد حكايتها في راحة.

كان مستمعاه صامتين تماماً، يستمعون إليها في إنصات، إلى أن وصلت إلى الجزء الذي يخص لقاءها مع اليرقة، وكيف غنت: «أيها الأب ويليام، أنت عجوز كبير» بكلمات مختلفة تماماً عن الكلمات الصحيحة، زفرت السلحفاة الزائفة زفرة طويلة وقالت: «يا له من أمر عجيب جداً!».

قال نسر الجريفون: «عجيب فقط! إنه أكثر الأشياء عجباً».

كررت السلحفاة الزائفة بطريقة تبين مقدار إمعانها في التفكير: «كلمات مختلفة تماماً عن تلك الصحيحة... أود أن أسمعها تغني لنا شيئاً الآن، أخبرها أن تبدأ في الغناء».

نظرت السلحفاة الزائفة إلى نسر الجريفون، كما لو كانت تعتقد أن لنسر الجريفون سلطة على أليس.

قال نسر الجريفون: «هيا قومي وغني «هذا صوت الكسلان»».
فكرت أليس: «كيف لتلك المخلوقات أن تأمر بهذا الشكل،
وكيف لها أن تجعل الفرد منا يكرر ما يحفظه من دروس! وكأنه في
المدرسة!».

على أي حال، قامت أليس كي تبدأ في الغناء، لكن ذهنها كان
مشغولاً تمامًا برقصة السلطعون الرباعية، وبالكاد أصبحت تعرف ما
الذي ستقوله، لذلك جاءت الكلمات غريبة جدًا في الواقع:



هذا صوت السلطعون، سمعته يقول
حمصتي إلى أن أصبح لوني بنيًا
الآن يجب أن أضيف السكر على شعري
مثلما تفعل البطة بجفونها
لذلك بأنفه راح يلمع حزامه
وأزاراه إلى أن انتهى ببسط أصابع أقدامه
عندما تجف الرمال
يرقص فرحًا كالمختال
ويتحدث عن صوت القرش في ازدراء
لكن عندما يرتفع منسوب البحر
ويصبح القرش في الأنحاء بفعل المد والجزر
يتغير صوته إلى صوت جبان مرتعد

قال نسر الجريفون: «لكن هذا مختلف تمامًا، عما اعتدت على
غنائته، عندما كنت صغيرًا».

قالت السلحفاة الزائفة: «حسنًا، لم أسمع عن تلك الأغنية من
قبل، لكن كل ما قلته يعتبر بالنسبة لي، ثرّهات غير عادية».
لم تنطق أليس بأي شيء، جلست واضعةً وجهها بين راحتي

كفيها فقط، متعجبة ومتسائلة ما إذا كانت ستعود لاختبار أشياء مألوفة طبيعية مرة أخرى، أم ستقتصر الأمور على العجائب.

قالت السلحفاة الزائفة: «أريدها أن تشرح لي تلك الأبيات».

قال نسر الجريفون من فوره: «بالتأكيد لن يمكنها شرحها، فلتكملي باقي الأبيات فقط».

لكن السلحفاة الزائفة أصرت على موقفها وقالت: «لكن فيما يتعلق بأصابع أقدامه... كيف بسطها مثلما ييسط أنفه؟».

رغم أن أليس كانت في حيرة تامة مما يحدث كله، وأرادت تغيير الموضوع، إلا أنها قالت: «هذا أول أساسيات الرقص».

كرر نسر الجريفون ما كان قد قاله: «فلتكملي باقي الأبيات، بدأت بـ «مررت عبر حديقته»».

لم تجرؤ أليس على الرفض، رغم أنها شعرت أن الكلمات ستأتي خاطئة تمامًا كالعادة، أكملت الأبيات، لكن بصوت يرتجف بشدة:

مررت عبر حديقته، ولمحت بعين واحدة

كيف هما البومة والنمر يتقاسمان فطيرة ساخنة

أخذ النمر مع الفطيرة المقرمشة المرق واللحم

بينما ترك للبومة فقط الصحن

عندما انتهى من أكل طعامه

أخذت البومة كتذاكار ملعقته

بينما أخذ النمر الشوكة والسكينة
وأنتهى المأدبة بزمجرة عظيمة

قاطعتها السلحفاة الزائفة: «ما الفائدة من تكرار مثل تلك
الترهات! إن لم تقومي بشرحها بينما تواصلين قولها؟ ما قلتيه هو أكثر
ما سمعته إرباكًا!».

قال نسر الجريفون: «نعم، أعتقد أن الأفضل أن تتوقفي»، شعرت
أليس بسعادة غامرة فور سماعها ذلك.

أكمل نسر الجريفون: «ما رأيك لو نجرب رقصة أخرى من
رقصات السلطعون الرباعية، أم تغني لنا السلحفاة الزائفة أغنية؟».
ردت أليس: «أوه! أغنية من فضلك! إن تفضلت السلحفاة الزائفة
بغنائها في لطف».

قال نسر الجريفون متذمرًا بعض الشيء: «هممم! لولا اختلاف
الأذواق...! حسنًا! غني لها «حساء السلاحف» يا رفيقتي العزيزة».
تنهدت السلحفاة الزائفة بعمق، وبدأت تغني لكن بصوت تخنقه
الشهقات بين الحين والآخر:

شوربة خضراء مفيدة وغنية

ما زالت ساخنة في السلطانية

من سينقض ويشرب ذلك الحساء

حساء المساء... حساء لذيد!

حساء المساء... حساء لذيد!

حساء لذيد!

حساء لذيد!

حساء المساء!

لذيد! لذيد!

حساء لذيد!

مَنْ يهتم بالأسماء!

أو بغيره من الأطباق

مَنْ لَنْ يدفع أمواله مقابل الحساء

فقط ما يستحق المال هو الحساء

حساء لذيد!

حساء لذيد!

حساء المساء!

لذيد! لذيد!

حساء لذيد!

صاح نسر الجريفون: «غنيها ثانية»، همّت السلحفاة الزائفة بغنائها مرة أخرى، لكن في تلك الأثناء إذ بهم يسمعون صوتاً ينادي من بعيد: «محكمة... فُتحت الجلسة!».

صرخ نسر الجريفون، وإذ به يشد أليس من يدها: «هيا بنا!»، ثم انطلق في عجلة، دون أن ينتظر سماع باقي الأغنية.

قالت أليس بينما كانت تلهث من سرعة الركض: «أي محاكمة هذه».

لكن نسر الجريفون لم يجبها، لم يقل سوى: «هيا بنا!»، وأخذ يجري بأسرع مما كان، بينما يتردد خلفهما صوت ضعيف كئيب، يحمله الهواء، أخذ يخفت مع ابتعادهما أكثر فأكثر:

حسابات المساء!

لذیسیذ! لذیسیذ!

حسابات لذيبيذ!



الفصل الحادي عشر

من سرق كعكات الفواكه؟

عندما وصلا، كان ملك القلوب وملكة القلوب يجلسان على عرشيهما، ومن حولهما يحتشد جمعٌ هائل، كان الجمع المحتشد يتكون من أنواع كثيرة ومتنوعة من الحيوانات والطيور، بالإضافة إلى باقي أوراق اللعب (الكوتشينة) كلها، كان ولد القلوب يقف أمامهم مكبلاً بالأصفاد التي التفت حول معصميه، ويقف على جانبيه جنديان للحراسة، أما إلى جانب الملك فكان يقف الأرنب الأبيض، ممسكاً ببوق في يده، وبلفافة عريضة من ورق في يده الأخرى، تتوسط قاعة المحكمة طاولة، عليها طبق كبير فيه الكثير من كعكات الفواكه، بدا شكلها شهياً ولذيذاً، لدرجة جعلت أليس تشعر بالجوع، لمجرد النظر إليها. فكرت أليس: «أتمنى أن يقدموا لنا تلك المقبلات عند انتهاء الجلسة!»، إلا أنه لم يكن هناك أي بصيص من الأمل؛ ينم عن أن الأمور سوف تسير على هذا النحو، لذلك بدأت تنظر إلى الأشياء كلها من حولها، لتمضية الوقت.

لم تكن أليس قد حضرت محاكمة من قبل، لكنها قرأت عنها في الكتب، لذلك كانت سعيدة حقًا؛ عندما وجدت نفسها تعرف أسماء كل الأشياء تقريبًا. أخذت تردد بينها وبين نفسها: «هذا القاضي، لأنه يعتمد على القضية المستعار...».

على ذكر القاضي، كان القاضي هو الملك (يمكنك الاطلاع على المقدمة كي ترى كيف فعل هذا)، لم يكن الارتياح باديًا عليه على الإطلاق، وبما أن الارتياح لم يكن باديًا عليه، فبالأكيد لن يبدو عليه الارتياح كذلك فيما بعد.

«... هذا هو صندوق هيئة المحلفين»، ثم أخذت أليس تفكر: «من المفترض أن يكون عددهم اثني عشر مخلوقًا...» (كانت أليس مضطرة لقول كلمة «مخلوق» لأن بعضهم كان طيورًا والبعض الآخر حيوانات) وأخذت تردد بينها وبين نفسها لما يزيد عن المرتين أو الثلاثة «لا بد أنهم هيئة المحلفين». كانت فخورة جدًا بنفسها؛ لمعرفة ذلك؛ لأنها كانت تظن (وظنها صحيح وفي محله) أن قلة قليلة من الفتيات الصغيرات، في مثل عمرها، يعرفن معنى ذلك، ثم تفاخرت أكثر لمقدرتها على استخدام مصطلح آخر حيث قالت: «سيصل أعضاء هيئة المحلفين» إلى قرار عادل في النهاية».

كان جميع أعضاء هيئة المحلفين منهمكين في الكتابة على ألواحهم الخشبية، همست أليس إلى نسر الجريفون: «ماذا يكتبون؟ لا يمكنهم كتابة أي شيء؛ ما دامت المحاكمة لم تبدأ بعد».

همس نسر الجريفون مجيبًا على استفسار أليس: «إنهم يكتبون أسماءهم، خشية أن ينسوها قبل نهاية المحاكمة».

قالت أليس لكن بصوت مرتفع: «مخلوقات غبية!»، إلا أنها سكنت على الفور؛ إذ صاح الأرنب الأبيض قائلاً «هدوء يا حضرات!»، وضع الملك نظارته، وأخذ ينظر حوله في تدقيق، ليعرف مَنْ يتكلم. تمكنت أليس من رؤية ما كتبه أعضاء هيئة المحلفين على ألواحهم الخشبية بشكل واضح تمامًا، كما لو كانت تنظر من فوق أكتافهم، لقد رأتهم يكتبون: «مخلوقات غبية!»، ليس ذلك فحسب، بل رأَت واحدًا منهم لا يعرف كيف يتهجى كلمة «غبية»، وأخذ يسأل مَنْ بجواره، كي يقولوا له.

فكرت أليس: «ستكون ألواحهم الخشبية فوضوية، مليئة بكلمات متناثرة لا معنى لها، قبل انتهاء المحاكمة!».

كان لدى أحد أعضاء هيئة المحلفين، قلم يحدث صريرًا مزعجًا، دفع أليس إلى الوقوف والتسلل، إلى أن وصلت خلفه مباشرة، وانتظرت إلى حتى سنحت لها الفرصة، ثم أخذته منه في تكتم. لقد فعلت ذلك في سرعة رهيبة وخفة شديدة، لدرجة أن المحلف الصغير المسكين (كان السحلية بيل) لم يدرك ما حدث، ولم يعرف أين اختفى قلمه، ظل يبحث عنه في كل مكان، لكنه في نهاية المطاف، عندما فقد الأمل في إيجاده، اضطر إلى أن يكتب بإصبعه لما بقى من اليوم، ولم يكن لذلك أي فائدة بالطبع، لأن إصبعه لم يترك أي أثر على اللوح الخشبي.

قال الملك: «أيها المنادي... اقرأ عريضة الاتهام».

نفخ الأرنب الأبيض في البوق، ثلاث نفخات مدوية، ثم بسط
لفافة الورق وقرأ الأسطر التالية:



ملكة القلوب في الأيام الصيفية

تعد كعكات الفواكه الشهية

لكن ولد القلوب سرقها بالكلية

وأخذها بعيداً بحيلة خفية!

قال الملك لهيئة المحلفين: «سنصدر الحكم بعد المداولة».

قاطعهُ الأرنب في عجلة: «ليس بعد! ليس بعد! هناك الكثير قبل أن يتداول أعضاء هيئة المحلفين!».

قال الملك: «صحيح صحيح! نادِ على الشاهد الأول»، نفخ الأرنب في بوقه ثلاث مرات، ثم نادى على الشاهد الأول!

كان الشاهد الأول هو صانع القبعات، أتى ومعه فنجان الشاي في يد، وفي يده الأخرى كسرة خبز وزبد، شرع يقول: «أستمحيك عذراً، يا جلالة الملك، لإحضار هذا معي، لم أكن قد انتهيت من شرب الشاي بعد، عندما تم استدعائي».

قال الملك: «يجب أن تنتهي حالاً؟ متى بدأت في شرب الشاي؟». نظر صانع القبعات إلى الأرنب الوحشي مارس، الذي كان قادماً خلفه، إلى قاعة المحكمة، هو والزغبة يدًا بيد، وقال: «تقريباً في الرابع عشر من مارس الماض».

قال الأرنب الوحشي مارس: «بل في الخامس عشر».

ثم أضاف الزغبة: «أعتقد في السادس عشر».

نظر الملك إلى هيئة المحلفين قائلاً: «اكتبوا هذا كله»، سرعان ما كتب أعضاء هيئة المحلفين التواريخ الثلاثة في حماس بالغ، على ألواحهم الخشبية، لكنهم حولوا التواريخ إلى عملات نقدية من شلنات وبنسات، وبدأوا في جمعها معاً.

أمر الملك صانع القبعات: «اخلع قبعتك».

قال صانع القبعات: «ليست قبعتي!».

«إذن هي مسروقة!»، صاح الملك، ملتفتاً إلى هيئة المحلفين، الذين سارعوا إلى تسجيل الواقعة فوراً.

قال صانع القبعات ليفسر موقفه: «أنا أبيع القبعات، لكنني لا أملك أي قبعات، أنا صانع القبعات».

هنا وضعت الملكة نظارتها، وأخذت تحديق في صانع القبعات، إلا أن لونها أصبح شاحباً وأخذت في التملل في عصبية.

قال الملك: «قدم دليلك، ولا تتوتر، لأنك إن فعلت ستثبت عليك التهمة، وسوف نعدمك في التو واللحظة».

لم يكن ذلك محفزاً للشاهد على الإطلاق، حيث أخذ يرتعش ويتمايل على رجلبيه، ينظر إلى الملكة في ارتياب ورهبة، لدرجة أنه قضم قطعة كبيرة من فنجان الشاي، بدلاً من كسرة الخبز بالزبد، بسبب توتره.

في اللحظة نفسها، شعرت أليس بشيء عجيب وغريب يحدث لها، جعلها في حيرة تامة، إلى أن اكتشفت ماذا يحدث! لقد كان حجمها يكبر مرةً أخرى، في بادئ الأمر، فكرت أليس في أن تقف وأن تغادر قاعة المحكمة، لكن بعد أن فكرت ثانيةً، قررت أن تبقى حيثما كانت، ما دام هناك حيز يتسع لها.

قال الزغبة، الذي جلس إلى جوارها: «أتمنى ألا تسحقيني بشدة، فمن الآن لم أعد قادرًا على التنفس».

قالت أليس في تسليم تام: «ما باليد حيلة! أنا أنمو وحجمي يزداد».

قال الزغبة: «لا يحق لك أن تزدادي في الحجم هنا».

قالت أليس بمزيد من الجراءة: «لا تقل مثل تلك السخافات! فأنت تنمو أيضًا مع الوقت ويزداد حجمك».

قال الزغبة: «نعم، لكنني أنمو بسرعة معقولة، لا أنمو بمثل السرعة الهوجاء المقرزة التي تنمين بها»، ثم تملص مبتعدًا عنها، وذهب إلى الناحية الأخرى من القاعة.

طوال هذه الأثناء، لم تكفَّ الملكة عن التحديق في صانع القبعات، حتى مر الزغبة من أمامها، فلم يكذب يفعل، حتى توجهت إلى الحاجب آمرة: «أحضر لي قائمة بجميع المغنين الذين كانوا في الحفل الأخير!».

أخذ صانع القبعات المسكين في الارتجاف بشدة فور سماعه لهذا الأمر، إلى أن انخلع حذاؤه من قدميه.



كرر الملك ما قاله، لكن في غضب جامح: «قدم دليلك! وإلا سأعدمك في الحال، سواء كنت متوترًا أو لا».

بدأ صانع القبعات في الحديث بصوت مرتجف: «يا جلالة الملك! أنا رجل مسكين، لم أكن قد بدأت في شرب الشاي... لم أكن قد بدأت منذ ما يزيد عن الأسبوع... أو ربما أكثر لا أعلم... أما عن حال الخبز بالزبد... فقد أصبح هشًا... ثم تلاً الشاي...».

قال الملك: «ما الذي تملأ؟».

قال صانع القبعات: «تملأ الشاي».

قال الملك: «قلت الشاي».

قال صانع القبعات: «وما الفارق بين الشاي والشاي؟ كلاهما يبدأ بحرف الـ «ش»».

صاح الملك في حدة: «بالطبع، أعرف ذلك... أتحسبني غيباً؟».

أكمل صانع القبعات: «أنا رجل مسكين، والأشياء كلها تملأ من بعد ذلك... فقط الأرنب الوحشي مارس قال...».

قاطع الأرنب الوحشي مارس على الفور: «لا لم أقل!».

قال صانع القبعات: «لا لقد قلت!».

رد عليه الأرنب الوحشي: «أنا أنكر ذلك!».

قال الملك ليفض هذا الاشتباك: «انتبهنا، لقد أنكر ذلك... تخطيا هذا الجزء».

قال الزغبة: «حسناً! أريد أن أقول شيئاً... على أي حال...».

سرعان ما أخذ صانع القبعات يبحث عنه بناظره في ارتياب؛ يرى إن كان سينكر ذلك أيضاً، لكن الزغبة لم ينكر شيئاً، لقد نام في عمق.

أكمل صانع القبعات: «ثم بعد ذلك، قطعت المزيد من الخبز بالزبد...».

لكن أحد المحلفين قاطعه متسائلاً: «لكن ما الذي قاله الزغبة؟».

قال صانع القبعات: «لا أستطيع التذكر في الحقيقة».

قال الملك: «عليك التذكر في الحال، وإلا أعدمتك».

أسقط صانع القبعات فنجان الشاي، والخبز بالزبد من يده، من هول الارتباك، وجثا على ركبتيه قائلاً: «يا جلالة الملك، أنا رجل مسكين...».

قال الملك: «أنت متحدث مثير للشفقة، فقير الكلام».

وهنا هلل «أرنب الجبل»، لكن حجاب المحكمة قمعوه على الفور. (نظرًا إلى أنه من الصعب فهم كلمة «قمع»، سأفسرها لك، كان لدى حجاب المحكمة كيس قماشي كبير، تُربط قمته بالخيوط، حشروا فيه أرنب الجبل، بالمقلوب رأسًا على عقب، حيث أدخلوا رأسه أولاً، ثم جلسوا فوقه).

فكرت أليس: «أنا سعيدة لأنني شاهدت حدوث هذا كله، لقد قرأت مرات عدة في جريدة الأخبار، أنه في نهاية المحاكمات، «تحدث أحيانًا حالة من الهرج والمرج، كتلك التي قام حجاب المحكمة على الفور بقمعها والسيطرة عليها» ولم أكن قد فهمت ذلك بالكلية، إلى وقتنا هذا».

أكمل الملك: «إن كان هذا كل ما تعرفه... فاجلس بالأسفل».

قال صانع القبعات: «أنا جالس على الأرض، وبالطبع لا أستطيع الجلوس أسفل من ذلك».

رد الملك: «أقصد اجلس بالأسفل، إلى جانب الحضور وليس على المنصة».

هنا هلل أرنب جبل آخر، وبالطبع تم قمعه.
فكرت أليس: «هكذا نكون قد تخلصنا من أرنب الجبل جميعاً، الآن نستطيع المضي قدماً».

قال صانع القبعات: «أفضل إنهاء فنجان الشاي»، بينما كان ينظر نظرة يملؤها الارتياح إلى الملكة، التي كانت تقرأ لائحة المغنيين.
صاح الملك: «غادر المنصة الآن»، فر صانع القبعات سريعاً مغادراً قاعة المحكمة بأكملها، حتى من دون أن ينتعل حذاءه.



أضافت الملكة قائلة لأحد حجاب المحكمة: «...اقطع رأسه بالخارج»، لكن صانع القبعات كان قد اختفى عن الأنظار تمامًا، قبل أن يصل الحاجب إلى باب المحكمة.

قال الملك: «استدع الشاهد التالي».

كان الشاهد التالي هو طاهية الدوقة، أتت حاملة علبة الفلفل في يدها، خمنت أليس بشكل صحيح ما كانت تحمله بالفعل، ففي وقت سابق، عندما جاءت الطاهية لتدخل إلى قاعة المحكمة، بدأ كل من كان يجلس بجوار الباب في العطس دفعة واحدة.

قال الملك: «قدمي دليلك».

قالت الطاهية: «لا، لن أفعل!».

نظر الملك في ارتباك إلى الأرنب الأبيض، الذي قال بصوت خافت: «يجب أن تستكمل استجواب هذا الشاهد يا جلالة الملك».

قال الملك بصوت هادئ: «حسنًا، إن كان يجب عليّ فعل ذلك، سأفعل»، ثم عقد ذراعيه، وعقد حاجبيه، لدرجة أن عينيه لم تعودا ظاهرتين، ثم قال بصوت عميق «مَمَّ تُصنع كعكات الفواكه؟».

قالت الطاهية: «من الفلفل في أغلب الأحيان».

إلا أن صوتًا يغلب عليه النعاس همس بجوارها قائلاً: «من السكر».

وإذ بالملكة تصرخ: «احملوا هذا الزغبة من طوقه! اقطعوا رأسه!

اطردوه إلى خارج المحكمة! اخنقوه! اقرصوه! انتزعوا شاربیه!». .

سادت حالة من الفوضى بين الحضور خلال الدقائق التي استغرقها طرد الزغبة من قاعة المحكمة حيث أصاب الارتباك التام جميع الحضور، لكنهم استقروا مرة أخرى وعادوا إلى أماكنهم مع مرور الوقت، غير أن الطاهية كانت قد اختفت.

قال الملك متنفسًا الصعداء: «لا يهم! لا يهم! استدع الشاهد التالي»، ثم مال نحو الملكة وأضاف في همس: «حقًا يا عزيزتي! عليكِ استجواب الشاهد التالي؛ يصيبني الاستجواب بالصداع!». .

بينما كان الأرنب الأبيض يراجع لائحته على نحو فوضوي، كانت أليس تتطلع إليه طوال الوقت في فضول، تريد أن تعرف مَنْ سيكون الشاهد التالي... قالت لنفسها: «يستحسن أن يكون شاهدًا ومعه أدلة، إلى الآن لم يتم جمع أي دليل». .

لكن لك أن تتخيل مقدار الدهشة والعجب اللذان انتابا أليس فور سماعها الأرنب الأبيض، يقرأ بأعلى طبقات صوته اسم: «أليس!». .



الفصل الثاني عشر

شهادة أليس

«حاضرة يا سيادة القاضي!»، صاحت أليس بعد أن نُودي عليها، ناسية تمامًا في تلك اللحظة؛ من هول الدهشة، كيف نمت وازداد حجمها في الدقائق القليلة الماضية، في ذلك الوقت كانت تنورتها قد علقت في صندوق هيئة المحلفين، عندما فُزَّت من مقعدها في عجلة؛ لتبلي النداء، انقلب أعضاء هيئة المحلفين جميعهم رأسًا على عقب، سقطوا على رؤوس الحضور بالأسفل، وأخذوا يتدحرجون على نحوٍ مشينٍ وسط الحضور، تذكرت أليس حوض الأسماك الذهبية الذي قلبته من دون قصد منذ أسبوع مضى، عند رؤيتها لهم في هذه الحالة. صاحت أليس في فزع شديد: «أوه! أعتذر بشدة!» ثم أخذت في التقاطهم من بين الحضور، بأسرع ما يمكنها؛ إذ دار في ذاكرتها، حادث انقلاب الأسماك الذهبية، معتقدة أنها يجب أن تجري خلفهم، في سرعة، لجمعهم وإعادةهم إلى صندوقهم الخاص، وإن لم تفعل ذلك، سيكون مصيرهم الموت كالأسماك.



قال الملك بصوت تملؤه الصرامة: «تؤجل المحاكمة، إلى أن يعود أعضاء هيئة المحلفين كلهم إلى أماكنهم الخاصة، إلى حين يعودون كلهم، كلهم»، وكرر جملة مع تشديد حازم، بينما يصبو نحو أليس نظرات قاسية.

نظرت أليس إلى هيئة المحلفين، لاحظت من فورها، أنها قد وضعت السحلية بالمقلوب، رأسه إلى الأسفل، أخذ هذا المسكين

الصغير يهز ذيله على نحو بئس، كونه غير قادر على الحركة، لذلك أخرجته أليس وقامت بوضعه معتدلاً في الحال، قائلةً لنفسها: «لن يؤثر وضع السحلية كثيرًا في سير أحداث المحاكمة، أعتقد أنه سواء كان معدولاً أو معكوسًا، فكلاهما سيان».

بمجرد استعادة أعضاء هيئة المحلفين لرباطة جأشهم قليلاً، بعد الفزع الذي أصابهم جراء السقوط، وبمجرد أن أُعيدت لهم ألواحهم الخشبية وأقلامهم بعد العثور عليها من أجلهم، انهمكوا في جدية في كتابة كل ما حدث لهم أثناء ذلك الحادث المأساوي، فيما عدا السحلية، إذ بدا أنه لم يستطع تخطي ما حدث له تمامًا، فلم يقوَ على فعل أي شيء، بخلاف التحديق في سقف قاعة المحكمة، فاعراً فمه.

قال الملك لأليس: «ما الذي تعرفينه فيما يتعلق بالواقعة؟».

قالت أليس: «لا شيء».

ألح الملك قائلاً: «لا تعرفين شيئاً أياً ما كان ذلك الشيء؟».

قالت أليس: «لا أعرف شيئاً أياً ما كان على الإطلاق».

قال الملك: «هذا مهم جداً»، قالها بعد أن التفت إلى أعضاء هيئة المحلفين، الذين شرعوا بدورهم في الكتابة فوراً، لكن الأرنب الأبيض تدخل مقاطعاً إياهم، في نبرة ظاهرها الاحترام، لكن تعبيرات وجهه وعبوسه قد أظهرت كل شيء، قائلاً: «بالطبع يا سيادة القاضي، أنت تقصد غير مهم».

قال الملك على الفور: «نعم بالطبع، لقد كنت أقصد غير مهم»،

ثم مضى يحدث نفسه في همس غير مسموع: «غير مهم... غير مهم... غير مهم... غير مهم...» وظل يرددّها، كما لو كان يجرب صوته، لمعرفة أي نطق للكلمة له وقع أفضل.

استطاعت أليس ملاحظة أن بعضاً من المحلفين، كتبوا «مهم» والبعض الآخر كتبوا «غير مهم»، حيث كانت على مقربة منهم بما يكفي، لتنظر في ألوّاحهم الخشبية، لكنها فكرت بينها وبين نفسها: «لن يصنع ما يكتبون أي فارق ولو قليلاً».

في هذه الأثناء، كان الملك منهمكاً لبعض الوقت، يكتب في دفتره، صاح بصوت مرتفع فور انتهائه: «الزموا الصمت!»، ثم قرأ من كتابه «قانون رقم اثنين وأربعين... على من يزيد طولهم عن ألف متر مغادرة القاعة».

نظر الجميع نحو أليس.

قالت أليس: «لا يبلغ طولي ألف مترٍ بالتأكيد».

قال الملك: «لا! هذا هو طولك».

أضافت الملكة: «بل هو أقرب إلى ألفي متر».

قالت أليس: «حسنًا... تحت أي ظرف، وعلى أي حال، لن أغادر هذه القاعة، بالإضافة إلى أن هذا القانون، ليس قانوناً من الأساس، أنت من ابتدعته الآن».

قال الملك: «هذا أقدم قانون في الكتاب».

قالت أليس: «إِذَنْ يفترض أن يكون القانون رقم واحد في الكتاب». شحب لون الملك، وأغلق الكتاب على الفور، والتفت إلى هيئة المحلفين، وهو يقول بصوت خافت مرتجف: «سنصدر الحكم بعد المداولة».

همَّ الأرنب الأبيض من فوره قائلاً: «لا تزال لدينا أدلة أخرى لم تقدم بعد، يا جلالة الملك، حيث إننا لم نطلع على هذه الورقة بعد». قالت الملكة: «وماذا كُتِبَ فيها؟».

قال الأرنب الأبيض: «لم أفتحها بعد، لكنها تبدو كخطاب، كتبه السجين إلى... إلى شخص ما».

قال الملك: «بالطبع إلى شخص ما، إلا إذا لم يكن قد كتبه إلى شخص ما، سيكون هذا غير مألوف».

قال أحد المحلفين: «مَنْ المرسل إليه إِذَنْ؟».

قال الأرنب الأبيض: «لا أحد بالتحديد... لم يُكتب شيء على الخطاب من الخارج في الواقع»، حاول الأرنب الأبيض فتح طيات الورقة بينما يتحدث وإذ به يضيف: «إنه ليس خطاباً في النهاية، إنها مجموعة من الأبيات».

قال فرد آخر من أعضاء هيئة المحلفين: «هل هي مكتوبة بخط السجين؟».

قال الأرنب الأبيض: «لا، ليس هذا خطه، وهو الشيء الأكثر

غرابة في الأمر برمته»، (ارتسمت الحيرة على ملامح جميع أعضاء هيئة المحلفين).

قال الملك: «من الممكن أن يكون قد قلّد خط شخص آخر» (وهنا استعاد جميع أعضاء هيئة المحلفين أنفاسهم، وارتسم الارتياح على وجوههم جميعاً مرة أخرى).

قال ولد القلوب: «من فضلك، يا صاحب الجلالة، لم أكتب تلك الأبيات، وهم لا يستطيعون إثبات أنها لي، لا يوجد توقيع في آخرها». قال الملك: «إن لم تكن قد وقعتها، فهذا يزيد الأمر سوءاً؛ لأنك بذلك ستكون قد تعمدت إحداث الفوضى، وإن لم تسعَ لذلك، فعليك توقيع اسمك مثل أي رجل شريف».

ارتفع صوت التصفيق في جميع أنحاء القاعة، كان هذا هو أول شيء حاذق يتفوه به الملك منذ بداية اليوم.

قالت الملكة: «وهذا يثبت أنه هو المذنب».

قالت أليس: «هذا لا يثبت شيئاً، أنتِ لا تعرفين محتوى الأبيات من الأساس».

قال الملك: «اقرأها علينا الآن».

وضع الأرنب الأبيض نظارته، وسأل: «من أين أبدأ يا جلالة الملك؟».

قال الملك في جدية: «ابدأ من بداية الأبيات، إلى أن تصل إلى

نهاية الأبيات، وبعدها توقف».

عم الصمت جميع أنحاء قاعة المحكمة، عندما شرع الأرنب
الأبيض في قراءة تلك الأبيات:

قالوا لي إنك قد كنت لها

وذكرت اسمي له

جعلت مني صاحب شخصية جيدة وكنت لها شاكرًا

لكنها قالت عني ليس سباحًا ماهرًا

أرسل لهم أنني لم أرحل بعد

(ونعلم أن ذلك صحيح إن نظرنا عن بعد)

أتساءل إن كانت تريد أن تستمر إلى النهاية

ماذا سيكون مصيرك وقتها في الحكاية

أعطيتها واحدة، وأعطوه اثنتين وأعطيتنا ثلاثة أو يزيد

لكنهم أعادوها جميعًا منه لك

رغم أنها كانت لي من قبل بكل تأكيد

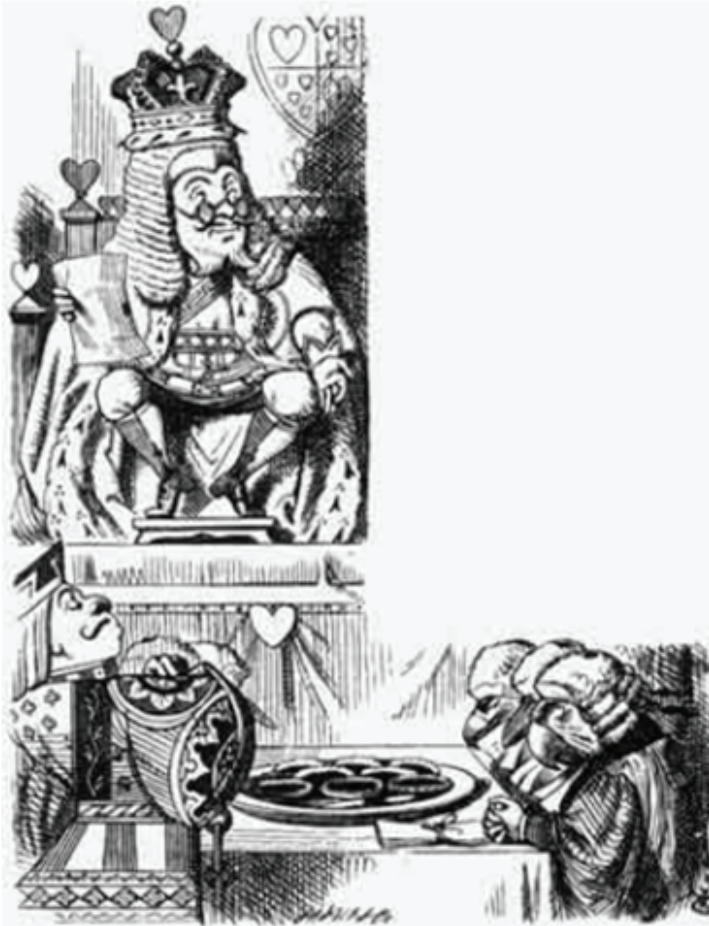
إن مرت الأيام واتهمنا أنا أو هي في قضية

عليكم تخليصنا بكل جدية

على حد علمي كانت مثلنا تعلم

(قبل أن تمر بأزمة عصبية)

عقبة بينك وبينهم وبينها
لا تجعلها تعي أنك تحبها
يجب أن يكون هذا سرّاً
تكتمه عن البقية
وحتى عنك وعني كان وسيكون سرّاً أبديّاً



قال الملك وهو يحك يديه ببعضهما: «إن هذا هو أهم دليل عُرض علينا اليوم... لذلك الحكم بعد الم...».

«هل من الممكن أن يتفضل أحد بشرح معنى هذه الأبيات»، قالت أليس هذا، ولم تكن خائفةً مطلقاً من مقاطعة الملك؛ حيث كانت قد نمت أكثر وازداد حجمها خلال الدقائق القليلة الماضية)، أكملت ما بدأت قائلة: «وسوف أعطيه ستة بنسات، لا أظن أن هذه الأبيات تحمل ذرة معنى».

سرعان ما شرع أعضاء هيئة المحلفين جميعهم في الكتابة على ألواحهم: «إنها لا تعتقد في وجود ذرة معنى في الأبيات» وذلك من دون أن يبدوا أي نية لشرح المعنى الذي قد تحمله الأبيات لأليس. قال الملك: «إن كانت بلا معنى، فإن هذا يغنينا جميعاً عن المتاعب، أتعرفين ذلك! لسنا بحاجة إلى استخلاص أي معنى... لا أعرفه حتى الآن» فرد الملك الورقة على ركبتيه، ونظر إليها بعين واحدة، واستطرد قائلاً: «في النهاية، أستطيع استخلاص بعض المعاني منها...» ليس سباحاً ماهراً.. إذن هو لا يستطيع السباحة»، ثم التفت إلى ولد القلوب موجهاً له الحديث: «أليس كذلك؟»، حرك ولد القلوب رأسه على نحو يائس، ثم قال: «هل أبدو لك كشخص يحبها؟» (من المؤكد أنه لا يحبها على الإطلاق، فهو مصنوع بالكامل من الورق المقوى).

قال الملك: «حسنًا، هذا جيد حتى الآن»، ثم أخذ يتمتم بالأبيات لنفسه: «نعلم أن ذلك صحيح» يقصد هيئة المحلفين بالتأكيد، «كانت

تريد أن تستمر إلى النهاية»، هذه هي الملكة بالتأكيد، «ماذا سيكون مصيرك» نعرف ماذا سيكون في الواقع! «أعطيتها واحدة، وأعطوه اثنتين»، أما عن ذلك، فهو ما فعله بكعكات الفواكه بالتأكيد... كما يتبين لنا جميعاً...»:

قالت أليس: «لكن الحدث لم يتوقف عند ذلك، حيث جاء في التهمة «لكنهم أعادوها جميعاً منه لك»».

قال الملك في نبرة انتصار، مشيراً إلى كعكات الفواكه الموجودة على الطاولة: «ليس هناك ما هو أوضح من هذا البيت، ها هي كعكات الفواكه!... حسناً فلنواصل مرة أخرى «قبل أن تمر بأزمة عصبية» التفت الملك نحو الملكة وسألها «أحسب أنك لم تمرى من قبل بأي أزمة عصبية يا عزيزتي!».

قالت الملكة في غضب وهي ترمي بقنينة من الحبر على السحلية، بينما كانت تتحدث: «مطلقاً». (فزع بيل الصغير ذو الحظ العثر، كان قد ترك الكتابة بإصبعه على لوحه الخشبي، عندما اكتشف أن إصبعه لا يترك أثراً، لكنه شرع الآن في الكتابة ثانيةً من فوره، مستخدماً الحبر، الذي ظل يقطر من وجهه، حتى جفّ تماماً).

قال الملك: «إنها أزمة صبية»، ثم أخذ ينظر إلى الحضور كافة، تعلقو وجهه ابتسامة رضى تام جراء تلاعبه بالكلمات والجناس فيما بينها؛ قال (أزمة صبية) التي بينها وبين (أزمة عصبية) جناس قاصداً بـ (أزمة صبيه) (ولد القلوب)، لكن على غير ما توقع، ساد الصمت كل

جنبات قاعة المحكمة وبدت علامات عدم الفهم على كافة الوجوه،
أضاف الملك بنبرة غاضبة: «هذا لعب بالكلمات! ماذا بكم؟!»، وإذ
بالجميع يضحون بالضحك.

قال الملك -للمرة العشرين في ذلك اليوم تقريبًا-: «إذن، الحكم
بعد المداولة».

صاحت الملكة: «لا! لا! المداولة بعد الحكم».

صاحت أليس بصوت مرتفع: «هذا هراء وافتراء! كيف يكون
الحكم أولاً، ثم بعد ذلك تأتي المداولة؟».

قالت الملكة وقد تحول لونها إلى اللون القرمزي من شدة
الغضب: «كيف تجرؤين على قول هذا؟ انتبهي إلى كلامك!».

قالت أليس: «لا! لن أفعل».

صرخت الملكة بأعلى طبقة من طبقات صوتها الجهوري:
«اقطعوا رأسها!»، لكنَّ أحدًا لم يتحرك.

قالت أليس (وقد نمت إلى أن بلغت حجمها الطبيعي الكامل مع
الوقت): «مَن ذلك الذي قد يمثل لأوامرك ويهتم بأمركِ؟ أنتم لا شيء
سوى مجموعة من بطاقات اللعب!».

عندما تفوهت أليس بتلك الكلمات، تطايرت أوراق اللعب كلها في
الهواء، هبطت إلى الأسفل، ثم عاودت الصعود من جديد إلى الأعلى،
نحو أليس، التي أخذت تصرخ صرخات تراوحت بين الخوف والغضب،
بينما تحاول جاهدة صد وإبعاد ذلك الوابل من البطاقات عنها.



لكنها وجدت نفسها إذ فجأة مستلقية على ضفة النهر، ورأسها
مسنود على ركبتى أختها، التي كانت تحاول في لطف ورقة إزالة
بعض أوراق الشجر الجاف، التي طيرتها الرياح عن وجهها.
قالت أختها: «أوه! استيقظي يا أليس، لماذا تنامين طويلاً هكذا؟».
قالت أليس: «لقد كان حلمًا عجيبيًا»، أخبرت أليس أختها بكل

شيء استطاعت أن تتذكره، حكّت لها المغامرات العجيبة كلها، التي قرأت عنها للتو، عندما انتهت، أعطتها أختها قبله، وقالت: «يا له من حلم عجيب حقاً! يا عزيزتي... لكن هيا بنا الآن؛ لقد حان موعد الشاي، لقد تأخرنا بالفعل».

نهضت أليس، وجرت لتلحق مواعدها، لكنها في الوقت نفسه، كانت لا تزال تفكر في كم كان الحلم مدهشاً وعجيباً.

بقيت الأخت حيث تركتها أليس، مستلقية ورأسها متكئ على يدها، تتأمل الشمس، وتفكر في أليس الصغيرة، ومغامراتها المدهشة كلها، إلى أن أصبحت تحلم هي أيضاً، وجاء حلمها على هذه الصورة: أولاً، حلمت بأليس نفسها، وهي تثبت يديها على ركبتها، وتنظر بعينيها البراقنتين في شغف إليها، لدرجة أنها سمعت نبرات صوتها بكل دقة، ورأت حركة رأسها المعتادة التي تمتاز بها، حيث تحرك رأسها إلى الخلف من أجل إبعاد خصلات شعرها كلما سقطت على عينيها، كانت لا تزال تستمع إليها، أو بدا لها أنها تستمع إليها، عندما دبت الحياة في المكان من حولها كله، وامتلاً بشتى المخلوقات العجيبة التي حلمت بها أختها الصغيرة.

كانت الحشائش الطويلة تهتز مداعبة قدميها، بسبب ركض الأرنب الأبيض من حولها، أما الفأر الخائف فقد قفز إلى البركة المجاورة، ناثراً الماء على طول الطريق، استطاعت سماع صوت رنين فناجين الشاي، الصادر من مكان اجتماع الأرنب الوحشي مارس مع

أصدقائه في حفل الشاي الذي لا ينتهي أبداً، كما استطاعت سماع صوت الملكة الصاخب، وهي تأمر بقطع رؤوس ضيوفها التعماء، إلى جانب سماعها لصوت الطفل الخنزير أيضاً، والذي كان يعطس، وهو مستلقٍ على ركبتي الدوقة، بينما تتكسر الأطباق والصحون حولهما، كما استطاعت سماع صفير نسر الجريفون أيضاً، وصرير قلم السحلية على اللوح الخشبي، وصوت أرنب الجبل المختنق... كانت هذه الأصوات كلها مجتمعة ومتداخلة، يجوب صداها الآفاق، مع التنهيدات الحزينة للسلحفاة الزائفة المشوشة.

جلست أخت أليس، عيناها مغلقتان وخيالها جامع، تتصور نفسها هائمة في بلاد العجائب، تعرف أنها إن فتحت عينيها ثانية، سيتغير هذا كله، وستعود إلى حيث الواقع الرتيب... ستكون الرياح هي سبب صوت خفيف الحشائش، وحركة أعواد القصب المثنية هي سبب صوت مياه البركة، وسيصبح صوت رنين فناجين الشاي، هو صوت رنين أجراس الأغنام، وصراخ الملكة الحاد، سيتحول بعد أن يطبعه الواقع إلى صوت صبي الراعي، أما عن عطسات الطفل، وصفير نسر الجريفون والأصوات العجيبة كلها، ستبدل (كما تعرف) إلى صخب الأصوات المتداخلة في أرض المزرعة المزدهمة، في حين سيحل صوت خوار الماشية البعيد محل تنهيدات السلحفاة الزائفة الحزينة.

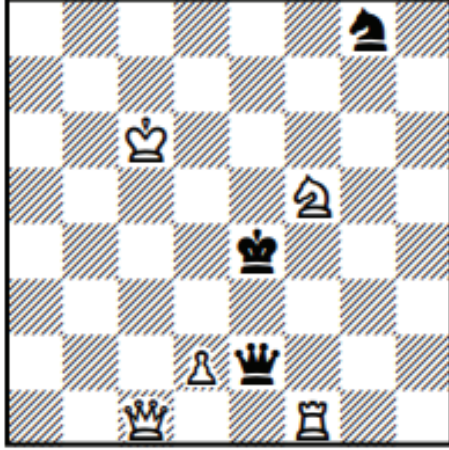
وأخيراً، أخذت تتخيل كيف ستصبح هذه الفتاة الصغيرة المدهشة نفسها بعد حين شابة ناضجة في ريعان شبابها، كيف سيمر العمر، كيف

ستحافظ على قلبها الطفولي النقي، كيف ستمر الأيام، ومَن كانت
طفلة ستجمع أطفالها الصغار من حولها، وستبعث في قلوبهم الإثارة،
وسترى أعينهم تلمع متألئة عندما تقص عليهم قصصها المدهشة، أو
ربما تحكي لهم حلمها في بلاد العجائب، الذي سيكون قد مر عليه
وقت طويل حينها، كيف ستحزن لحزنهم، وتبتهج لفرحهم، ترى
المتعة في اللعب بألعابهم البسيطة، متذكراً حياتها الطفولية، والأيام
الجميلة الصيفية.

- النهاية -

أليس عبر المرأة
وما وجدته هناك

الأحمر



الأبيض

يبدأ البيدق الأبيض (أليس) في اللعب، ويفوز في إحدى عشرة حركة.

١- تقابل أليس الملكة الحمراء.

٢- تتواجد أليس (في القطار) أثناء الحركة الثالثة، ثم تقابل
تويدل دوم وتويدل دي في الحركة الرابعة.

٣- تقابل أليس الملكة البيضاء (وشالها).

٤- أليس في حركتها الخامسة (المتجر، النهر، المتجر).

٥- أليس في حركتها السادسة (هامبتي دامبتي).

٦- أليس في حركتها السابعة (الغابة).

٧- يطيح الحصان الأبيض الحصان الأحمر.

٨- أليس في حركتها الثامنة (التتويج).

٩- صارت أليس ملكة.

١٠- تبيت^(٢) أليس (الوليمة).

١١- تطيح أليس الملكة الحمراء وتنتصر.

١- تطيح الملكة الحمراء القلعة بجانب الملك.

٢- تطيح الملكة البيضاء الفيل إلى جانب الملكة عبر الجدول في

الحركة الرابعة (خلف شالها).

٣- الملكة البيضاء عبر الجدول في الحركة الخامسة (وتصبح

شاة).

٤- تطيح الملكة البيضاء الفيل بجانب الملك في حركتها الثامنة

(تترك البيضة على الرف).

(٢) التبيت أو التحصين هي حركة خاصة في الشطرنج يتحرك فيها الملك على غير العادة خانتين إلى اليمين أو اليسار ثم تُنقل القلعة التي في اتجاهها الملك وتوضع في الخانة التي تتواجد بعده مباشرة وعند التبيت يجب أن يتحرك الملك أولاً.

٥- تطيح الملكة البيضاء الفيل بجانب الملكة في حركتها الثامنة
(تطير خلف الفارس الأحمر).

٦- الحصان الأحمر إلى جانب الملك في حركته الثانية.

٧- يطيح الحصان الأبيض الفيل إلى جانب الملك في حركته
الخامسة.

٨- الملكة الحمراء إلى رقعة الملك.

٩- تبيت الملكة.

١٠ - تطيح الملكة الحمراء القلعة إلى جانب الملكة (الحساء).



المقدمة

نظرًا لصعوبة ما ورد في الصفحة السابقة من حركات في لعبة الشطرنج؛ وما سببه من حيرة أصابت بعضًا من قُرَّائي، سيكون جيدًا إن تم توضيح كيف للأمر أن يتم بشكلٍ صحيح، تمامًا كما بينت الحركات.

ربما لم تتم ملاحظة تناوب اللونين الأحمر والأبيض بدقة، حيث قامت الملكات الثلاث بحركة (التبیت)، لتكن مجرد وسيلة لهن لدخول القصر، لكن (كش) الملك الأبيض في الحركة السادسة، والقبض على الملك الأحمر في الحركة السابعة، والكش الأخير للملك الأحمر، سيتم اكتشاف تلك الحركات من قبل أي أحد سيخوض تلك اللعبة وينظم القطع؛ حيث يلعب تبعًا لتلك التحركات، بدقة وفق قوانين اللعبة.

أثارت الكلمات الجديدة التي وردت في قصيدة (جابروكي)، بعضًا من اختلافات الرأي حول كيفية النطق بها، لذلك سيكون من

الجيد تقديم إرشادات لتوضيح تلك النقطة أيضًا. انطق (*slithy*) كما لو أنها كانت الكلمتين (*sly, the*)، انطق حرف الـ (*g*) واضحة تمامًا في (*gyre*) و(*gimble*)، وانطق (*rath*) على نفس قافية (*bath*).

عيد ميلاد ١٨٩٦

هي طفلة ناصيتها من براءة ونقاء،
عيونها حاملة بالعجائب!
يمضي الوقت وقد مضينا أنا وأنت نصف حياة.
تنهمر ابتسامات ودودة في كل الأنحاء،
كهدية للحب من قلب حكاية خيالية.
لم أرَ الوجه المشمس،
ولم أسمع الضحكة الفضية،
لم أكن أظن أنني سأجد مكانًا لي
هنا بعد أن ولت سنوات الطفولة.
يكفي هذا الآن، وعليك ألا تُفوت
سماع حكايتي الخيالية.
بدأت الحكاية في زمن غير الزمن،
عندما كانت شمس الصيف متوهجة في كل مكان،
صار رنين خافت مع الوقت إيقاع،

لا زال يدوي صداه في الآفاق،
رغمًا عن سنوات شريرة، تنادي بأن مآل الحكاية النسيان.
تعال، اسمع، صوت مرعب،
محمل بأنباء عسرة ثقيلة على القلب،
تُذهب النوم.
حزن وخيم،
ما نحن إلا أطفال كبار،
نغضب من اقتراب موعد النوم.
من دون البرد، ولون الثلج الناصع،
تجن الأمزجة جنون الرياح العاصفة؛
فيهما تتوهج حمرة النيران.
كذلك عِش الطفولة المجدولة من البهجة،
ولا تكثر بالأحزان،
رغم أن ظل آهة متحسرة قد تمر عبر الحكاية.
ومن أجل صيف سعيد؛
لن تمس الأنفاس الحزينة
لذة حكايتنا الخيالية.

الفصل الأول

بيت المرأة



شيء واحد مؤكد، لا علاقة للقطعة البيضاء بذلك، إنه خطأ القطعة السوداء بالكلية. تواجدت القطعة البيضاء مع القطعة الكبيرة التي غسلت لها وجهها لفترة تمتد لقاربة ربع الساعة (من المرجح أنها تعتني بها جيداً)؛ لذلك لا يمكن أن يكون لها يد في ذلك العبث.

إليك الطريقة التي تغسل بها القطعة دينا وجوه صغارها:

أولاً تحمل تلك المسكينة من أذنّها حيث تتمكّن منها بمخلّب واحد، وبالمخالب الأخرى تفرك بدايةً من الأنف وجهها كله بطريقة خاطئة -والآن فقط كما سبق وقلت -كانت جادةً تمامًا في تنظيف القطة البيضاء، التي لا تزال ترقد هادئةً محاولةً الخرخرة، بلا شك يعطينا كل هذا شعورًا في صالح القطة البيضاء.

لكن دينا كانت قد انتهت من القطة السوداء في وقتٍ باكرٍ بعد الظهيرة، في حين كانت أليس تجلس ملتفة حول نفسها في زاوية الكرسي الضخم ذي المسندين، ما بين النائمة والمتحدثة إلى نفسها، كانت القطة السوداء تحصل على مرح كبير باللعب بكرة صوفٍ تحاول أليس الانتهاء من برمها، تحركها القطة للأعلى وللأسفل إلى أن أصبحت غير مرتبة مرة أخرى، ناشرةً وبر الخيط المعقد والمتشابك على السجادة أمام المدفأة، كانت القطة في وسط الفوضى تطارد ذيلها. تصبح أليس: «أوه! كائنٌ صغير مشاكس وخبيث»، تحمل القطة، تقبلها قبلة خفيفة كي تجعلها تفهم أن ما فعلته مشين. تنظر إلى القطة الكبيرة نظرة توبيخ، متحدثةً بصوتٍ عالٍ بأقصى ما تستطيع «حقًا! كان من الواجب عليك يا دينا أن تعلميها الخلق الحسن! كان من الواجب عليك يا دينا، هل تعلمين؟! كان من الواجب عليك القيام بذلك!»، تعود إلى الكرسي الضخم ذي المسندين، تأخذ القطة والصوف معها، وتبدأ في برم الخيط مرة أخرى. لكنها لم تكن تتقدم بسرعة كبيرة فقد كانت طوال الوقت تتكلم، موجهة حديثها للقطة أحيانًا، ولنفسها في أحيانٍ أخرى.

جلست القطة في رزانة على ركبتها، تتظاهر بمتابعة تقدّمها في برم الصوف، بكل رقة تقدّم مخلبًا واحدًا لتلمس كرة الصوف، كما لو أن بإمكانها تقديم المساعدة.

بدأت أليس في الحديث «هل تعرفين أي الأيام سيأتي به الغد؟». «أظن أنك لو عرفتِ لكنتِ قد جلستِ على النافذة معي، دينا وحدها هي التي تجعلك مهندمةً ونظيفةً، لذلك لم تكوني معي. كنت أشاهد الأولاد يجمعون العصي من أجل موقد النيران، إنه يستلزم حزمًا من العصي يا قطتي! فقط عندما أصبح الجو باردًا جدًّا، وبدأ الثلج في التساقط أيضًا اضطروا إلى الرحيل. لكن لا بأس يا قطتي، سوف نذهب ونشاهد موقد النيران غدًا». تطوق أليس عنق القطة بلفتين أو ثلاث من الخيط الصوفي؛ لتنظر كيف سيبدو عليها. لكن ذلك أدى إلى ارتباك الخيط وتشابكه وجعل الكرة تتدحرج على الأرض، لأمتار وأمتار حتى حُلّت مرة أخرى.

استقرّت أليس واستراحت في جلستها مرة أخرى كما كانت منذ قليل «أتعرفين! كنت غاضبة جدًّا، عندما رأيت كل الأخطاء التي ارتكبتها، كنت على وشك أن أفتح النافذة، وألقيك خارجًا في الثلج! ولقد استحققت ذلك، غير أنك عزيزتي المشاكسة الصغيرة!»، استطردت «ماذا لديك لتبرري لنفسك ما كان؟ والآن لا تقاطعيني!»، تحملها على إصبع واحد، «سأخبرك بأخطائك جميعها؛ أولاً: أصدرت صريرًا مرتين بينما كانت دينا تغسل وجهك هذا الصباح. الآن لا تستطيعين الإنكار، (تتظاهر بأن القطة تتحدث) «قطتي ما الذي

تقولينه؟»، سمعتكِ «مخلبها دخل في عينكِ؟ حسناً، هذا خطأكِ، لأنكِ تركتِ عينكِ مفتوحتين، لو كنتِ أغلقتيهما بشدة، ما كان ذلك ليحدث، والآن لا تختلقي المزيد من الأعذار، استمعي! ثانياً: سحبتِ سنودروب^(٣) من ذيلها بعيداً عندما وضعت صحن الحليب! ماذا، أتقولين كنتِ عطشانة، هل كنتِ؟ كيف لكِ أن تعرفي أنها لم تكن عطشانة أيضاً؟ والآن ثالثاً: حللت كل خيط الصوف بينما لم أكن أنظر».



«ثلاثة أخطاء، ولم تتم معاقبتكِ بسبب أيٍّ منها بعد، تعرفين أنني

(٣) اسم القطة وهو يعني زهرة اللبن الثلجية.

أدخر جميع عقوباتك لأيام الأربعاء»، تتحدث أكثر مع نفسها أكثر مما تتحدث مع القطة وتتهمهم: «من المفترض أنهم قد ادخروا جميع عقوباتي، تُرى ماذا سيفعلون عند نهاية العام؟ أعتقد أنه بحلول ذلك اليوم سيكون من المفترض أن أرسل إلى السجن! أو... دعيني أرى... أعتقد أن كل عقوبة من تلك العقوبات كانت تستلزم أن أمضي ليلتي دون عشاء، لكن في ذلك اليوم البائس سيتوجب عليّ أن أمضي ليلتي من دون خمسين عشاء مرة واحدة. حسناً! لا يجب أن أكثرث بالأمر بدرجة كبيرة! أفضل أن أمضي ليلتي من دونهم بدلاً من أن أمضيها من دون أكلهم على أي حال!».

«هل تسمعين صوت الثلج المتساقط بجانب ألواح النافذة يا قطتي؟ ما لطف وأرق وقع الصوت على الأذن! كما لو أن أحدهم يقبل النافذة من الخارج. أتساءل لو أن الثلج يحب الأشجار والحقول؛ كي يقبلها بهذا الكم من الرفق واللين؟ ويغطيها بكل أناقة بلحافٍ أبيض، وربما يقول لها «اذهبوا إلى النوم أحباي إلى أن يأتي الصيف مجدداً»، وعندما تستيقظ في الصيف يا قطتي، تكتسي جميعها بكساء أخضر زاهٍ، ترقص على أنغام هبات النسيم، أوه...»، تصيح أليس وهي تسقط كرة الصوف كي تصفق بيديها «كم هذا جميل جداً!... أتمنى أن يكون ذلك صحيحاً! أنا متأكدة من أن الغابات تبدو نائمة في الخريف، عندما تصبح الأوراق بنية اللون».

«يا قطتي.. هل يمكنكِ لعب الشطرنج؟ لا تبترسي! الآن! عزيزتي أنا أسألكِ بجدية؛ حينما كنا نلعب منذ برهة، لاحظت كما لو أنكِ

تفهمينها، حينما قلت «كش ملك!» خررت! حسناً، كانت حركة موفقة مني يا قطتي، حقاً كان من الممكن أن أفوز، لولا ذاك الحصان السيئ الذي جاء هاراً أردافه يهرول بين قطعي. يا قطتي العزيزة، دعينا نتظاهر... «، هنا أتمنى لو أستطيع إخبارك بنصف الأشياء التي اعتادت أليس أن تقولها، بدءاً من جملتها المفضلة «دعينا نتظاهر»، بسبب تلك العبارة خاضت أليس مشاجرة طويلة مع أختها، وكل ذلك بسبب أن أليس بدأت بقول «دعينا نتظاهر بأننا ملوك وملكات».. لكن أختها تحب أن تكون دقيقة للغاية مع أليس، جادلتها بأنه لا يمكن لهما ذلك، لأنَّ هناك اثنين فقط منهما، حيث إن أليس اعتادت أن تقول في نهاية المطاف «حسناً، بإمكانك أن تكوني واحدة منهم، وأنا سأكون كل الباقيين»، في إحدى المرات أخافت مربيتها القديمة بالفعل حيث صرخت في أذنيها فجأة وقالت «يا مربيتي! دعينا نتظاهر بأنني ضبع جائع، وأنّ فريسة».

لكن هذا يأخذنا بعيداً عن حديث أليس مع القطة. «دعينا نتظاهر بأنك أنتِ الملكة الحمراء يا قطتي! أتعرفين، أعتقد أنكِ إذا جلستِ وضممتِ ذراعيكِ، ستشبهينها تماماً، والآن جرّبي ذلك يا عزيزتي!» أخذت أليس الملكة الحمراء من على الطاولة، تجهزها لتكون نموذجاً تقلده القطة، بالرغم من ذلك، لم ينجح المخطط مبدئياً، قالت أليس ذلك لأن القطة لم تضمم ذراعيها بشكل صحيح. لذلك أمسكت بها ورفعتها حيث المرأة كي تعاقبها، لتربها كم كانت غير متعاونة.. أضافت قائلة: «إن لم تحسني التصرف على الفور، سأضعكِ داخل

بيت المرأة، ترى! كيف ستجدين ذلك؟».

«أما الآن، إذا تعاونتِ يا قطتي، ولم تتكلمي كثيرًا، سأخبركِ بجميع تصوراتي عن بيت المرأة. أولًا، هناك غرفة يمكنكِ رؤيتها من خلال الزجاج.. تشبه غرفة الرسم لدينا تمامًا، غير أن الأشياء تكون على الجانب الآخر. أستطيع أن أرى كل شيء عندما أعتلي كرسيًا، كل شيء عدا القليل خلف المدفأة. أوه! كم أتمنى لو أستطيع أن أرى ذلك القليل! أريد أن أعرف هل يشعلون نيران المدفأة في الشتاء، لا يمكنكِ القول أبدًا، أتعرفين، إذا ما أوقدتِ النيران لدينا، وتساعد ذلك الدخان، فإنه يتصاعد في تلك الغرفة أيضًا.. لكن من الممكن أن يكون هذا مجرد خداع كما لو كان لديهم نيران. حسنًا، تشبه الكتب كتبنا، تُرسم الكلمات فقط بشكلٍ خاطئ، نحو الاتجاه الآخر المعاكس، أعرف ذلك، لأنني حملت أحد كتبنا نحو الزجاج، ومن ثمَّ وجدتهم يحملون كذلك واحدًا في الغرفة الأخرى.

«ترى إلى أي مدى ستحبين العيش هناك في بيت المرأة يا قطتي؟ أتساءل لو أنهم سيقدمون لكِ الحليب أم ماذا؟ ربما حليب بيت المرأة ليس صالحًا للشرب.. لكن يا قطتي! قد بلغنا الممر الآن. يمكنكِ رؤية القليل من الممر في بيت المرأة، إذا تركتِ باب غرفة الرسم مفتوحًا على مصراعيه، ستجدينه يشبه ممرنا إلى حدٍّ كبير إلى أبعد ما يستطيع نظركِ أن يرى، ولكن كما تعلمين قد يبدو مختلفًا اختلافًا بسيطًا في الجانب الآخر. كم سيبدو لطيفًا لو كان بإمكاننا أن ندخل بيت المرأة يا قطتي! متأكدة من وجود أشياء مبهرة الجمال هناك! دعينا نتظاهر

بوجود طريق نمر عبره إلى هناك، بطريقة ما يا قطتي. دعينا نتظاهر بأن الزواج قد أصبح هشًا تمامًا كما الشاش، بحيث يمكننا العبور من خلاله. أوشك أن أعلن أنه يتحول إلى شيء ما يشبه الضباب، سيكون من السهل العبور من خلاله إلى هناك...»، حين قالت ذلك كانت تعتلي الرف الواقع فوق المدفأة رغم ذلك لم تكد تعرف كيف وصلت إلى هناك، ومن المؤكد أن الزواج كان قد بدأ يتلاشى متبددًا تمامًا كضباب فضي لامع.



عبرت أليس بالفعل عبر الزجاج، قفزت بخفة داخل غرفة المرأة. كان أول ما قامت به بالفعل النظر لمعرفة ما إذا كانت هناك نيران في المدفأة أم لا، كانت سعيدة جدًا عند رؤيتها لنيران مشتعلة حقيقية تشبه تلك التي تركتها من خلفها. تفكر أليس: «من المفترض أن أشعر بالدفع هنا أيضًا كما كنت أشعر به في الغرفة القديمة، في الواقع سأشعر بدفع أكبر لأن لا أحد هنا سيوبخني كي أبتعد عن النيران، يا للمتعة التي سأحصل عليها، عندما يشاهدوني هنا عبر الزجاج، بينما لا يقدر أحدهم على الإمساك بي».

بدأت تفتش في الأرجاء وتنظر حولها، لاحظت أن كل ما كان في استطاعتها رؤيته من خلال غرفتها القديمة عادي وغير مثير للاهتمام، لكن كل شيء آخر قد كان مختلفًا تمامًا. على سبيل المثال، الصور الموجودة على الحائط بجوار المدفأة تبدو على قيد الحياة، والساعة الموجودة على الرف الذي يعلو المدفأة -تعلم أن بإمكانك رؤية الجزء الخلفي منها فقط في المرأة الزجاجية- اتخذت شكل وجه صغير لرجل عجوز، يتسم ابتسامة عريضة لها.

فكرت أليس بينها وبين نفسها حينما لاحظت العديد من قطع الشطرنج في رماد المدفأة في القعر «إنهم لا يحافظون على إبقاء هذه الغرفة مرتبة مثل الأخرى، لكنها في لحظة ما أطلقت القليل من التأوهات من وقع المفاجأة، وجثت على ركبتيها ويديها تراقب قطع الشطرنج التي تتجول في جماعات تتكون كل منها من فردين اثنين.

قالت أليس في همس خشية أن تثير فزعهم «ها هو الملك الأحمر
والملكة الحمراء، وهناك على حافة المجرفة يجلس الملك الأبيض
والملكة البيضاء»^(٤)، وهنا قطعنا رخ تسيران يداً بيد، لا أعتقد أن
بإمكانهم سماعي»، تنزل برأسها إلى الأسفل، «أكاد أجزم في يقين
أنهم غير قادرين على رؤيتي. أشعر كما لو أنني غير مرئية...».



(٤) الملكة: قطعة الوزير.

يبدأ شيء ما في إطلاق صرير على الطاولة بالقرب من أليس،
سرعان ما أدارت رأسها في الوقت المناسب كي ترى واحدة من
البيادق البيضاء تتدحرج وتبدأ في الركل، تنظر إليها بكل فضول كي
تعرف ماذا سيحدث بعد ذلك.

صاحت الملكة البيضاء: «إنه صوت طفلي، ليلي الغالية، قطتي
الإمبراطورية»، هرعت نحو الملك تنكره بعنف ليسقط في الرماد بينما
تندفع بقوة صوب سياج المدفأة.

قال الملك متحسباً أنفه الذي أصيب جراء السقوط: «إمبراطورية
واهية!». بالطبع لديه كل الحق أن ينزعج قليلاً من الملكة، فقد أصبح
مغطى بالرماد من رأسه إلى أخمص قدمه.

تاقت أليس إلى تقديم أي مساعدة قد تفيد، خاصةً أن ليلي
الصغيرة المسكينة كانت تبكي بكاءً أقرب إلى نوبات الصراخ، لذلك
التقطت أليس الملكة على الفور ووضعتها على الطاولة بجانب ابنتها
الصغيرة الصاخبة.

أخذت الملكة تلهث، حيث إن رحلتها السريعة في الهواء قد
سحبت منها أنفاسها، لم تستطع فعل أي شيء لما يقرب من الدقيقة
أو الدقيقتين سوى الجلوس واحتضان ابنتها الصغيرة في صمت تام،
وبمجرد أن استعادت أنفاسها قليلاً، صاحت على الملك الأبيض
الذي يجلس عابساً بين الرماد «احذر البركان!».

ينظر الملك نحو الأعلى إلى النيران بكل اضطراب قائلاً: «أي بركان؟»، كما لو كان يعتقد أن هذا هو المكان الأكثر احتمالاً للعثور على واحد.

قالت الملكة وهي تلهث: «لقد حملني.. إلى.. الأعلى»، كانت لا تزال مسحوبة الأنفاس، «هل تمانع في أن تأتي إلى الأعلى.. الطريقة العادية.. لا تُفلح».

رأت أليس كم كان الملك الأبيض بطيئاً وهو يكافح في الصعود من جزء إلى آخر، حتى قالت في النهاية «لَمْ كل هذا العناء؟ بهذا المعدل ستأخذ ساعات وساعات حتى تصل إلى الطاولة. من الأفضل أن أساعدك، أليس كذلك؟» لكن الملك لم ينتبه للسؤال، كان من الواضح تماماً أنه غير قادر على سماعها أو رؤيتها.



التقطته أليس برفقٍ شديد، وجعلته يعبر على نحوٍ أبطأ مما فعلت مع الملكة حين التقطتها وحملتها وعبرت بها، حتى لا تتسبب في اضطراب أنفاسه، لكن قبل أن تضعه على الطاولة، فكرت لو أن بإمكانها تنظيفه قليلاً، حيث كان مغطى بالرماد.

ذهبت إلى أنها طوال حياتها لم ترقط تعبيرات مثل تلك التي كانت مرسومة على وجه الملك، عندما وجد نفسه هائماً في الهواء محمولاً بيد غير مرئية، يُزال الرماد من عليه، كان فرعاً، يكاد أن يجهش في البكاء، عيناه وفمه أخذت في الكبر والاستدارة شيئاً فشيئاً، اهتزت يداها من فرط الضحك وكاد أن يسقط الملك منها على الأرض.

صاحت: «أوه! من فضلك يا عزيزي لا تقم بمثل تلك التعبيرات، جعلتني أضحك بشدة فأصبح من الصعب عليّ حملك، لا تبقِ فمك مفتوحاً على اتساعه هكذا، ستدخل كل ذرات الرماد فيه. الآن قد صرت مهنّداً ونظيفاً على نحوٍ مُرضٍ». كانت قد نسيت تماماً أن الملك لا يمكنه سماعها، مسحت على شعره، ووضعتة على الطاولة قرب الملكة.



سقط الملك في الحال مسطحًا على ظهره، لا يبدي أي حركة،
توترت أليس عندما أدركت ما فعلته، فدارت في أرجاء الغرفة تبحث
لو أن بإمكانها إيجاد ماء كي ترشه عليه، لكنها لم تجد شيئًا سوى
قنينة خمر، عندما عادت بها إليه، وجدته قد تعافى، كان هو والملكة
يتهامسان في خوف، تستطيع أليس بالكاد سماع ما قالوا.

كان الملك يقول: «أؤكد لك يا عزيزتي، تجمدت حتى نهايات
شاربي»، ردت عليه الملكة: «لم يكن لديك أي شارب»، لكن استطرد
الملك قائلاً: «أبدًا لن أنسى رعب تلك اللحظة، من المحال أن أنسى،
ردت الملكة قائلة: «إن لم تدونها في دفتر الذكريات، فستنسى رغم
ذلك»

تابعت أليس ما يجري باهتمام بالغ حيث أخرج الملك دفتر ذكريات ضخماً من جيبه، وشرع في الكتابة. لكن طرأت لها فكرة مفاجئة، أمسكت بطرف القلم الرصاص الذي كان محاذياً لكتف الملك، وبدأت تكتب له.

بدا الملك المسكين غير سعيد وفي حيرة من أمره، حاول لبعض الوقت تحريك القلم الرصاص من دون أن يشكو من أي شيء؛ لقد كانت أليس بالغة القوة بالنسبة له، في النهاية قال للملكة وهو يلهث: «عزيزتي! يجب أن أحصل حقاً على قلم أكثر رفعة. لا أستطيع التحكم في هذا، إنه يكتب أشياء غير تلك التي أقصدها بالكلية.

قالت الملكة: «أي نوع من الأشياء؟»، تنظر إلى الدفتر (كانت أليس قد دونت فيه) «ينزلق الفارس الأبيض في لعبة البوكر، توازنه سيء للغاية) «هذه ليست خواطرك!».

بينما كانت أليس تراقب الملك الأبيض، حيث كانت لا تزال قلقة بشأنه، مستعدة للإلقاء الحبر عليه في حال إغمائه مرة أخرى، لاحظت كتاباً موضوعاً بجواره على الطاولة، فتحت أوراقه لعلها تجد ما يمكنها قراءته...

قيشماو قلافو تلاثيح.. قفشلاناك
قير طلار فحشبيننا كيرت
قيسو بلالكمه لانا كفو جور بلا
قيوبتلا امكعبيقيلز نلاهتاتثار لاو



احتارت أليس لبعض الوقت، خاطبت نفسها قائلة: «من الواضح أن كل هذا مكتوب بلغة لا أعرفها»، لكن فكرة لامعة خطرت على بالها: «أعرف لماذا لا أستطيع القراءة، إنه بيت المرأة، بالطبع! إذا ما أمسكت به ووضعت أمام المرأة، فسترسم الكلمات في اتجاهها الصحيح مرة أخرى».

قرأت أليس القصيدة...

الـجـاـبـر و كـي

كان الشفق.. حيث التوف القوامشيق

ترى من كان ينبش حفر الطريق

يا له من يوم رائع! مرحى مرحى
أخذ يقهقه ويقهقه في كل منحنى



فور انتهاء أليس من قراءة القصيدة قالت «إنها جميلة للغاية، ولكن من الصعب فهمها»، (لعلك لاحظت بالتأكيد أن أليس لا تحب الاعتراف حتى لنفسها، أنها لا تستطيع فهمها بالكلية)، «بطريقة ما، جعلت تلك القصيدة الأفكار تتوارد إلى ذهني وتملاً رأسي، لا أعرف تحديدًا ما هي تلك الأفكار، لكن في كل الأحوال من الواضح أن أحدًا ما قد قتل شيئًا ما».

هَبَّت أليس من مكانها: «أوه، لو لم أسرع الآن كي أستكشف بقية البيت الزجاجي، سأعود قبل أن أرى أي شيء! دعني أُلقي نظرة على الحديقة أولًا»، في لحظة كانت قد خرجت من الحجرة، تجري مسرعة على الدرج إلى الأسفل. لكنه لم يكن جريًا بالمعنى الحرفي للكلمة، لقد كان اختراعًا جديدًا كي تنزل الدرج بسرعة وسهولة أكبر، كما قالت لنفسها.

جعلت أطراف أصابعها على الدرايزين، ووثبت برشاقة للأسفل دون حتى أن تلمس قدمها السلم، ثم طافت بخفة في الصالة، ثم اتجهت إلى الخارج مباشرة نحو الباب بالطريقة نفسها، لو لم تمسك بإطار الباب، لكانت أُصيبت بدوار جراء الطفو في الهواء، كانت سعيدة نوعًا ما، عندما وجدت نفسها تمشي مرة أخرى بالطريقة الطبيعية.



الفصل الثاني

حديقة الزهور الحية



تفكر أليس بينها وبين نفسها «أعتقد أن رؤيتي للحديقة سوف تكون أفضل إذا ما تمكنت من الوصول إلى قمة التل، أعتقد أن هذا الطريق سيؤدي إلى قمة التل مباشرة»، لكن بعد عدة خطوات على طول الطريق وبعد بضعة انعطافات حول زوايا الطريق الحادة قالت: «لا.. هذا الطريق لن يؤدي مباشرة إلى الحديقة، من المفترض أن يوصلني، لكن تلك الانعطافات مثيرة للفضول! إنه يشبه مثقاب الزجاجات اللولبي أكثر مما يشبه الطرق! حسنًا، لا يهم طالما سيؤدي إلى التل، أم لعله لن يؤدي إليه!! إنه يعيدني مباشرة إلى بيت المرأة! حسنًا سأجربه بطريقة أخرى».

أخذت تطوف صعودًا وهبوطًا، تنعطف وتدور، لكن كل المحاولات تعيدها مرة ثانية إلى بيت المرأة، تمامًا مثلما حدث أول مرة. لكن في الواقع، وفي مرة من مرات انعطافها، انعطفت بسرعة أكبر من تلك السرعة المعتادة، ركضت عبر المنعطف قبل أن تتمكن من إيقاف نفسها.

تنظر أليس إلى بيت المرأة وتتظاهر كما لو أنها تتجادل معه: «لا فائدة من الحديث عن ذلك، لن أذهب مرة ثانية إلى هناك مطلقًا، أعلم أنني يجب أن أعبر من خلال الزجاج ثانية، وأعود إلى الغرفة القديمة، وبذلك فهذه هي نهاية جميع مغامراتي!».

عادت في حزمٍ إلى بيت المرأة باعتباره نقطة البداية، لكنها كانت قد عزمَت أمرها على أن تسلك ذلك الطريق مرة أخرى، عاقدة النية

على أن تمشي باستقامة كي تصل إلى التل في النهاية، كانت تردد: «سأصل هذه المرة، يجب أن أصل حقاً هذه المرة»، لكن الطريق اهتز فجأة وحده ودار - كما وصفت ما حدث بعد ذلك -، حتى وجدت نفسها تسير تجاه باب بيت المرأة.

تصرخ: «أوف! هذا سيئ للغاية! لم أر بيتاً من قبل يعتمد التدخل ومنعي».

ما من حيلة لديها سوى أن تبدأ من جديد، التل يقع على مرمى البصر في الأفق. هذه المرة وجدت نفسها عند حوض زهور واسع، تطوقه زهور الأقحوان، وفي منتصفه تنمو شجرة صفصاف.

تهمهم أليس محدثة زهرة تتمايل مع النسيم وكأنها تلوح لها: «يا زنبق النمر، كم أتمنى لو أن بإمكانك التحدث!»، لكن على غير المتوقع ترد زنبق النمر: «يمكننا التحدث، فقط عندما يوجد من يستحق الحديث».

اندهشت أليس لدرجة أنها لم تستطع التحدث لدقيقة كاملة تقريباً، بدا الأمر كما لو أن ما حدث قد أدهشها إلى درجة فقدان النطق، إلا أن زهرة زنبق النمر أخذت تلوح لها، ما جعل أليس تتحدث مرة أخرى لكن بصوتٍ مرتعشٍ أقرب إلى الهمس: «هل تستطيع جميع الزهور التحدث؟».

ردت زنبق النمر: «مثلما يمكنك الحديث تماماً، وبصوتٍ رنان...»، لكن الوردة استطردت قائلة: «غير أن شيمتنا عدم البدء بالحديث كما

تعليمين، ولقد كنت أتساءل متى ستبدئين بالحديث وقد قلت لنفسني «وجهها يُظهر ملمحاً ما، غير أنه ليس ملمح براعة!»، إلا أنها على أي حال لا تزال تحمل اللون الصحيح، وهذا يقطع شوطاً طويلاً».

أضافت زنبق النمر ملحوظة: «في الحقيقة لا أكثرث باللون، لو أن بتلاتها التفت للأعلى قليلاً فقط، ستكون على ما يرام».

لم يعجب أليس تعرضها للانتقاد، لذلك بدأت في طرح بعض الأسئلة: «ألا تخافين من كونكِ مزروعة هنا في الخارج، دون أن يوجد من يريكِ؟».

أجابتها الوردة: «هناك شجرة في المنتصف، هل هناك ما هو أفضل من ذلك؟».

سألت أليس: «لكن ماذا يمكنها أن تفعل إذا ما واجهكم خطر ما؟»
قالت الوردة: «يمكنها أن تصدر حفيفاً عالياً».

ردت زهرة أقحوان: «نعم إنها تقول (بووه-فووه) ترى لماذا سميت فروعها بذلك الاسم إذن!».

صاحت زهرة أقحوان أخرى: «ألم تكوني تعرفين ذلك؟».

عند هذا بدأت جميعاً في الحديث معاً، إلى أن بدا وكأن الهواء قد صار معبقاً بصيحات صاخبة نوعاً ما، هتفت زنبق النمر وهي تحرك نفسها في انفعال من جانبٍ إلى جانب، وترتجف بشيء من الإثارة: «الزموا الصمت»، تشني رأسها المرتجف تجاه أليس وتلهث قائلة: «تعرف أنه لا يمكنني الوصول إليها، لولا ذلك ما كان تجرّأ على فعل

ذلك»، تهدئها أليس بنبرة صوتٍ حانية: «لا تكثرثي»، إلا أن زهور الأقحوان بدأت في الحديث ثانيةً، أخفضت أليس من رأسها نحوها وهمست: «إن لم تمسكوا ألسنتكم عن الحديث، سأقطفكم»، ساد الصمت في الحال، تحولت العديد من زهور الأقحوان من اللون الوردي إلى اللون الأبيض.

قالت زنبقة النمر: «نعم، الأقحوان أسوأنا جميعاً، عندما نتحدث واحدة منها، تشرع جميعاً في الحديث، وهذا بالطبع كافٍ لجعل الواحد يكاد يصاب بالشلل والذبول من متابعة الطريقة التي تواصل بها».

عقبت أليس آملةً في أن تحسن من المزاج العام عن طريق المجاملة: «كيف لكم أن تتحدثوا بذلك القدر من اللطف، لقد مررت بالعديد من الحداثق من قبل، ولم ألمح أي زهرة يمكنها الحديث».

قالت زنبق النمر: «ضعي يديك على الأرض، اشعري بها، وستعرفين لماذا»، قامت أليس بذلك بينما تقول: «هذا صعبٌ للغاية، أنا لا أعرف ما علاقة هذا بذاك»، أجابتها زنبق النمر: «في معظم الحداثق، يجعلون حوض الزهور ناعماً للغاية كالسرير، لذلك تبقى الزهور نائمة دائماً». بدا ذلك سبباً وجيهاً، وبدت أليس سعيدة لمعرفتها ذلك حيث قالت: «لم أفكر أبداً في ذلك السبب من قبل»، غير أن الوردة صاحت بلهجة حادة: «في رأيي أنتِ لا تفكرين مطلقاً من الأساس»، قالت زهرة البنفسج بشكل مفاجئ: «لم أقل أبداً أن

هناك من بدا أغبى من ذلك»، ما جعل أليس تنتفض نوعاً ما حيث إن تلك الزهرة لم تتحدث من قبل، صاحت زنبق النمر: «امسكي لسانك!.. يبدو ذلك كما لو أنك قد رأيت أي أحد من قبل! إنك تبقين رأسك أسفل الأوراق، وتغطين في سبات عميق، إلى درجة ألا تعرفي شيئاً مما يحدث في العالم، كما لو أنك برعم غريب».

قالت أليس وقد اختارت ألا تعير انتباهاً لآخر ما قالته الوردة: «هل هناك المزيد من الأشخاص في الحديقة بالإضافة لي؟».

ردت الوردة: «هناك زهرة أخرى في الحديقة يمكنها أن تتحرك مثلك، أتعجب كيف تفعلين ذلك! (قالت زنبق النمر «أنت دائماً تتعجبين») لكن لديها شعر أكثر من شعرك»، سألت أليس بحماسة بالغة «هل تشبهني؟» - فكرت في أن هناك فتاة صغيرة أخرى مثلها في الحديقة في مكان ما.

قالت الوردة: «حسناً، إن لديها نفس شكلك الغريب، لكنها أكثر احمراراً، وبتلاتها أقصر على ما أعتقد».

قاطعتها زنبق النمر «بتلاتها مصففة للأعلى مثل زهرة الأضاليا، ليست غير مهندمة مثل بتلاتك، منكوشة في كل اتجاه».

أضافت الوردة في عطف: «هذا ليس خطأك، كما تعرفين، لقد بدأت في الذبول، في تلك الأثناء لا يمكن لأحدهم أن يفعل شيئاً حيال بتلاتها غير المهندمة».

لم تستغ أليس الحديث مطلقاً، فسألت كي تغير الموضوع:

«هل تأتي إلى هنا؟».

قالت الوردة: «أحسب أنك ستلتقين بها قريبًا، إنها واحدة من جنسٍ يمتاز بالأشواك»، سألت أليس بكل فضول: «أين ترتدي تلك الأشواك؟»، ردت عليها الوردة «بالطبع حول رأسها كله، أتعجب من أنك لا تحظين ببعض من تلك الأشواك كذلك، اعتقدت أن هذا هو النمط السائد».

صاحت نبتة العايق: «إنها قادمة، أسمع خطواتها، دب، دب، دب، على طول الممر الحجري!».

أدارت أليس رأسها بلهفة لتتظر، تكتشف أن القادمة هي الملكة الحمراء... «لقد نمت بدرجةٍ كبيرة»، كانت تلك الجملة هي أول ما تلفظت به أليس، حيث كان طول الملكة الحمراء عندما رأتها أليس لأول مرة في الرماد، لا يتعدى الثلاث بوصات، أما الآن وهنا فقد صارت أطول من أليس نفسها بقرابة نصف رأس.

قالت الوردة: «إنه الهواء المنعش الذي يفعل ذلك، إنه الهواء النقي الرائع الموجود هنا في الخارج».

قالت أليس: «أعتقد أنني سأذهب للقائها»، على الرغم من أن الزهور قد أبدت اهتمامًا كافيًا، إلا أن أليس شعرت أن الأمر سيكون مهيبًا للتحدث مع ملكة حقيقية.

قالت الوردة: «لا يمكنكِ فعل ذلك، أنصحكِ أن تسيري في الاتجاه الآخر».

بدا هذا هراء لأليس، لذلك لم تعقب بشيء، انطلقت على الفور
تجاه الملكة الحمراء. لكن إذ فجأة فقدت أليس في لحظة كل أثر
للملكة، ووجدت نفسها تمشي تجاه الباب الأمامي ثانية.
استثار ذلك غيظها، عادت إلى الخلف، وبعد أن بحثت عن الملكة
(التي كانت قد انتشلتها ونقلتها قبل ذلك عبر طريق طويل) في شتى
النواحي، فكرت هذه المرة في تجربة خطة السير عكس الاتجاه.



نجحت الخطة بشكل رائع، لم تتعد دقيقة من السير، ووجدت نفسها أمام الملكة الحمراء وجهاً لوجه، وقد صارت عند التل الذي كانت تهدف الوصول إليه منذ وقت طويل.

قالت الملكة الحمراء: «من أين أتيت؟ وإلى أين أنت ذاهبة؟ انظري إلى الأعلى، تحدثني بلطف، وكفي عن الضغط على أصابعك والعبث بها طوال الوقت».

التزمت أليس بكل التوجيهات، وأوضحت على قدر الإمكان أنها قد ضلّت طريقها.

قالت الملكة: « لا أعرف ماذا تعنين بكلمة طريقي، كل الطرق هنا تخصني أنا»، لكنها أضافت بلهجة ألطف: «لماذا خرجتِ إلى هنا على أي حال؟ انحني بينما تفكرين فيما ستقولين، هذا يوفر الوقت».

تعجبت أليس قليلاً من ذلك، لكنها كانت في غاية الرهبة من الملكة ولا تمتلك الجرأة لتكذيبها، تفكر مع نفسها «سأجرب هذا عند ذهابي إلى المنزل، المرة القادمة عندما أتأخر قليلاً عن موعد العشاء».

قالت الملكة وهي تنظر في ساعتها: «الآن حان الوقت لكي تجيبي، افتحي فمك قليلاً عند الحديث، ودائمًا قولي «جلالة الملكة»».

«فقط أردت أن أرى كيف تبدو الحديقة، جلالة الملكة...».

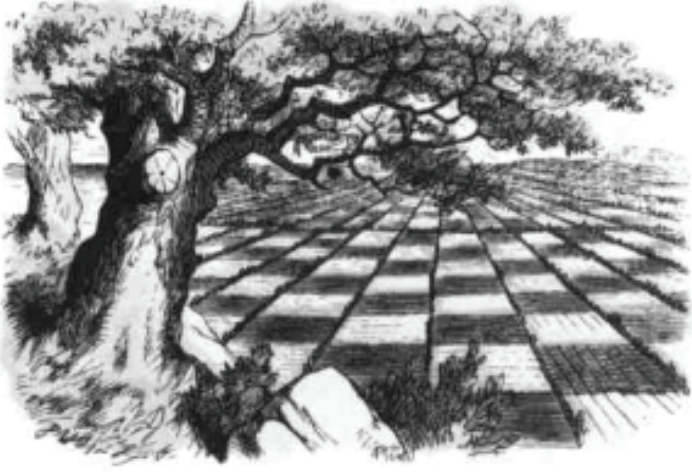
قالت الملكة: «حسنًا» وهي تربت على رأس أليس، التي لم تحب ذلك مطلقاً، «برغم من أنكِ قلت «حديقة»، فقد رأيت حدائق، عند مضاهاتها بها، ستبدو هذه كبيرةً موحشةً».

لم تجرؤ أليس على مناقشة تلك النقطة، فاستطردت قائلة:
«...وتقريبًا حاولت أن أجد طريقًا للذهاب إلى قمة التل...»، قاطعتها
الملكة: «بإمكاني أن أريك تلالًا، عند مضاهاتها به، فستدركين أن ما
تحدثين عنه يجب أن تسميه واديًا»، فاجأت أليس الملكة بمعارضتها
الكلية لها في النهاية، حيث قالت: «لا، لا، هذا مستحيل، التل لا يمكنه
أن يكون واديًا، كما تعرفين، هذا هراء...».

هزت الملكة الحمراء رأسها وقالت: يمكنك تسميته هراء إن
شئت، لكنني سمعت هراء، عند مضاهاته به، سيبدو هذا في عقلانية
قاموسٍ للغة!».

انحنى أليس مجددًا، حيث كانت خائفة من نبرة الملكة المستاءة
قليلاً، سارتا في صمت حتى وصلتا إلى قمة التل الصغير.

وقفت أليس دون أن تتكلم لبضع دقائق، تتفقد كل الاتجاهات
المطلّة على البلدة، حيث بدت كأكثر البلدان إثارةً للفضول، هناك
عدد من الجداول الصغيرة تجري عبرها من جنب إلى جنب، الأرض
فيما بينها مقسمة إلى مربعات بواسطة تحاوطات خضراء صغيرة،
مبسوطة من جدول إلى جدول.



قالت أليس في النهاية: «أكاد أجزم أنها مُنسقة مثل لوحة شطرنج كبيرة! بالتأكيد هناك بعض الرجال يتحركون في مكان ما»، ثم أضافت بنبرة فيها شيء من البهجة: «ها هم هناك!»، بدأ قلبها ينبض بسرعة جراء حماسة ما تمر به. «إنها جولة هائلة من الشطرنج تُلعب في جميع أرجاء العالم، إن كان هذا هو كل العالم، فيا لها من متعة! كم أتمنى أن أكون واحدة منهم! لن أمانع حتى إن صرت بيدقًا، من أجل المشاركة فقط، على الرغم أنني أفضل بالطبع أن أكون ملكة»، ثم تطلعت بعينها في خجل إلى الملكة الحقيقية، لكن رفيقتها ابتسمت بترحاب وقالت: «من السهل تدبير ذلك، من الممكن أن تصيري بيدقًا للملكة البيضاء، إن أردت، حيث إن ليلى لا تزال صغيرة جدًا على اللعب، أنت الآن في ساحة المربع الثاني، عندما تصلين إلى ساحة المربع الثامن ستصبحين ملكة». في هذه اللحظة، بطريقة ما أو أخرى، بدأنا الجري.

لم تتمكن أليس أبداً من استيعاب الأمر، بالتفكير فيه بعدئذ، كيف بدأ! كل ما تذكره هو أنهما كانتا تجريان يداً بيد، والملكة كانت تمضي بسرعة فائقة، وجل ما استطاعت فعله هو أن تواكبها، والملكة لا تزال تهتف: «أسرع! أسرع!»، لكن أليس شعرت أنها لن تتمكن من المضي أسرع، لقد انقطعت أنفاسها إلى الحد الذي لم تستطع معه قول ذلك.

أكثر ما في الأمر إثارةً للفضول، هو أن تلك الأشجار والأشياء الأخرى المحيطة بهما لم تتغير أماكنها مطلقاً، مهما مضيتا مسرعين، لم يبدُ أبداً أنهما قد تخطيتا أي شيء منها. قالت أليس في حيرة من فرط التفكير: «لعلي أتساءل ما إذا كانت جميع الأشياء تمضي قدماً معنا؟»، بدت الملكة كأنما لا تبالي بأفكارها وصاحت: «أسرع! لا تحاولي التحدث!».

لم تملك أليس أدنى حد من القوة للقيام بذلك، شعرت كما لو أنها لن تتمكن من التحدث ثانية، تلهث مقطوعة الأنفاس، والملكة لا تزال تصيح: «أسرع! أسرع!» وتجرها، استطاعت أليس أن تلفظ أنفاسها أخيراً وتقول لاهثة: «هل أوشكنا على الاقتراب؟».

كررت الملكة: «أوشكنا على الاقتراب! لماذا! لقد تخطيناها منذ عشر دقائق، أسرع!»، ركضتا لبعض الوقت في صمت، أولعت أليس بصفير الرياح في أذنها، وبطائر شعرها من على رأسها المصاحبان للجري.

صاحت الملكة: «الآن! الآن!.. أسرع! أسرع»، انطلقتا بسرعة فائقة كادت أن تصبحا في النهاية محمولتين على الهواء، بالكاد تلمسان الأرض بأقدامهما، إلى أن أصاب أليس الإنهاك الشديد فجأة، توقفتا، وجدت أليس نفسها ملقاة تمامًا على الأرض، مقطوعة الأنفاس ومصابة بالدوار.

أسندتها الملكة إلى شجرة وقالت بعطف: «يجب أن تستريح الآن قليلًا»، نظرت أليس حولها في اندهاش تام «أكاد أجزم أننا قد كنا وما زلنا أسفل هذه الشجرة طوال الوقت! كل شيء على ذات الحال الذي كان عليه»، قالت الملكة: «بالطبع هو ذلك! ما الذي يدور ببالك؟».



قالت أليس وهي لا تزال تلهث قليلًا: «حسنًا، في بلدي عادةً ما تصلين إلى مكان آخر، إذا ما انطلقتِ بتلك السرعة الفائقة لوقت

طويل مثل ذلك، كما كنا نفعل».

قالت الملكة: «بلد من نوع بطيء!.. الآن، هنا، كما تلاحظين، يتطلب الأمر أقصى قدر تستطيعه من الجري كي تظلي حتى في المكان نفسه، إن أردت الوصول إلى مكان آخر، يجب أن تسرع أكثر من ذلك بمرتين على الأقل!».

قالت أليس: «من فضلك! أفضل ألا أحاول.. أنا راضية تمامًا عن البقاء هنا، فقط أشعر بالحر الشديد والعطش!»، قالت الملكة بهدوء مخرجة صندوق صغير من جيبها: «تأكلين بسكويت؟».

فكرت أليس في أنها لو قالت «لا» فسينم هذا عن سلوك يخلو من التحضر والتهذيب. وهو ما لا ترجوه مطلقاً؛ لذلك تناولت البسكويت من الملكة، وأكلت منه بقدر ما استطاعت، لأنه قد كان جافاً جداً، لقد شعرت أنها لم تكن أبداً قريبة للغاية من الاختناق طوال حياتها مثلما هو الحال الآن.

قالت الملكة: «بينما تستعيدين حيوتك، سأخذ بعض القياسات فقط»، تناولت شريط قياس من جيبها، مدرج بالبوصات، ثم شرعت في قياس الأرض، تثبت أوتاداً صغيرة هنا وهناك.

أردفت قائلة وهي تضع وتدًا لتعلم المسافة: «في نهاية الياردتين.. يجب أن أعطيك الاتجاهات الخاصة بك، هل تأكلين بسكويتة أخرى؟».

قالت أليس: «لا، شكرًا.. واحدة كافية جدًا!».

استطردت الملكة قائلة: «آمل أن يكون عطشك قد ارتوى!»، لم تعرف أليس بماذا ترد على ذلك، لكن لحسن الحظ لم تنتظر الملكة إجابة وأكملت حديثها، «بنهاية الثلاث ياردات، يجب أن أكررها، خوفاً من نسيانها، بنهاية الياردة الرابعة سأقول لك وداعاً، وبنهاية الخامسة، يجب أن أذهب».

كانت قد ثبتت كل الأوتاد بحلول ذلك الوقت، نظرت إليها أليس باهتمام بينما عادت إلى الشجرة، ومن ثم بدأت السير ببطء على طول الصف.

عند وتد الياردة الثانية التفت الملكة وقالت: «يسير البيدق مربعين في أول حركة له، كما تعرفين، لذلك ستذهبين بسرعة إلى المربع الثالث بواسطة القطار، وستجدين نفسك بمحيط المربع الرابع في لمح البصر. حسناً، ذلك المربع يخص تويدل دوم وتويدل دي، والمربع الخامس في الغالب ماء، أما السادس فهو يخص هامبتي دامبتي، لكن لماذا لم تعقبني على أي شيء؟».

تلعثمت أليس: «أنا.. أنا لم أكن أدري أنه يجب علي ذلك»، «بالتأكيد كان لزاماً عليك أن تقول لي: لقد كان ذلك كرمًا شديدًا منك أن تعلميني بكل هذا، على كل حال فلنفترض أنك عقيبت، المربع السابع كله غابة، وعلى أي حال ستجدين هناك أحد الفرسان، سيريك الطريق، وفي المربع الثامن سنكون ملكات معاً، هو مربع كله احتفالات ومتعة!»، نهضت أليس لتحياي الملكة ثم عادت لتجلس ثانية.

عند الوند الؤالي الؤؤؤ مرة أخرى ؤيؤ ؤالؤ هؤه المره: «ؤؤؤي بالفرنسية عنءما لا ؤسؤييين الؤؤكير في شيء بالإنجليزية، اءعلي أصابع قءميؤ للؤارج بينما ؤسيرين، وؤؤكري من أنؤ!»، لم ؤنؤظر أليس لؤنؤني هؤه المره، سارؤ بسرهه إلى الوند الؤي يليه، الؤؤؤ للؤؤة كي ؤقؤل: «وؤاعًا»، ثم ركؤؤ بأقصى سرهه.

كيف ؤؤؤ هؤا؟! لم ؤؤرك أليس ذؤك مؤلقًا، لكنها عنءما وؤلؤ إلى آخر وؤؤ ؤؤيؤًا، كانت قء مؤؤ. لا ؤوؤء وؤيله لؤؤمين ما إذا كانت قء ؤلاؤؤ في الهواء، أم أنها قء ركؤؤ بسرهه إلى ؤاؤل الأيكة (بالفعل بإمكانها الركؤ سريعًا ؤؤًا).

بؤأؤ أليس في ؤؤكر أنها قء صارؤ بيؤقًا، وأن عليها الؤؤرك في أقرب وؤؤ.



الفصل الثالث

حشرات بيت المرأة



بالطبع كان أول شيء فعلته هو القيام بمسح شامل للبلدة التي
ستسافر عبرها، فكرت أليس في الوقوف على رؤوس أصابع قدميها
آملة أن ترى ما هو أبعد قليلاً «يشبه ذلك إلى حد كبير تعلم الجغرافيا،
أنهار رئيسة.. لا يوجد أي منها، جبال رئيسة.. أنا أعتلي الجبل الوحيد،

لكنني أعتقد أنه بلا اسم، مدنٌ رئيسة.. ماذا، ما هذه المخلوقات التي تصنع عسلًا هناك؟ بالطبع لا يمكن أن تكون مجرد نحل، لا يمكن لأي أحد مطلقًا أن يرى نحلًا على بعد ميل»، وقفت لبعض الوقت صامتة تتابع واحدًا منها وهو يتنقل بين الكثير من الزهور، يغرز خرطوميه فيها، تفكر أليس قائلة «يتصرف كما لو كان نحلة عادية».

على كل حال، من الممكن أن يكون هذا أي شيء عدا أن يكون نحلة عادية، في الواقع هو فيل، لقد أدركت أليس ذلك سريعًا، على الرغم من أن الفكرة قد أثارت دهشتها في البداية، إلا أن فكرتها التالية كانت تساؤلًا حول «ماهية تلك الزهور الهائلة! هي تشبه بيوتًا قد انتزعت أسقفها، ووضعت على سيقان نباتية، وما كميات العسل التي من الممكن أن تنتجها! أعتقد أنني سأمضي نحو الأسفل و...، لا، لن أفعل ذلك حاليًا»، أخذت في مراجعة نفسها بمجرد أن بدأت في الجري نحو أسفل التل، محاولة العثور على بعض الأعذار لشعورها المفاجئ بالجبين، «يجب ألا أذهب إلى الأسفل دون فرع شجرة طويل متين كي أهشها بعيدًا، ويا لها من متعة عندما يسألونني عن مقدار استمتاعي بنزهتي، حتمًا سأجيب «أوه! أجدها شديدة المتعة بما فيه الكفاية...» (وهنا حدث ما أصاب عقلها بالدوار)، أصبح الطقس حارًا ومتربًا جدًا، والأفيال أصبحت هائجة أيضًا!».

قالت أليس بعد برهة «أعتقد أنني سأذهب عبر الطريق الآخر، وربما أزور الأفيال في وقت لاحق، إلى جانب أنني أريد حقًا أن أصل إلى المربع الثالث!».

لذلك واستنادًا لهذا المبرر ركضت إلى أسفل التل قافزة من فوق أول ستة جداول مياه صغيرة.

قال الحارس وقد أدخل رأسه عبر النافذة: «التذاكر من فضلكم!». في التو أصبحت التذاكر في أيدي الجميع بالفعل، كانت أحجامهم جميعا متقاربة، في نفس أحجام البشر، وقد ملؤوا كل العربة تقريبًا.

ينظر الحارس ممتعًا إلى أليس ويقول: «الآن إذن! أريني تذكرتك أيتها الطفلة»، وإذ بالعديد من الأصوات تهتف في نفس الوقت (كما الجوقة -مثلما اعتقدت أليس) «لا تدعيه ينتظر طويلًا أيتها الطفلة! حيث إن الدقيقة الواحدة من وقته تكلف ألف جنيه!»

قالت أليس بنبرة خائفة: «أخشى أنني لم أحصل على واحدة، لم يكن هناك مكتب تذاكر في المكان الذي أتيت منه، علا صوت الجوقة مرة أخرى: «لم يكن هناك حيز الواحد في المكان الذي جاءت منه، بوصة الأرض الواحدة هناك تكلف ألف جنيه!».

قال الحارس: «لا تختلقي أعذارًا، كان لزامًا عليك أن تشتري واحدةً من سائق القاطرة»، واصل صوت الجوقة لمرة أخرى: «الرجل الذي يسوق القاطرة، حيث إن نفخة الدخان الواحدة تكلف ألف جنيه!».

أخذت أليس تفكر مع نفسها: «إذن! لا فائدة من الحديث»، لم تشارك الأصوات هذه المرة، حيث إنها لم تتحدث، لكن ما أثار دهشتها، أنهم جميعًا فكروا معًا كجوقة (آمل أن تفهموا ما معنى فكروا

معًا كجوقة، بالنسبة لي أعترف أنني لا أفهم معنى فكروا معًا كجوقة)،
«من الأفضل عدم النطق بشيء على الإطلاق، حرف اللغة الواحد
يكلف ألف جنيه!». .

أخذت أليس تفكر: «سأحلم بألف جنيه الليلة، أعلم أنني سأحلم». .
طوال هذا الوقت كان الحارس ينظر إليها، أولاً من خلال
تلسكوب، ثم من خلال مجهر، ثم من خلال نظارات الأوبرا، قائلاً في
النهاية: «أنتِ تسافرين عبر الطريق الخطأ»، ثم أغلق النافذة ورحل.
تحدث الرجل الجالس قبالتها (كان في رداء من أوراق بيضاء):
«الطفلة الصغيرة جدًا يجب أن تعرف إلى أي مكان ستذهب، حتى لو
لم تكن تعرف اسمها!». .

إلى جانب الرجل الذي يرتدي الأوراق البيضاء جلس ماعز،
أغلق عينيه وقال بصوت عالٍ: «يجب أن تعرف طريقها إلى مكتب
التذاكر، حتى لو لم تكن تعرف الأبجدية!». .

إلى جانب الماعز كانت تجلس خنفساء (إنها عربة غريبة الأطوار
ملئية بركاب من نفس هذه الشاكلة معًا)، ويبدو أن القاعدة العامة هي
أن يتحدثوا تباعًا، حيث قالت الخنفساء بدورها: «يجب أن تعود
أدراجها من هنا مثلها كمثل الأمتعة!». .

لم تتمكن أليس من رؤية من كان يجلس بعد الخنفساء، إلا أن
صوتًا خشنًا أجش تحدث فيما بعد قائلاً: «سأغير القاطرات...»
واضطر إلى الرحيل.

فكرت أليس بينها وبين نفسها «يبدو أنه صوت جحش»، ثم قال صوت أنثوي ضئيل للغاية بالقرب من أذنها: «يجب أن تلقي دعابة عن هذا، (أجش وجحش)، كما ترين».

عقب ذلك قال صوت ناعم للغاية من بعيد: «يجب أن يوضع عليها لاصقة تعريفية «فتاة، تعامل بحرص» كما ترون...».

بعد ذلك ظهرت أصوات أخرى جعلت أليس تفكر «كم عدد الأشخاص الموجودين في العربة؟»، كانت تلك الأصوات تقول «يجب أن تذهب بالبريد، لأن لديها رأسًا...»، «يجب أن تُرسل كرسالة بالتلغراف...»، «يجب أن تجر القطار بنفسها بقية الطريق...» وهكذا... لكنَّ الرجل مرتدي الورق الأبيض مال عليها وهمس في أذنها: «لا عليكِ مما يقولونه عزيزتي، لكن خذي تذكرة عودة في كل مرة يتوقف فيها القطار».

قالت أليس بصبر فارغ: «في الواقع لن أفعل، أنا لا أنتمي إلى رحلة القطار هذه على الإطلاق، لقد كنت في الأيكة فقط، والآن، أتمنى لو أتمكن من العودة إلى هناك»، قال ذلك الصوت القريب من أذنها: «يجب أن تلقي دعابة عن هذا، شيء من قبيل (تتمنين لو تتمكنين)، كما ترين».

قالت أليس وهي تنظر عبثًا لترى من أين يأتي هذا الصوت: «لا تمازحيني! إن كنتِ متلهفة لـإلقاء دعابة، لم لا تختلقين واحدة بنفسك؟».

تنهد الصوت الصغير بعمق، فما قالته أليس لم يكن مرضياً له، وبات من الواضح أنه يلزمها أن تقول عبارة حانية ترجع لصاحبة الصوت بعض السكينة، فكرت أليس: «ماذا لو كانت تلك التنهيدة مثل تنهيدات البشر العاديين!»، لكنها قد كانت تنهيدة صغيرة عجيبة، لم تكن لتسمعها على الإطلاق، إن لم تكن قريبة من أذنها، استتبع ذلك دغدغة صاحبة الصوت لأذن أليس كثيراً، ما أزال عنها كل تلك الأفكار حول عدم رضى ذلك المخلوق الصغير المسكين. غير أن ذلك الصوت الصغير مضى في الحديث قائلاً: «أعلم أنك صديقة، صديقة عزيزة، وصديقة قديمة، ولن تؤذيني، على الرغم من أنني حشرة».

سألت أليس بشيء من التوتر: «أي نوع من الحشرات أنت؟». ما أرادت أليس معرفته حقاً، هو ما إذا كان بإمكان تلك الحشرة اللدغ أم لا، لكنها اعتقدت أنه لن يكون سؤالاً مهذباً عند طرحه مباشرة. قال ذلك الصوت الصغير: «هكذا إذن؟ أنت لا....»، عندما شرع الصوت الصغير في التحدث، انطلق صوت مدوّ من المحرك حجب ذلك الصوت الصغير، قفز الجميع في تأهب، وكانت أليس من بينهم.

أخرج الجحش رأسه من النافذة، ثم التفت بهدوء وقال: «إنه مجرد جدول مياه، علينا القفز من عليه»، بدا الجميع راضين بهذا، إلا أن أليس قد شعرت بالتوتر قليلاً من فكرة القفز من القطار، لكنها قالت لنفسها «على كل حال، سيأخذنا هذا إلى المربع الرابع، وهذا يبعث ببعض الراحة!»، غير أنها عند لحظة ما شعرت بالعربة تهيم في الهواء، أمسكت بشيء من الخوف بأقرب شيء ليدها، والذي صادف أن كان لحية الماعز.

بدت اللحية وكأنها تتلاشى كلما همّت أليس بالإمساك بها، غير أنها وجدت نفسها جالسةً أسفل شجرة في سكون تام، بينما بعوضة (كانت تلك هي الحشرة التي تتحدث إليها أليس) تحاول موازنة نفسها على غصن فوق رأسها، مرفقةً بجناحيها.

من المؤكد أنها قد كانت بعوضة عملاقة، حيث رأت أليس أنها «تقريبًا بحجم الدجاجة»، لكنها لم تشعر بالتوتر حيال ذلك، فلقد تحدثا طويلاً.

مضت البعوضة في الحديث بسلاسة وكأن شيئاً لم يحدث قائلة: «..لا تحبين الحشرات كلها؟»، ردت أليس: «أحبها عندما تكون قادرة على التحدث، لم يتحدث إليّ أي منها في أي وقت مضى من قبل في المكان الذي أتيت منه»، سألت البعوضة: «أي نوع من الحشرات تفضليه في المكان الذي أتيت منه؟».

أوضحت أليس: «أنا لا أحب الحشرات على الإطلاق؛ لأنني أخشاها جميعاً، على الأقل الأنواع الكبيرة منها، لكنني أستطيع إخبارك بأسماء بعضها».

عقبت البعوضة في لا مبالاة: «بالطبع هي تجيب عند النداء على أسمائها».

ردت أليس: «لا أعتقد أبداً أنها قد تفعل ذلك».

عقبت البعوضة مرة أخرى: «إذن ما فائدة أسمائها، إذا لم تجب عليها؟».

قالت أليس: «إنها بلا أي فائدة بالنسبة لها، غير أنني أظن أن البشر هم من منحوها تلك الأسماء، لو لم يكن الأمر على هذه الصورة، فلماذا تحظى الأشياء كلها بأسماء؟».

أجابت البعوضة: «لا أعرف، علاوة على ذلك، فهنا في الأيكة بالأسفل، لا تحظى الأشياء بأسماء، على أي حال فلتمضي مع قائمتك لأسماء الحشرات تلك، إنك تهدين وقتك».

بدأت أليس في تعديد الأسماء على أصابعها: «حسنًا، هذه ذبابة الفرس».



قالت البعوضة: «حسنًا، في منتصف أعلى تلك الشجرة، ستري ذبابة الفرس الطنانة، إذا دَقَقْتَ النظر، ستجدينها قد صيغت من الخشب بالكلية، تتأرجح من فرع إلى فرع».

سألت أليس بكل فضول: «ما الذي تتغذى عليه؟».

قالت البعوضة: «تتغذى على الصنوبر ونشارة الخشب، فلنمضي قدماً مع قائمتك».

نظرت أليس إلى الأعلى بكل حماس واهتمام حيث ذبابة الفرس الطنانة، سيطرت على رأسها فكرة أن تلك الذبابة قد أعيد طلاؤها ، بدت مشرقة جداً ولزجة.



أكملت البعوضة: «وهنا ذبابة التنين، انظري إلى الفرع الذي يعلو رأسك، هناك سترين ذبابة التنين المتوهجة، جسدها قد صبغ من بودنج البرقوق، جناحها من أوراق نبات البهشية، ورأسها زبيبة محترقة في شراب البراندي المُسكر».

سألت أليس: «وما الذي تتغذى عليه؟».

ردت البعوضة: «تغذى على البليلة، وفطيرة الفواكه المفرومة،
وتبني عشها داخل صندوق عيد الميلاد».

واصلت أليس مع قائمتها بعد أن ألقت نظرة عن كذب على تلك
الحشرة التي تضع رأسها أمام النار حيث أشارت وقالت: «وهناك
فراشة»، فكرت أليس بينها وبين نفسها: «أتساءل ما إذا كان السبب في
عشق الحشرات للتخليق حول شعلة الشمع، يكمن في رغبتها في أن
تتحول إلى ذباب التنين المتوهج!».



قالت البعوضة: «تمهّلي!» (عادت أليس أدراجها في حرص
وحذر)، يمكنك ملاحظة فراشة الخبز والزبد، جناحها شريحتان
رقيقتان من الخبز والزبد، جسدها هو وجه الخبز المقرمش، ورأسها
كتلة من السكر».

سألت أليس: «وما الذي تتغذى عليه؟».

ردت البعوضة: «تتغذى على الشاي الخفيف مضاف إليه الكريمة»، أصابت الحيرة رأس أليس من جديد، فقالت: «ماذا لو افترضنا أنها لم تستطع إيجاد أي من هذه الأشياء!».

ردت البعوضة: «إذن ستموت، بالطبع».

عقبت أليس وهي تفكر: «لكن هذا بالتأكيد يحدث في أغلب الأحيان».

قالت البعوضة: «هذا يحدث دائماً».

صمتت أليس لدقيقة أو لدقيقتين تفكر ملياً، بينما أخذت البعوضة في الطنين حول رأسها، أخذت تدور وتدور لتسلي نفسها، في النهاية استقرت ثانية وعقبت: «أعتقد أنك لا تريدين خسارة اسمك؟».

قالت أليس في شيء من التوتر: «في الواقع، لا».

مضت البعوضة متحدثة بنبرة لا مبالية: «ومع ذلك لست أعرف بعد، فقط أفكر إلى أي مدى سيكون من المناسب أن تعودى إلى المنزل من دونه! على سبيل المثال، كيف سيكون الحال لو أرادت المربية أن تستدعيك لتحضري دروسك، سوف تنادي «تعالى إلى هنا يا...»، وهنا ستضطر إلى التوقف، لأنه ليس لديها اسم تنادي عليه، وحينها بالطبع لن تصبحي مضطرة إلى الذهاب، كما ترين».

قالت أليس: «لا يمكن أن يحدث هذا أبداً، أنا متأكدة، لن تفكر المربية أبداً في التماس العذر لي وإعفائي من الدروس بسبب هذا، إن لم تستطع تذكر اسمي، ستدعوني «يا آنسة!» مثلما يفعل الخدم».

عقبت البعوضة: «حسنًا، ماذا لو قالت «يا آنسة» ثم لم تقل شيئًا بعد ذلك، ساعتها انسي أمر الدروس، ستفوتنيها بالطبع (آنسة وانسي) إنها دعابة بالطبع، كنت أتمنى أن تكوني أنتِ قائلتها».

سألت أليس: «لماذا تتمنين أن أكون أنا قائلة هذه الدعابة، إنها دعابة سخيفة».

تنهدت البعوضة بعمق، بينما تندحرج دمعتان كبيرتان على وجنتيها.

قالت أليس: «يتوجب عليك ألا تلقي دعابات أخرى، إنها تجعلك غير سعيدة».

أطلقت البعوضة المسكينة تنهيدتين كثييتين آخرين من تنهيداتها الضئيلة، وبدا أنها قد رحلت حقًا هذه المرة مع تنهيداتها الحزينة، عندما نظرت أليس فيما حولها، لم تجد شيئًا آخر من الممكن أن تراه على الغصن، استلقت غير مبالية في هدوء، إلى أن همّت بالمضي في طريقها.

سرعان ما وصلت إلى حقل مفتوح، على جانبه الآخر توجد أيكة، بدت أكثر قتامة من الأيكة السابقة، شعرت أليس ببعض الخشية من الذهاب هناك، بالرغم من ذلك أعادت التفكير ثانية ومن ثم عقدت العزم على استكمال رحلتها، فكرت بينها وبين نفسها: «بالتأكيد لن أعود، ثم إن هذا هو الطريق الوحيد نحو المربع الثامن».

قالت أليس بينما تفكر بينها وبين نفسها: «بالتأكيد هذه هي الأيكة،

حيث الأشياء لا أسماء لها، أتساءل ماذا سيصبح اسمي عندما أذهب إلى داخلها؟ لا يجب أن أخسر اسمي على الإطلاق، لأنهم سيمنحونني اسمًا آخر، وسيكون بالتأكيد اسمًا قبيحًا، لكن سيتبع ذلك الكثير من المرح، حيث إنني سأحاول العثور على المخلوق الذي قد حصل على اسمي القديم! سيكون هذا الأمر مشابهًا للعبارات الإعلانية التي تنشر وتذاع عندما يفقد الناس كلابهم (يستجيب عند مناداته باسم داش، يرتدي طوقًا نحاسيًا)، تخيلي فقط أنك ستنادين كل شيء تقابليته باسم «أليس» إلى أن يجيب أحدها! لن يجيب أي منها مطلقًا، إن كان لديها بعض الحكمة.

كانت تسير في تشتت عندما وصلت إلى الأيكة التي بدت باردة في اعتدال ووارفة الظلال، قالت وهي تسير تحت الأشجار: «حسنًا، على أي حال، إنها لراحة عظيمة، بعد الشعور بالحر الشديد، أن أسير في الـ ... في ماذا؟»، فوجئت بعدم قدرتها على التفكير في الكلمة، «أنا أعني أسفل الـ ... أسفل الـ ... أسفل هذا، كما تعرفين»، وضعت يدها على جذع الشجرة: «أتساءل عن الاسم الذي يطلقه على نفسه؟ أكاد أجزم ألا اسم له، على أي أساس أنا في يقين من أنه بلا اسم!».

وقفت صامتة لدقيقة، تفكر، ثم فجأة بدأت من جديد، «إذن، فقد حدث هذا بالفعل، في النهاية قد حدث! لكن كيف، من أنا؟ سأذكر، إن استطعت! أنا مصممة على ذلك»، غير أن تصميمها لم يساعد كثيرًا، كل ما استطاعت قوله، بعد الكثير من الحيرة: «إنه يبدأ بحرف اللام، أعلم أنه يبدأ بحرف اللام!».

إلا أنه بعد ذلك جاء ظبي صغير يتجول، ينظر إلى أليس بعينه
الجدابتين الكبيرتين، لم يبد عليه الخوف أبداً، قالت أليس: «تعال إلى
هنا! تعال إلى هنا!»، رفض يدها التي قدمتها له وحاول أن ينكزها،
لكنه تراجع إلى الخلف قليلاً، وعاود النظر إليها مرة أخرى.

قال الظبي الصغير في النهاية بصوت يملؤه العذوبة والرقّة: «بماذا
تسمين نفسك؟»، أجابت أليس المسكينة في أسف: «ليتني كنت
أعرف! ما من اسم لي حتى الآن».

قال الظبي الصغير: «فكري مرة أخرى، هذا لن يفيد».

فكرت أليس ملياً، لكن لم يخطر على بالها أي شيء، قالت
على استحياء: «هل من الممكن أن تخبرني بماذا تسمي نفسك، من
فضلك؟ أعتقد أن هذا قد يساعد قليلاً».

قال الظبي الصغير: «سأخبرك، إن تحركت أبعد قليلاً، فأنا لا
أستطيع التذكر هنا».



لذلك سارا معًا عبر الأيكة، تعانق أليس بذراعها عنق الظبي الصغير الناعم بمحبة، حتى خرجا إلى حقل مفتوح آخر، وهنا قفز الظبي الصغير بشكل مفاجئ في الهواء، متحررًا من ذراع أليس، صاح عاليًا بصوت فرح: «أنا ظبي صغير (أنا شادن)، وأنتِ يا عزيزتي! أنتِ طفلة بشرية!»، لكنه رمقها فجأة بنظرة حذرة، ظهرت في عينيه الجذابتين بنيتي اللون، ثم ركض في التو بأقصى سرعة لديه.

وقفت أليس تنظر إليه وهو يبتعد، كانت على وشك البكاء من

شدة الغيظ بسبب فقدان ظبيها الصغير، رفيق السفر فجأة على هذا النحو، قالت: «على أي حال، بت أعرف اسمي الآن، هذا يبعث ببعض الراحة، أليس، أليس، لن أنساه مرة أخرى، والآن ترى أي من تلك اللافتات سأتبع؟».

لم يكن سؤالاً صعباً كي تجيب عليه، كان هناك طريقٌ واحدٌ فقط عبر الأيكة، واللافتان كلتاهما على حد سواء تشيران إلى نفس ذلك الطريق، قالت أليس لنفسها: «سأستقر، عندما ينقسم الطريق، وعندما تشير اللافتان إلى طريقين مختلفين».

لكن لم يبدُ من المحتمل حدوث هذا، فقد مضت أليس في الطريق وتوغلت، سارت لمسافةٍ طويلة، لكن أينما انقسم الطريق، كانت اللافتان تشيران إلى الطريق نفسه، واحدةٌ تشير إلى بيت تويدل دوم، والثانية تشير إلى بيت تويدل دي».

قالت أليس: «أعتقد أنهما يعيشان في البيت نفسه، أتعجب من أنني لم أفكر في ذلك من قبل، لكنني لن أنتظر هنا طويلاً، سأحييهما قائلة: «كيف حالكما؟» فقط ثم سأسألهم عن الطريق إلى خارج الأيكة، كم أتمنى لو أستطيع فقط الوصول إلى المربع الثامن قبل أن تظلم!»، لذلك أخذت أليس تمم الخطى، متحدثة إلى نفسها بينما تسير، حتى وصلت إلى منعطف حاد، لتصادف رجلين صغيرين سمينين، لم تستطع التراجع، لكنها في اللحظة التالية استعادت رباط جأشها حيث اعترها شعور بأنهما هما بالتأكيد.

الفصل الرابع

تويدل دوم وتويدل دي

يقفان أسفل شجرة، كل منهما يطوق الآخر بذراعه، علمت أليس في التو واللحظة من فيهما تويدل دوم ومن فيهما تويدل دي، لأن أحدهما قد طُرز على ياقته (دوم)، والآخر طُرز على ياقته (دي)، همهمت أليس إلى نفسها «على ذلك فمن المرجح أن (تويدل) مطرزة على الجزء الخلفي من الياقة».

يقفان بلا حراك حتى كادت تنسى أنهما أحياء، أخذت تميل لتنظر إن كانت هناك كلمة (تويدل) مكتوبة على ياقة كل منهما، إلى أن تفاجأت بصوت قادم من ذلك الذي ينادونه (دوم).

«إن كنتِ تعتقدين أننا تماثلان من الشمع، فعليك أن تدفعي، أنتِ تعرفين أن تماثيل الشمع لم تُصنع لينظر إليها دون مقابل، على الإطلاق بتاتاً»، وأضاف الذي ينادونه (دي) «إما إذا كنتِ على النقيض من ذلك، تعتقدين أننا على قيد الحياة، فيجب أن نتحدثي».

كل ما استطاعت أليس قوله لم يكن سوى: «بالتأكيد! أنا آسفة»؛ حيث كانت كلمات الأغنية القديمة ترن في رأسها كدقات الساعة،

وكان من الصعب عليها أن تقاوم غناءها بصوت عالٍ:

تويدل دوم وتويدل دي

أرادا خوض مشاجرة

قال دوم لتويدل دي

كسرت خشخيشتك المجلجلة

لكن تحليق غرابٍ فتاكٍ

أسود كسواد القطران

أخاف كلا البطلان

فأنساهما ذلك الاشتباك

قال تويدل دوم: «أعرف فيم تفكرين، غير أن الأمر ليس على هذه الصورة، على الإطلاق بتاتاً».

أكمل تويدل دي: «بل هو على النقيض، إن كان الأمر على هذه الصورة، فمن الممكن أن يكون، أما إن كانت الأمور على تلك الصورة، فمن الممكن أن تكون، لكن إن لم يكن الأمر على هذه الصورة، فلن يكون. هذا هو المنطق».

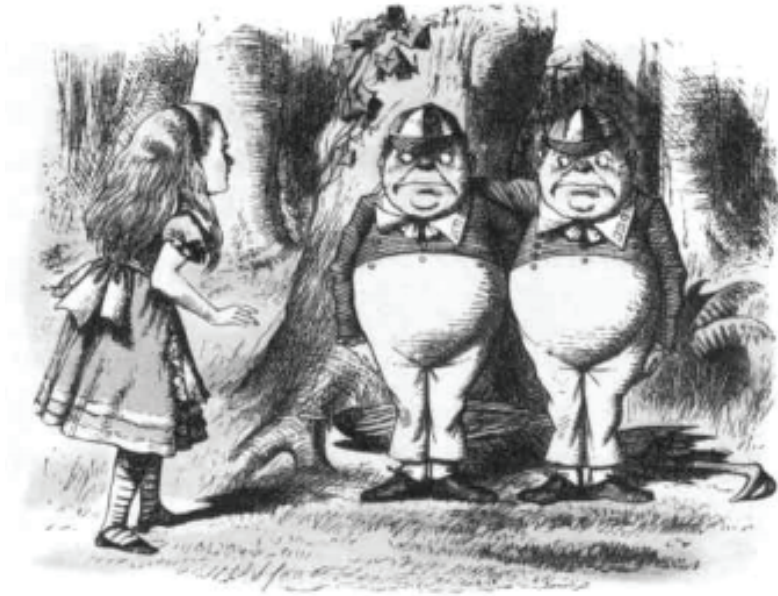
قالت أليس في أدبٍ شديد: «كنت أفكر فقط في الطريق الأفضل للخروج من هذه الأيكة، فالليل يهبط وسرعان ما ستصبح حالكة الظلام، هل بإمكانكما إخباري... أرجوكم؟».

لكنَّ الرجلين الصغيرين السمينين أخذوا ينظران إلى أحدهما

الآخر بابتسامة عريضة.

بدوا تمامًا مثل اثنين من تلاميذ المدارس، لم تستطع أليس منع نفسها من توجيه إصبعها نحو تويدل دوم، قائلة: «الفتى الأول!». صاح تويدل دوم في انتعاش: «على الإطلاق بتاً»، ثم أغلق فمه ثانيةً.

قالت أليس ممررة الحديث إلى تويدل دي: «الفتى الآخر!»، على الرغم من أنها كانت واثقة تمامًا من أنه سيصيح قائلاً: «بل هو على النقيض!»، وكان هذا فعلاً ما قاله.



صاح تويدل دوم: «لقد كنت مخطئاً! أول شيء وجب عليّ فعله عند التعارف الأول هو قول: «كيف حالك؟ ثم تتصافح الأيدي!». وهنا احتضن الأخوان أحدهما الآخر، ثم أطلقا يديهما الحرتين لمصافحة أليس.

لم تعرف أليس أي اليدين عليها أن تصافح أولاً خشية إذاء مشاعر ذلك الآخر الذي لن تصافحه أولاً؛ لذلك فقد ارتأت أن أفضل طريقة للخروج من هذا المأزق، مصافحة كلتا اليدين في آنٍ واحد، عندما فعلت ذلك باتوا جميعاً أشبه بالحلقة حيث بدؤوا يرقصون.

تذكرت فيما بعد أن كل هذا قد بدا طبيعياً، حتى إنها لم تتفاجأ عند سماع الموسيقى، التي بدت وكأنها قادمة من أسفل الشجرة التي كانوا يرقصون حولها، رقصوا -على قدر ما استطاعوا- في معية الفروع المترصة الواحد إلى جوار الآخر كما هي أوتار الكمان وقوسه.

قالت أليس فيما بعد عندما أخبرت شقيقتها بذكرى كل ذلك «لكن من المؤكد أنه قد كان أمراً ممتعاً مسلياً، حيث وجدت نفسي أغني (هيا ندور حول شجرة التوت)، لا أعلم متى بدأت ذلك، لكن غمرني شعور أنني كنت أغنيها منذ وقت طويل طويل للغاية!».

غير أن الراقصين الآخرين قد كانا سمينين، أخذتا يلهثان وتقطعت أنفاسهما، لذا فقد كانت أربع لفات حول الشجرة كافية من أجل إتمام رقصة واحدة، أخذ تويدل دوم في اللهاث، ترك الاثنان الرقص فجأة كما كانا قد شرعا فيه فجأة أيضاً، وقد توقفت الموسيقى في ذات اللحظة.

تركا يدي أليس وأخذا ينظران إليها لما يقرب من الدقيقة، كان التوقف غريباً إلى حد كبير، ما جعل أليس تتساءل كيف ستبدأ حديثاً جديداً مع أشخاص قد انتهت للتو من الرقص معهما، أخذت تقول لنفسها «من المؤكد أنني لن أقول (كيف حالكما؟) من المفترض أننا قد تجاوزنا ذلك بكثير.. فيما يبدو!».

غير أنها قد قالت في النهاية: «آمل ألا تكونا متعبين كثيراً؟»، أجابها تويدل دوم: «على الإطلاق بتاتاً، وشكراً جزيلاً على سؤالك». أضاف تويدل دي: «وأنا ممنونٌ جداً، هل تحبين الشعر؟».

قالت أليس في شيء من الارتياح: «نعم، إلى حد ما، أحب بعض قصائد الشعر، هل يمكنك إخباري الآن أي الطرق تؤدي إلى خارج الأيكة؟».

قال تويدل دي دون الالتفات لسؤال أليس وهو ينظر إلى تويدل دي بأعين رصينة جداً: «ترى ماذا أُلقي عليها؟».

أجابه تويدل دوم معطياً أخاه عناقاً حنوناً: «حصان البحر والنجار هي الأطول».

بدأ تويدل دي على الفور: شمسٌ على البحر بازغة....



غامرت أليس وقاطعته بأكبر قدرٍ ممكن من التهذيب حيث قالت:
«هي طويلة جدًا إذن، هل من الممكن أن تخبرني أولاً أي طريقٍ
يمكنني أن أسلكه فقط...»، ابتسم تويدل دي بلطفٍ، وبدأ من جديد:

شمسٌ على البحر بازغة

لامعة في إشراق

سحب مضيئة ناعمة

في كل الآفاق

كم كان هذا غريبًا

فقد كان منتصف ليلٍ غاسق

كان القمر ساطعاً
ظنَّ الشمس قد فرغت من العمل
إلا أنها تواجدت
بعد انتهاء اليوم
قال «لكم كانت فظة»
جاءت وأفسدت المتعة!
كان البحر رطباً
وكانت الرمال جافة
لم نر سحباً
لم تكن هناك سحب في السماء
لم نر طيوراً
لم تكن هناك طيور تحلق في الفضاء
حصان البحر والنجار
يمشيان متجاورين
يكيان
كميات الرمال تلك
لو أنها أزيحت
قالا: «لكان ذلك عظيماً!»

لو سيع خادما بسيع ممسحات
أزاحوها في نصف سنة من السنوات

قال الحصان البحري:

«هل تعتقد أن بإمكانهن ذلك؟»

ذرف النجار دمعة أخرى

وقال: «أشك»

«تعالَ وامش معنا يا محار»

قال الحصان البحري في تضرع:

«مشية ممتعة، حديث مليح،

على طول الشاطئ المالح

لا يمكن لأكثر من أربعة القيام بذلك

ليمسك كلُّ بيد الآخر

نظر إليه المحار الكبير

دون التفوه بأي كلمة

غمز مطرفاً عينيه

هازاً رأسه الضخم

قاصداً أنه ما كان ليختار

أن يبرح سرير المحار

لكن أسرع أربع محارات صغيرات

بكل حماس

ستراتهم نُظفت، وجوههم غُسلت

أحذيتهم كانت لأمعة وأنيقة

وكم كان ذلك غريبا شاذًا

فكما تعرفين

ليس لديها أي أقدام



أربع محارات لحقت بهما

ومن ثم أربع آخر

أكثر ثخانة أتت مسرعة
ثم أكثر، وأكثر، فأكثر
مع كل تراطم للأمواج
تتدافع تباعاً نحو الشاطئ
الحصان البحري والنجار
مشياً قرابة ميل
ثم استراحا على صخرة
ملائمة مستوية الأطراف
وقفت كل المحارات الصغيرة
وانتظرت في اصطفاف
لقد أزف الوقت تحدث الحصان البحري
ليبدأ الكلام
عن أشياء كثيرة
أحذية، سفن، شمع الأختام
عن كرنب المحشي والملوك
عن إذا كانت مياه البحر تغلي ساخنة
عن إذا كان للخنازير أجنحة



صاح المحار: «انتظر قليلا

قبل أن تخوض في الحديث

بعضنا مقطوع الأنفاس

وكلنا سمان».

قال النجار: «لا استعجال»

فشكروه على ما قال

قال الحصان البحري: «رغيف خبز

هذا ما نحتاجه حقاً

فلفل وخل إلى جانبه

سيكون الأمر عظيماً جداً

«الآن عزيزي المحار إن كنت جاهزاً

بإمكاننا تناول الغذاء»

صاح المحار وقد تحول لونه للزرقة:

«لكن ليس تناولنا نحن!»

«بعد مثل هذا اللطف، سيكون القيام بذلك موحشاً للغاية!»

قال الحصان البحري: «الليل رائع،

هل يعجبكم المنظر؟

لطف منكم أن تأتوا

كم أنتم ودودون!».

لم يقل النجار شيئاً سوى:

«اقطع لنا شريحة أخرى

أتمنى ألا تكون أصمّ تماماً

لأطلب منك ذلك مرتين!»

قال الحصان البحري: «عار علينا

أن نمارس عليها تلك الخدعة

بعد أن جلبناها على طول تلك المسافة

مهرولة مسرعة».

لم يقل النجار سوى

«الزبد المبسوط على الخبز سميك للغاية!»

قال الحصان البحري: «أبكي لأجلكم

متعاطفًا جدًا

قام بفصل ذات الحجوم الكبيرة

وهو يطلق التنهدات ويذرف الدموع

وقد أمسك بمنديل الجيب خاصته

أمام عينيه الدامعتين

قال النجار: «يا محار

لقد حظيت بهرولة سعيدة

هل سنهرول عائدين إلى الديار؟».

لكن الإجابة لم تأت أبداً

كان الأمر غريباً

فقد أكلوها حتى آخر محارة منها.

قالت أليس: «أحببت حصان البحر جدًّا، فكم كان آسفًا على المحار الصغير المسكين».

قال تويدل دي: «بل الأمر على النقيض من ذلك، لقد أكل أكثر من النجار، كما ترين فقد وضع منديله في المواجهة، لذلك لم يستطع النجار إحصاء ما أخذه».

قالت أليس في سخط: «كم كان هذا سيئًا! إذا لقد أحببت النجار، حيث إنه لم يأكل الكثير مثلما فعل الحصان البحري».

رد تويدل دوم: «لكنه أكل الكثير، أكل كل ما استطاع الحصول عليه».

كم كان هذا محيرًا، لقد استغرق الأمر من أليس لحظات، قبل أن تشرع في الحديث من جديد قائلةً: «حسنًا! كلاهما بغيض كرهه...»، سمعت أليس صوتًا أقرب إلى صوت نفثات محرك بخاري ضخيم بالقرب منهم في الأيكة، ما جعلها تشعر ببعض الرهبة، حيث خافت من أن يكون صوت وحش مفترس، سألت في ارتياب «هل يوجد هنا أي أسود أو نمور؟».

قال تويدل دي «إنه فقط الملك الأحمر يغط في نومه»، صاح الأخوان على حين غرة: «تعالى وانظري إليه»، أمسك كل منهما بيد من يدي أليس، وقاداها إلى المكان الذي كان فيه الملك نائمًا.



قال تويدل دوم: «أليس منظرًا محببًا؟».

لم تستطع أليس أن تقول صدقًا إنه قد كان كذلك، فقد كان الملك يرتدي قلنسوة نوم حمراء طويلة يتدلى منها حزمة خيوط (شرابة)، وقد كان الملك مُلقى على كومة من ركام غير مرتب، يغط في نوم عميق ويطلق أصواتًا عالية - يوشك غطيته أن يقتلع رأسه! (كما أشار تويدل دوم).

قالت أليس الطفلة الصغيرة النبيهة: «أخاف أن يصاب بالبرد بسبب استلقائه على العشب الرطب»، رد تويدل دي: «إنه يحلم الآن، بماذا تعتقدين أنه يحلم؟».

قالت أليس: «لا يمكن لأحد تخمين ذلك»، صاح تويدل دي وهو يصفق بيديه مبتهجًا «لماذا! إن الحلم عنك! لكن ماذا لو كفَّ عن

الحلم بك، فأين من المفترض أن تصبحين ساعتها؟».

قالت أليس: «بالطبع! في المكان الذي أنا فيه الآن»، رد تويدل دي بازدرء: «لست أنت، أنت لن تصبحي في أي مكان، إنك محض خيال في حلمه!».

أضاف تويدل دوم: «لو أن الملك استيقظ، ستلاشين... بانج... كما الشمعة!».

صرخت أليس في سخطٍ عظيم: «لا! لن يحدث ذلك، بالإضافة إلى أنني لو كنت محض خيال في حلمه! فماذا عنكما؟ أخبراني فأنا أريد أن أعرف».

قال تويدل دوم: «الشيء ذاته».

كما صاح تويدل دي قائلاً: «الشيء ذاته.. الشيء ذاته». كان صوته عاليًا جدًا لدرجة أن محاولة أليس لأن تقول له: «اصمت! أخاف أن توقظه إذا ما أثرت كل هذا القدر من الضجيج» لم تُجدِ نفعًا.

قال تويدل دوم: «حسنًا! لا فائدة من الحديث عن إيقاظه، عندما تكونين مجرد خيال من خيالات أحلامه... إنك تعرفين حق المعرفة أنك لست حقيقية، أنت محض خيال».

شرعت أليس في البكاء قائلة: «أنا حقيقية».

رد تويدل دي: «لن تجعلي نفسك حقيقية ولو بأقل قدر باتخاذك البكاء سبيلًا لذلك، بالأساس لا يوجد ما يدعو إلى البكاء».

قالت أليس وقد ارتسمت على وجهها نصف ابتسامة وسط الدموع : «لو أن هذا غير حقيقي لما كنت قادرة على البكاء، الأمر برمته سخيـف جداً».

قاطعها تويدل دوم بنبرة ازدراء مبالغ فيها قائلاً: «آمل أنك لا تفترضين أن تلك الدموع دموع حقيقية فعلاً!».

خاطبت أليس نفسها: «أعلم أن ما يتحدثان عنه محض هراء، وأنه لمن السذاجة البكاء بسببه»، كفكت دموعها وحاولت استعادة البهجة التي كانت عليها قدر استطاعتها، ثم قالت: «على أي حال، سيكون من الأفضل لو خرجت من تلك الأيكة، فقد بدأ يحل الظلام، هل تعتقدان أنها ستمطر؟».



فتح تويدل دوم مظلة كبيرة فوق رأسه ورأس أخيه، ثم حذق فيها قائلاً: «على الإطلاق بتأتاً، لا أعتقد ذلك، على الأقل لن تمطر تحت هذه المظلة».

ثم أكمل تويدل دي قائلاً: «لكن هل من الممكن أن تمطر خارج المظلة؟ الأمر على النقيض من ذلك، من الممكن أن تمطر.. لو اختارت ذلك، حتمًا ليس لدينا اعتراض».

فكرت أليس بينها وبين نفسها: «يا لها من أنانية!»، كانت على وشك أن تقول لهما: «طبتما مساءً» ومن ثم تغادر، إلا أن تويدل دوم قفز من تحت المظلة وأمسك بها من ساعدها.

قائلاً في اللحظة نفسها بصوت مفعم بالانفعال وبعينين تزدادان اتساعاً واصفراراً: «هل ترين ذلك؟»، مشيراً بإصبع مرتجف إلى شيء أبيض صغير راقد أسفل الشجرة.

بعد تفحص دقيق لذلك الشيء الأبيض الصغير قالت أليس: «إنها مجرد خُشخيشة مجلجلة»، ثم أضافت في عجلة ظناً منها أنه خائف قائلةً: «هي ليست أفعى مجلجلة، إنها مجرد خُشخيشة مجلجلة قديمة - قديمة ومكسورة».

صاح تويدل دوم: «بالطبع، كنت أعرف» وقد بدأ في الدبدبة على الأرض في عنف، وفي شد شعره، نظر في الحال إلى شقيقه تويدل دي الذي كان جالساً على الأرض، يحاول الاختباء تحت المظلة قائلاً: «لقد كُسرت بالطبع!».

ربت أليس على ذراعه قائلةً في صوتٍ حانٍ: «لست في حاجة إلى أن تغضب كل هذا الغضب بسبب خشخيشة قديمة».

صاح تويدل دوم بغضبٍ جامح أكثر من أي وقت مضى: «إنها ليست قديمة! إنها جديدة، أقول لك -إنني اشتريتها أمس-»، ثم أضاف في صراخٍ مدوّ «خشخيشتي الجديدة اللطيفة».

طوال هذا الوقت كان تويدل دي يحاول جاهداً طي المظلة وهو داخلها، بدا ذلك لأليس كفعلٍ غريب شاذ، استحوذ على انتباهها تماماً بعد أن تحولت عن ذلك الأخ الغاضب، إلا أن تويدل دي لم ينجح في طيها تماماً، انتهى به الأمر متدحرجاً وقد حزمته المظلة لم يبقَ منه سوى رأسه خارجها، استلقى هناك، لا يقوم سوى بفتح وغلق عينيه الكبيرتين، ما جعل أليس تفكر في أنه يشبه السمكة تماماً أكثر من مشابھته لأي شيء آخر.

قال تويدل دوم بنبرة هادئة: «بالطبع توافق على خوض عراك؟». أجاب الآخر عابساً بينما يزحف خارجاً من المظلة: «أظن ذلك، لكن يتوجب عليها أن تساعدنا في ارتداء الملابس كما تعرف».

ذهب الأخوان يداً بيد إلى داخل الأيكة، ثم عادا في الحال وقد حملا بين أذرعهما أشياء كثيرة -كالوسائد والمساند والبطانيات وسجاد يفرش أمام المواقد ومفارش موائد وأغطية قدور وقفف فحم-، علّق تويدل دوم قائلاً: «أتمنى أن تكوني ماهرة في ربط وتشيت الحبال كي تقدمي لنا بعض المساعدة! فكل شيء من هذه الأشياء

سنستخدمه، بطريقةٍ ما أو أخرى».

قالت أليس فيما بعد أنها لم ترَ في حياتها أبدًا مثل هذا الكم الهائل من الهرج والمرج الذي أثير حول القيام بشيء ما - الطريقة التي اندفع بها هذان الاثنان - وكمية الأشياء التي ارتدياها، والمهام المزعجة الكثيرة التي كلفاها بها، الكثير والكثير من ربط وتثبيت الحبال وإحكام الأزرار، خطر في بالها: «إنهما قد صارا أشبه بحزمٍ وأكوامٍ من الملابس البالية ولا شيء آخر»، بينما كان تويدل دي يربط مسندًا حول رقبته قال: «هذا للحفاظ على رأسي من القطع».

ثم أضاف في حزمٍ يوحى بأهمية وجلال ما يقول «أن يُقطع رأس أحدهم في عراقك هو من أكثر الأشياء التي قد تحدث خطورة».

ضحكت أليس على ما قاله بصوتٍ عالٍ، لكنها سرعان ما حولت ذلك الضحك إلى سعالٍ خشية جرح مشاعره.

قال تويدل دوم وقد اشرب كي يربط خوذته: «هل أبدؤ شاحبًا؟». (كان يطلق عليها خوذة، لكنها قد كانت بالتأكيد أقرب كثيرًا للمقلاة). ردت أليس في حنوّ شديد: «حسنًا.. نعم.. ربما قليلًا».



فقال بصوتٍ منخفض: «على العموم أنا شجاع جدًّا، إلا أن هذا
قد حدث اليوم -واليوم فقط- لأنني أعاني من الصداع»
سمع تويدل دي ما قاله أخوه مصادفةً فقال: «وأنا أعاني من آلام
الأسنان، أنا في حالٍ أسوأ منك!».

قالت أليس في محاولةٍ منهال خلق فرصة مواتية لتعزيز حالةٍ من
السلم بينهما: «حسنًا! من الأفضل لكما ألا تتعاركا اليوم».

قال تويدل دوم: «ربما علينا أن نخوض قتالًا قصيرًا، إلا أنني لا
أبالي لو استمرَّت المعركة لوقتٍ طويل. ما هي الساعة الآن؟».

أجابه تويدل دي ناظرًا في ساعته: «إنها الرابعة والنصف».

قال تويدل دوم: «دعنا نتعارك حتى السادسة، ثم نتناول العشاء».

رد الآخر آسفًا: «حسنًا للغاية»، ثم أضاف قائلاً: «يمكنها مشاهدتنا، لكن من الأفضل لك ألا تقتربي أكثر من اللازم، فأنا أصدم كل شيء أمامي بوجه عام عندما ينتابني الحماس الشديد بالفعل».

صاح تويدل دوم: «أما أنا، فأنا أضرب كل شيء أصل إليه، سواء استطعت رؤيته أم لم أستطع!»

ضحكت أليس قائلة: «هكذا، إذن يتوجب عليك ضرب الأشجار في غالب الأحيان».

نظر تويدل دوم حوله بابتسامة راضية قائلاً: «أظن أنه مع انتهائنا من العراك لن تبقى هناك شجرة واحدة واقفة أبدًا على حالها طالما كانت في الجوار».

قالت أليس آملّة في جعلهما يشعران ببعض الخجل جراء القتال من أجل شيء تافه كالخشخيشة: «كل هذا من أجل خشخيشة مجلجلة!».

قال تويدل دوم: «ربما ما كنت لأهتم بالأمر لو لم تكن الخشخيشة جديدة».

فكرت أليس: «أتمنى أن يأتي الغراب الفتاك».

قال تويدل دوم لأخيه: «يوجد سيف واحد فقط - كما تعرف -، لكن من الممكن أن تأخذ المظلة، إنها حادة بعض الشيء، إلا أن علينا البدء سريعًا، فهي تظلم بقدر ما تستطيع».

علّق تويدل دي: «بل تظلم أكثر من ذلك».

ظنت أليس فجأة أن عاصفة رعدية على وشك الهبوب لا محالة
حيث إنها قد بدأت تظلم فعلاً، قالت: «يا لها من سحابة سميقة
سوداء! كيف أتت بتلك السرعة! لماذا أكاد أعتقد في أن لها أجنحة!».
صرخ تويدل دوم بصوتٍ حادٍّ كأنه يدق ناقوس الخطر «إنه الغراب
الفتاك!»، فرًّا مسرعين، واختفيا بعيدًا عن الأنظار في التو والحال.

جرت أليس قليلًا إلى داخل الأيكة، ثم توقفت أسفل شجرة
ضخمة، تحدثت نفسها: «من غير الممكن أبدًا أن يصل إليّ هنا، إنه
ضخم جدًا كي يتمكن من كبس نفسه ليمر من بين الأشجار، إلا أنني
أتمنى ألا يرفرف بجناحيه - فمن الجائز أن يتسبب ذلك في هبوب
زوبعة على الأيكة-، ها هو شال أحدهم يطير بعيدًا بالفعل مع الرياح».



الفصل الخامس

صوف وماء



التقطت أليس الشال بينما كانت تتحدث، أخذت تنظر حولها محاولة العثور على صاحبه، في وقتٍ لاحق، جاءت الملكة البيضاء تعدو بهمة مسرعةً عبر الأيكة، ذراعاها مفرودتان على اتساعهما، كما لو كانت تطير، ذهبت أليس للقائها حاملة الشال بكل تهذيب.

قالت أليس بينما تساعدها في ارتداء الشال مرة أخرى: «أنا حقاً سعيدة بهذه الصدفة التي جمعتني بكِ على الطريق».

رمقتها الملكة البيضاء بعينين خائفتين، لا حيلة لهما، أخذت تكرر شيئاً ما همساً، بدت وكأنها تقول: «خبز وزبد.. خبز وزبد»، شعرت أليس في تلك اللحظة أنه إن كان لحوارٍ أن يدور فيما بينهما فعليها هي أن تكون البادئة به؛ لذا بدأتها في خجل وتردد قائلةً: «هل أنا بصدد الحديث إلى الملكة البيضاء، هل هناك لبس؟».

قالت الملكة: «حسناً، نعم، إن كنتِ تسمين هذا «إلباساً للملابس»، لأن مفهومي عن الإلباس مختلف عن هذا إطلاقاً».

فكرت أليس في أنها لا تود إطلاقاً أن تبدأ حديثها مع الملكة بالجدل، فابتسمت وقالت: «هل تسمحين لي جلالتك فقط بإرشادي إلى الطريقة الصحيحة، وسأنفذها على أفضل نحوٍ أستطيعه».

تأوهت الملكة المسكينة وقالت: «لكنني لا أريد ذلك على الإطلاق، لقد حاولت فعلياً إلباس نفسي طوال الساعتين الأخيرين».

قالت أليس في خاطرها: «يبدو كل شيء ملتوٍ، والدبابيس في كل مكان!»، لا شك أن من الأفضل أن يكون هناك من يلبسها، لقد كانت

غير مهندمة بشكل مروع، أضافت أليس بصوتٍ عالٍ: «هل تسمحين لي أن أضع الشال عليك؟».

قالت الملكة بكل أسى: «لا أعرف ما خطبه، الأمر لا يسير وفق المألوف، لقد قمت على ما أعتقد بتثيته هنا، وقمت بتثيته هناك، لكن كل ذلك لم يجدِ نفعاً!».

قالت أليس وهي تضع الشال برفقٍ عليها: «لكن كما تعلمين إن تم تثيته بهذا الكم الهائل من الدبابيس في جانب واحد، لن يكون مهندماً.. أوه عزيزتي! ماذا حلَّ بشعرك؟».

قالت الملكة وهي تنهّد: «لقد علقت الفرشاة به، غير أنني قد فقدت المشط بالأمس».

حلَّت أليس الفرشاة من شعر الملكة بحرصٍ تام، وبذلت قصارى جهدها لتنظيمه، ثم قالت بعدما عدّلت أماكن معظم الدبابيس: «تبدّين في حالٍ أفضل الآن، لكن يلزمكِ خادمة بكل تأكيد!».

قالت الملكة: «حتمًا سأخذكِ بكل سرور لتكوني خادمتي، بنسان في الأسبوع، ومربى يومًا من بعد يوم».

لم تستطع أليس كتمان ضحكاتهما قائلةً: «لست راغبة في هذه الوظيفة، كما أنني غير مهتمة بالمربى».

قالت الملكة: «إنها مربى جيدة للغاية».

قالت أليس: «حسنًا! لا أريد مربى اليوم على أي حال».

ردت الملكة قائلةً: «حسنًا، إن كنت لا تريدنيها، فلن تأخذوها، القاعدة هي (مربي بالغد، لكن حتمًا ليس اليوم)».

قالت أليس معترضةً: «لا بالتأكيد ستأتي أيام ستكون فيها المربي اليوم».

قالت الملكة: «لا لن يحدث هذا، إنها مربي اليوم بعد اليوم، اليوم كما تعلمين ليس هو ذلك اليوم الذي سيأتي بعد اليوم الذي نحن فيه».

قالت أليس: «أنا لا أفهمك، هذا محيرٌ للغاية!».

قالت الملكة بلطفٍ: «هذا هو تأثير أن تعيشي رجوعًا نحو الماضي، في البداية يصيب ذلك المرء نوعًا ما بالدوار...».

كررت أليس في دهشة عارمة: «أعيش رجوعًا نحو الماضي! أنا لم أسمع بشيء من هذا القبيل قط!».

«...لكن هناك ميزة عظيمة في ذلك، ذاكرة المرء تعمل في كلا الاتجاهين».

أكدت أليس قائلةً: «لكنني على يقين تام أن ذاكرتي تعمل في اتجاه واحد فقط، أنا لا أستطيع تذكر شيء قبل حدوثه».



قالت الملكة: «هذه الذاكرة التي تتذكر الماضي فقط ليست سوى ذاكرة فقيرة للغاية».

غامرت أليس وسألت «حسنًا، ما نوع تلك الأشياء التي تتذكرينها جيدًا؟».

قالت الملكة بنبرة غير مبالية: «أوه، أشياء حدثت في الأسبوع بعد القادم، على سبيل المثال، الآن...»، ذهبت الملكة وألصقت قطعة كبيرة من لاصقة طبية (لاصقة للجروح) على إصبعها بينما تقول: «..لقد كان ذلك بسبب رسول الملك، إنه في السجن الآن،

تتم معاقبته، والمحاكمة لن تبدأ قبل الأربعاء القادم، وبالطبع تأتي الجريمة في نهاية كل ذلك».

قالت أليس: «ماذا لو افترضنا أنه لن يرتكب تلك الجريمة مطلقاً؟»

قالت الملكة بينما تربط اللاصقة حول إصبعها بشريط: «سيكون من الأفضل تمامًا القيام بهذا، أليس كذلك؟».

شعرت أليس أنه ليس في مقدورها إنكار ذلك فقالت: «بالطبع سيكون هذا أفضل، لكن لن يكون من الأفضل أبداً أن تتم معاقبته».

قالت الملكة: «أنت مخطئة فيما يتعلق بذلك بكل المقاييس، هل عوقبت من قبل؟».

قالت أليس: «على الأخطاء فقط».

ردت الملكة في شيء من الانتصار: «وأصبحت أفضل بفضل ذلك، أنا أعرف».

قالت أليس: «نعم، لكن بعد ذلك قمت بكل تلك الأشياء التي عوقبت من أجلها، هذا يجعل الأمر مختلفاً بالكلية».

قالت الملكة: «لكن ماذا لو لم تفعلها، ألا يزال هذا هو الأفضل، فالأفضل، فالأفضل، فالأفضل على الإطلاق!»، بينما يرتفع صوت الملكة أعلى فأعلى مع كل (أفضل) تنطق بها حتى صار صوتها صراخاً مزعجاً تماماً في النهاية.

كانت أليس على وشك أن تقول «هناك خطأ في مكان ما»، إلا أنها

تركت جملتها دون أن تكملها، حيث شرعت الملكة في صراخ عالٍ، صرخت بينما تهز يدها كما لو أنها تريد رميها بعيداً: «أوه، أوه، أوه! إصبعي ينزف! أوه، أوه، أوه، أوه!».

كاد صراخها أن يكون مماثلاً بالضبط لصافرة محرك بخاري، ما جعل أليس تضع كلتا يديها على أذنيها في إحكام.

قالت عندما سنحت لها فرصة أن تكون مسموعة: «ماذا هناك؟ هل وخزت إصبعك؟».

قالت الملكة: «لم أؤخزه بعد، غير أنني سأفعل بعد قليل.. أوه، أوه، أوه!».

سألت أليس بينما تشعر بميلٍ شديدٍ للضحك: «ومتى تتوقعين أن تفعلني ذلك؟».

قالت الملكة المسكينة وهي تتأوه بشدة: «عندما أربط شالي مرة أخرى، البروش خاصتي (دبوسي المزخرف) سوف ينخلع من فوره، أوه، أوه!».

بينما تقول كلماتها تلك انخلع دبوسها المزخرف، أحكمت قبضتها عليه، وحاولت تثبيتته مرة أخرى.

صاحت أليس وهي تسعى لالتقاط البروش «احذري! تمسكينه مقلوبًا بشكل خاطئ تمامًا!»، إلا أنَّ الوقت كان قد فات، لقد انزلق الدبوس، ووخزت الملكة إصبعها.

قالت مبتسمة لأليس: «هذا يفسر النزيف، كما ترين.. أعتقد أنك

قد تبينَ الآنَ الكيفية التي تسير بها الأمور هنا».

سألت أليس وقد استعدت لوضع يديها على أذنيها مرة أخرى:
«لكن لماذا لا تصرخين الآن؟».

قالت الملكة: «ألم أنتهي بالفعل من كل الصراخ، ما فائدة الصراخ
مجددًا لمرةٍ أخرى؟».

مع مرور الوقت بدأت الضياء تزحف شيئًا فشيئًا؛ قالت أليس:
«أظن أن الغراب قد طار بعيدًا، أنا سعيدة حقًا أنه قد رحل، لقد ظننت
أن الليل قد حل».

قالت الملكة: «كم أتمنى لو أنجح في أن أصير سعيدة! غير أنني لا
أستطيع تذكر القاعدة فقط، يجب أن تكوني فرحة للغاية، تعيشين في
هذه الأيكة، وتكونين سعيدة في الوقت الذي تحبين!».

قالت أليس بنبرة حزينة: «لكنني أشعر بوحدةٍ شديدة هنا!»،
وعندما فكرت في وحدتها سألت دمعتان كبيرتان على وجنتيها.

صاحت الملكة المسكينة بينما تعصر يديها في يأس تام: «أوه لا،
لا تواصلني على هذا المنوال! تذكري كم أنت فتاة رائعة، تذكري كم
الأشواط الطويلة التي قطعتها اليوم، تذكري كم الساعة الآن، تذكري
أي شيء، فقط لا تبكي!».

لم تستطع أليس كبح الضحكات التي تفلتت منها على الرغم من
دموعها المنسالة، سألت: «هل تتمالكين نفسك ولا تبكين عن طريق
تذكر الأشياء؟».

قالت الملكة في حكمة: «هذه هي الطريقة بالضبط، من غير الممكن للمرء القيام بشيئين في آنٍ واحد، كما تعرفين، دعينا ننظر أمر سنك أولاً كي نبدأ به - كم عمرك؟».

«أنا في السابعة والنصف بالضبط».

قالت الملكة: «لست بحاجة لقول (بالضبط)، يمكنني تصديقك من دونها، الآن أنا سأقول لك شيئاً كي تصدقيه.. عمري مائة وواحد عام وخمسة أشهر ويوم».

قالت أليس: «لا يمكنني تصديق ذلك!».

قالت الملكة في شفقة: «لا يمكنك؟ حاولي مرة أخرى، خذي نفساً عميقاً، واغلقي عينيك».

ضحكت أليس وقالت: «لا فائدة من المحاولة، لا يمكن للمرء تصديق الأشياء المستحيلة».

قالت الملكة: «أعتقد أنك لم تحظي بالكثير من التدريب، عندما كنت بعمرِك، كنت أمارس ذلك لمدة نصف ساعة كل يوم دائماً، في بعض الأحيان، استطعت تصديق أكثر من ستة أشياء مستحيلة حتى قبل موعد الإفطار، ها هو الشال يطير مرة أخرى!».

بينما كانت الملكة تتحدث انخلع بروشها، وهبت رياح مفاجئة، طار معها شال الملكة عبر جدول صغير، غير أن الملكة قامت بفرد ذراعيها وراحت تطير خلفه، في هذه المرة نجحت في اللحاق والإمساك به صائحةً بنبرة منتصرة: «حصلت عليه! الآن ستريني أقوم

بتبئته بالكامل مرة أخرى بنفسى!».».

قالت أليس في تهذيب شديد وهي تعبر الجدول الصغير للحاق بالملكة: «آمل أن يكون إصبعك أفضل الآن؟».

صاحـت المـلكة «أوه، أفضـل بكثيـر، أفضـل بكثيـر! بااااكثيـر!
باااااكثيـر! باااااااااااا!». إلا أن صوتها كان يتحول لصراخ عالٍ مع
تكرارها للكلمة انتهت بشغاء طويل، مثل ذلك الذي للشاة تماًا.

نظرت أليس إلى الملكة، التي أصبحت فجأة مغطاة بصوف كثيف،
فركت عينيها ونظرت مرة أخرى، لم تستطع استيعاب ما حدث على
الإطلاق. هل كانت في متجر؟ هل كان ذلك حقيقياً؟ هل هناك شاة
حقاً تجلس على الجانب الآخر من المنضدة؟ فركت عينيها في قوة،
لكن بلا جدوى، لقد أصبحت في متجر مظلم قليلاً، تستند بمرفقيها
إلى المنضدة، وعلى الجانب الآخر من المنضدة هناك شاة عجوزة،
تجلس على كرسي بذراعين تمارس الحياكة، وبين حين وآخر تترك
الحياكة وتنظر إليها عبر زوج سميك من النظارات.

في النهاية نظرت الشاة لأعلى وتركت ما تحيكه للحظة وقالت:
«ما الذي تريدین شراء؟».

ردت أليس بلطف شديد: «لا أعرف بعد، أعتقد أنه يجب أن أنظر حولي في البداية إن أمكن!».

قالت الشاه: «يمكنك النظر أمامك، وعلى جانبك إن شئت، لكن لا يمكنك أن تنظري حولك، إلا إذا كان لديك أعين في مؤخرة رأسك».



ولأن أليس لم تفهم كل ما كان، اكتفت بالدوران حول نفسها،
والنظر في الرفوف التي تتحرك نحوها.

بدا المتجر مليئًا بأشياء مثيرة للفضول من شتى الأشكال والأنواع،
لكن الجانب الأكثر غرابة في كل تلك الأشياء، يكمن في أنه كلما
نظرت بتركيز إلى رف، لتدقق النظر فيما يوجد عليه بالضبط، يكون
ذلك الرف بالتحديد دائمًا خاليًا، وتكون الرفوف الأخرى كلها من

حوله مكتظة بكل ما يمكنها حمله من أشياء .

«حتى هنا تراوغ الأشياء» قالت أليس ذلك بنبرة حزينة بعدما قضت قرابة الدقيقة أو أكثر تسعى دون جدوى وراء شيء لامع كبير، بدا أحيانًا كالدمية، وأحيانًا أخري كصندوق للأدوات، دائمًا ما يكون في الرف الذي يعلو الرف الذي تبحث فيه. أضافت قائلة: «هذا الشيء هو الأكثر إزعاجًا من بينها، لكنني سأخبرك ما...» -وإذ بفكرة مفاجئة تخطر على بالها- «... سأتبعه إلى أعلى رف من بين كل تلك الرفوف، وأتوقع أن هذا سيحيره تمامًا ويلغز عليه؛ فكيف له أن يصعد عبر السقف!».

لكن حتى هذه الخطة باءت بالفشل، فهذا الشيء مر خلال السقف بأقصى قدر ممكن من السلاسة، كما لو كان معتادًا على فعل ذلك الأمر. قالت الشاة بينما تتناول زوجًا آخر من الإبر: «هل أنتِ طفلة أم نحلة دوارة؟ ستسببين في إصابتي بالدوار إن ظللتِ تدورين هكذا»، لقد أصبحت الآن تحيك مستخدمة أربعة عشر زوجًا من الإبر في آن واحد، عندئذ لم تستطع أليس منع نفسها من النظر إليها في دهشة عارمة.

فكرت الطفلة وهي في حيرة من أمرها متسائلة «كيف لها أن تحيك مستخدمة هذا الكم الهائل من الإبر؟ إنها تتناول مع كل دقيقة عددًا أكبر فأكبر من الإبر حتى كادت أن تصبح كقنفذ ضخم!».

سألت الشاة بينما تناول أليس زوجًا من إبر الحياكة قائلة: «هل يمكنك التجديف؟».

«نعم قليلًا! لكن ليس على الأرض، وبالطبع ليس بإبر الحياكة...»،

قالت أليس ذلك، وإذ فجأة تحولت الإبرتان في يديها إلى مجدافين، ووجدت أنهما قد صارتا في قارب صغير، ينزلق بين جداول المياه، لذلك لم يكن أمامها سوى القيام بأفضل ما لديها.

صاحت الشاة: «جدفي بجناحيك!»، بينما كانت تتناول زوجًا آخر من الإبر.

لم يبدُ أن العبارة التي قالتها الشاة بحاجة للرد عليها بجواب معين، لذا لم تقل أليس أي شيء، غير أنها انطلقت مجدفة.

لاحظت أليس أن هناك شيئًا ما غريبًا جدًّا يتعلق بالماء، بين الحين والآخر كان المجداف يمر بسرعة داخل الماء، ويُتَشَل منه مرة أخرى بصعوبة.

قالت أليس في خاطرها «أتمنى أن يكون مجرد سلطعون صغير». غير أن الشاة صاحت في غضب بينما تتناول حزمة كاملة من الإبر: «ألم تسمعينني أقول (جدفي بجناحيك)؟».

قالت أليس: «بلى، سمعتك، لقد قلت ذلك كثيرًا وبصوت عالٍ، من فضلك! أين السلطعون؟».

قالت الشاة بينما تقوم بتثبيت بعض الإبر في شعرها حيث امتلئت يداها بالكامل: «في الماء بالطبع! أنا أقول (جدفي بجناحيك)!».

سألت أليس في النهاية كي تتحاشى كل هذا الإزعاج: «لماذا تقولين (جدفي بجناحيك) وتلحين عليها كل هذا العدد من المرات، أنا لستُ بطائر!».

قالت الشاة: «لا أنتِ طائر، أنتِ إوزة صغيرة».

شعرت أليس ببعض الإهانة، لذلك لم يجرِ بينهما أي حديث لما يقارب الدقيقة أو الدقيقتين، في حين كان المركب يسير بنعومة، أحياناً بين نباتات عالقة (ما جعل المجدافين يعلقان بشدة ولا يتحركان بشكل أسوأ من أي وقت مضى)، وأحياناً يسير أسفل الأشجار، لكن دائماً تعلق رؤوسهم نفس ضفاف الجدول الكالحة.

صاحت أليس وقد تحولت إلى الابتهاج بشكل مفاجئ: «أوه، من فضلك! هناك بعض من حشائش الأسلية العطرية، هل يوجد مثل هذا الجمال حقاً!».

قالت الشاة دون أن تنظر للأعلى وتترك الحياكة: «لست بحاجة لأن تقول لي (من فضلك)، أما بالنسبة لها، لم أضعها هناك، ولا أنوي إزالتها».

قالت أليس تستسمحها: «لا، لكنني كنت أقصد - من فضلك هل بإمكاننا التوقف قليلاً وقطف بعضها؟ إن لم تمانعي في إيقاف القارب لمدة لن تتجاوز الدقيقة».

قالت الشاة: «كيف لي أن أوقفه؟ إن توقفت أنتِ عن التجديف، سيتوقف من نفسه».

لذلك ترك القارب لينجرف مع مجرى الجدول، حتى وصل في انسيابية إلى حشائش الأسلية الراقصة مع الهواء، رُفع الكمان الصغيران في حرص، وتوغلت اليدان الطفوليتان عميقاً حتى المرفقين من أجل اقتلاع الأسلية - لوهلة نست أليس تماماً أمر الشاة والحياكة، انحنت

فوق جانب القارب، بحيث صارت أطراف شعرها المجدول مغموسة
في الماء بالكاد -بعينين متلهفتين مشرقتين قطفت حزمة تلو الأخرى
من تلك الأسلية الخلاصة العطرية.

أخذت أليس تخاطب نفسها قائلة: «آمل ألا يتأرجح القارب،
أوه! ما أجمل ذلك الفرع هناك، لكنني لن أتمكن من الوصول إليه».



بالطبع كان يبدو أكثر إثارة أو هكذا ظنت أليس، على الرغم من أنها قد تمكنت من قطف الكثير من الأسلية الجميلة التي انجرف القارب نحوها، لكن كان هناك دومًا أسلية أكثر روعة لا يمكنها الوصول إليها. لقد سبب لها هذا بعض الغيظ، جال بخاطرهما «وكان ذلك قد حدث عن عمد نوعًا ما».

قالت أليس في نهاية الأمر بينما تطلق تنهيدة «الأجمل دائمًا أبعد!» وكأن الأسلية تُعاند وتنمو في مكان بعيد جدًا. بوجنتين متوردتين وشعر مبتل ويدين يقطر منهما الماء، زحفت أليس عائدة إلى مكانها، وبدأت في ترتيب كنزها الجديد.

ماذا قد يهم أليس أكثر من أن الأسلية العطرية قد بدأت تتلاشى، وتفقد رونقها وعطرها، بمجرد قيامها بقطفها؟ تعرف بالتأكيد أن حتى الأسلية العطرية الحقيقية ذاتها لا تبقى نضرة إلا لفترة قصيرة للغاية فقط، وهذه! مثلها كمثل الأسلية العطرية التي تأتي في الأحلام، تذوب وتتلاشى كما الثلج، بينما كانت مُكومة في أكوام عند قدميها، إلا أن أليس بالكاد لاحظت ذلك، فقد كان هناك الكثير من الأمور المثيرة للفضول كي تفكر فيها.

لم تمضِ بعيدًا، فقد انزلقت راحة أحد المجدافين وغرقت سريعًا في الماء ولم تخرج ثانيةً (كما أوضحت أليس فيما بعد)، ونتيجة ذلك ارتطم مقبض ذلك المجداف بأسفل ذقنها، وسط صيحات متواصلة من أليس المسكينة: «أوه، أوه، أوه!»، انزلقت أليس من جلستها، وسقطت مباشرة بين أكوام الأسلية.

رغم ذلك، لم تُصب بسوء، وسرعان ما قامت، طوال ذلك لم تتوقف الشاة عن الحياكة، وكأن شيئاً لم يحدث قط، ثم علقت قائلةً، بينما كانت أليس تعود إلى مكانها وقد زال توترها بعد أن وجدت نفسها لا تزال في القارب، لم تسقط منه «لقد كان سلطعوناً لطيفاً ذلك الذي أمسكت به!».

قالت أليس وهي تحديق في حذرٍ شديد في المياه المظلمة المتاخمة للقارب: «هل كان سلطعوناً بالفعل؟ لم أره، أمل ألا يكون قد ذهب، كم أتمنى أن أرى سلطعوناً صغيراً وأخذه معي إلى المنزل!»، إلا أن الشاة ضحكت في ازدراء، وواصلت الحياكة.

قالت أليس: «هل يوجد الكثير من السلطعون هنا؟».

قالت الشاة: «الكثير من السلطعون، وكل أصناف الأشياء الأخرى، العديد من الخيارات، فقط حضّري عقلك، الآن! ماذا تريد أن تشتري؟».

«أن أشتري!»، قالت أليس ذلك بنبرة صوت لها وقع نصف مندهش ونصف خائف، فلقد اختفى المجدافان والقارب والنهر، كل ذلك اختفى في لحظة، وعادت مرة أخرى إلى المتجر الصغير المظلم. قالت في رهبة: «أود شراء بيضة، من فضلك! كيف تبيعونها؟».

ردت الشاة: «خمس بنسات للواحدة، وبنسين للاثنتين».

قالت أليس بنبرة متعجبة وهي تخرج حقيبتها: «اثنتان أرخص من واحدة».

قالت الشاة: «لكنك إن اشتريت اثنتين، يجب عليكِ وحدكِ أكلهما كليهما»

قالت أليس وهي تضع المال على المنضدة: «إذن سأشتري واحدة من فضلك»، كانت الأفكار تدور في خاطرها «ربما لن تكونا جيدتين».

أخذت الشاة المال، ووضعتَه في صندوق ثم قالت: «أبدًا لم أضع الأشياء في أيدي الناس أبدًا، هذا لن يحدث أبدًا؛ لذلك يجب عليكِ أن تحصلي عليها بنفسكِ»، بينما كانت تتحدث، ذهبت إلى الجانب الآخر من المتجر، ووضعت البيضة عاليًا على الرف.

أخذت أليس تفكر مخاطبة نفسها: «أتساءل لماذا لا تقوم بذلك؟»، بينما كانت تتلمس طريقها بين الطاومات والكراسي، حيث كانت ظلمة المتجر تشتد قرب آخره. «يبدو أن البيضة تبتعد أكثر كلما سرت نحوها، دعني أرى، هل هذا كرسي؟ لماذا يوجد به فروع، أعترف أن من الغريب جدًّا والشاذ أن أجد أشجارًا تنمو هنا! وها هو جدول صغير بالفعل! حسنًا! هذا أكثر متجر مشير للريبة رأيته في حياتي!».

أكملت سيرها بينما يزداد عجبها أكثر فأكثر مع كل خطوة، كل الأشياء من حولها تتحول إلى أشجار في نفس اللحظة التي تصل إليها فيها، حتى ظنت ظنًّا يقترب من اليقين أن البيضة ستتحول بالمثل.

الفصل السادس

هامبتي دامبتي

أخذت البيضة تكبر شيئاً فشيئاً، وتصبح أشبه بالإنسان كلما اقتربت منها، عندما أصبحت على بعد بضع ياردات، وجدت أن لها عينين وأنفاً وفماً، وعندما اقتربت أكثر، رأت بوضوح أنه (هامبتي دامبتي) نفسه، قالت لنفسها «لا يمكن أن يكون أحداً آخر! أنا متأكدة من ذلك، كما لو أن اسمه مكتوب على وجهه».

ربما قد كُتِبَ مئات المرات بسهولة على ذلك الوجه الكبير، كان هامبتي دامبتي جالساً واضعاً ساقاً فوق الأخرى، كتركيّ جالس على قمة دارٍ عالية، تساءلت أليس كيف له أن يحافظ على توازنه، كانت عيناه ثابتتين على الجهة المعاكسة لها، لم ينتبه لوجودها على الإطلاق، حتى ظنت بعد كل ذلك أنه مجرد هيكل محشو ولا شيء آخر.

«لكن كيف يشبه البيضة بالضبط!»، قالت أليس ذلك بصوت

عالٍ، ويدها جاهزتان لالتقاطه، فقد كانت تتوقع سقوطه في أي لحظة.

قال هامبتي دامبتي بعد صمت طويل بينما ينظر بعيداً عنها: «إنه شيء مزعج، أن تُدعى بيضة... مزعج جداً!».

شرحت أليس ما تقصده بلطف تام وقالت: «قلتُ يا سيدي: يشبه البيضة»، ثم أضافت: «وبعض البيض جميل جداً، كما تعرف».

أملّة أن يكون فيما قالت نوع من المجاملة.

قال هامبتي دامبتي بينما لا يزال ينظر بعيداً كالمعتاد: «بعض الناس ليس لديهم من الحصافة ما يزيد عما لدى طفل رضيع!».

لم تعرف أليس ماذا تقول ردّاً على ذلك، فما حدث لم يكن قريب الشبه من الحوار كما تعرفه، فهو لم يوجه لها أي كلام، في الواقع، آخر ما قاله كان موجّهاً بكل وضوح إلى شجرة، لذلك وقفت تقول وتكرر مع نفسها:

هامبتي دامبتي جلس على الجدار

هامبتي دامبتي سقط سقوطاً جبّار

كل أحصنة الملك وفرسانه لم يستطيعوا وضعه في مكانه

أضافت بصوتٍ مرتفع إلى حدٍّ ما قائلةً: «هذا البيت الأخير طويل جداً بالنسبة إلى الشَّعر»، ناسيةً أن هامبتي دامبتي يمكنه سماعها.

قال هامبتي دامبتي وهو ينظر إليها لأول مرة: «لا تقفي هكذا تثرثرين مع نفسك، أخبريني باسمك وعملك».

«اسمي أليس، لكن...».

قاطعها هامبتي دامتبي دون هوادة: «إنه اسم غبي بما فيه الكفاية! ماذا يعني؟».

سألت أليس مترددة: «هل يجب أن يعني الاسم شيئاً؟».

قال هامبتي دامتبي ضاحكاً نوعاً ما: «بالطبع، لا بد من ذلك، اسمي يعني الشكل الذي أنا عليه، الشكل الوسيم الرائع الذي أنا عليه.. أما اسم مثل اسمك، قد يكون لك في الغالب أي شكل».

قالت أليس غير راغبة في بدء جدال معه: «لماذا تجلس هنا بالخارج بمفردك؟».

صاح هامبتي دامتبي: «لماذا! لأنه لا يوجد شخص آخر معي! هل كنتِ تظنين أنني لن أعرف الإجابة على ذلك؟ اسألي سؤالاً آخر».

«ألا تعتقد أنك ستكون بأمان أكثر على الأرض؟ هذا الجدار عالٍ وليس عريض أبداً!.. أكملت أليس ببساطة بدافع لهفتها الطبيعية جداً على ذلك المخلوق الغريب، دون أن تقصد مطلقاً طرح أحجية أخرى».

تذمّر هامبتي دامتبي قائلاً: «ما تلك الأحاجي السهلة للغاية التي تطرحينها عليّ! بالطبع لا أعتقد ذلك! إذا حدث ولم أسقط.. فحينها لن تكون هناك أي احتمالات، أما إذا سقطت...»-هنا زم على شفّيته وبدا رزيناً مهيباً، لدرجة أن أليس قد نجحت بالكاد في السيطرة على ضحكها، ثم أكمل قائلاً: «أما إذا سقطت، فقد وعدني الملك

قد وعدني - بملء فمه - أن... أن...»، قاطعته أليس دون روية: «أن يرسل كل أحصته وكل فرسانه».



صاح هامبتي دامبتي في انفعالٍ مفاجئ: «الآن أعلنها صريحة إنه فعل سيئ للغاية منك! لقد كنتِ تتنصتين من وراء الأبواب، وخلف الأشجار والمداخن، وإلا لم تكوني لتعرفي ذلك!».

قالت أليس في رفق شديد: «ما كنت لأفعل ذلك بالتأكيد، كل ما قلته مدون في كتاب».

قال هامبتي دامبتي بلهجة أكثر هدوءًا: «آه، حسنًا! إنهم يدونون أشياء مثل هذه في كتب، هذا ما تسمونه تاريخ إنجلترا، هذا هو، الآن فلتطيلي النظر إلي متفحصة! أنا الشخص الذي تحدث إلى الملك، أنا هو، ربما لن تري شخصًا آخر مثلي، وكى أثبت لك أنني لست متكبرًا، يمكنك مصافحتي!»، قال ذلك وهو يتسم ابتسامة عريضة من الأذن إلى الأذن، ويميل إلى الأمام بقدر ما يستطيع (وقد شارف على السقوط من فوق الجدار) ماذًا يده إلى أليس. أخذت تنظر إليه في شيء من التوتر حيث كانت تفكر «إذا ابتسم أكثر فأكثر، ربما تتلاقى أطراف فمه من الخلف، ثم إنني لا أعرف ماذا سيحدث لرأسه حينها! أخشى أن تنفصل!».

أكمل هامبتي دامبتي حديثه: «نعم، كل أحصنته وكل فرسانه، سيرفعونني ثانية في أقل من دقيقة، حتمًا سيفعلون! في كل الأحوال، هذه المحادثة تتم بسرعة كبيرة نوعًا ما، دعينا نعود إلى ملحوظتك الأخيرة، لكن الأخيرة فقط».

قالت أليس في تهذيب جمّ «أخشى أنه لا يمكنني تذكرها تمامًا».

قال هامبتي دامبتي «في تلك الحالة نبدأ من جديد، إنه دوري لاختيار موضوع...»، وهنا دار في فكر أليس: «إنه يتحدث عن ذلك كما لو أنها لعبة ما»، «... لذلك سيكون سؤالك لك: كم كان عمرك كما قلت؟».

أجرت أليس حبة قصيرة ثم قالت: «سبع سنوات وستة أشهر». صاح هامبتي دامبتي متصراً: «خطأ! لم تقولي شيئاً مثل ذلك من قبل».

أوضحت أليس ما عنته قائلةً: «ظننتك تقصد «كم عمرك؟»». قال هامبتي دامبتي: «إن كنت أقصد ذلك، لكنت قلت ذلك». لم ترد أليس أن تبدأ جдалاً آخر معه، لذلك لم تقل شيئاً. كرر هامبتي دامبتي وقد استغرق في التفكير: «سبع سنوات وستة أشهر، إنه عمر لا يبعث على الراحة مع ذلك. الآن إن طلبت نصيحتي، كنت لأقول لك «ارحلي عند سبع سنوات»، لكن الأوان قد فات الآن». قالت أليس في سخط: «أنا لم أطلب منك أبداً نصيحة حول نشأتي». قال الآخر في تساؤل: «متكبرة للغاية؟». شعرت أليس بسخط أكبر جراء هذا الطرح.

قالت: «أقصد، أن تلك النصيحة لا تفيد في التنشئة». قال هامبتي دامبتي: «واحدة لن تفيد، من الممكن، لكن اثنتين سيفيدان... مع مساعدة ملائمة، كان من الممكن أن ترحلي في عمر السابعة».

فكرت أليس في أنهما قد استفاضوا في الحديث عن موضوع العمر ذلك، وإن كانا بالفعل يتناوبان الأدوار في اختيار المواضيع، فقد حان دورها، قالت فجأة: «يا له من حزام جميل!»، ثم صححت ما

قالته فزعةً بعد التفكير لبرهة: «رباط عنق جميل، كان يجب أن أقول رباط عنق، لا، حزام أقصد...أستمحيك عذراً!»، بدا على هامبتي دامبتي الاستياء الشديد، وبدأت تتمنى لو أنها لم تختار هذا الموضوع، وساورتها الأفكار: «لو أنني كنت فقط أعرف أين هي الرقبة وأين هو الخصر!». «

لم يقل هامبتي دامبتي شيئاً قرابة الدقيقة أو الدقيقتين، كان من الواضح أنه يشتاط غضباً، فعندما تحدث ثانية، كان يهدر مزمجرًا بشدة.

قال في النهاية: «إن- من أكثر - الأشياء - إزعاجًا جدًّا، عندما لا يعرف أحدهم الحزام من رباط العنق!». «

أدرك ذلك، هو جهل مني» قالت أليس ذلك في وداعة شديدة، جعلت هامبتي دامبتي يعدل عن غضبه.

«إنه رباط عنق أيتها الطفلة، رباط عنق جميل، كما قلت، إنه هدية من الملك الأبيض والملكة البيضاء، فما رأيك الآن!». «

قالت أليس: «هل هو حقًا كذلك؟»، كانت سعيدة للغاية، لأنها وجدت نفسها قد اختارت موضوعًا جيدًا حتى بعد كل ما كان.

«لقد أعطاه لي»، ثم أكمل هامبتي دامبتي وهو يفكر، واضعًا إحدى ركبتيه على الأخرى، شابكًا يديه حولها: «لقد أعطاه لي كهدية (لا عيد ميلاد)». «

قالت أليس في تساؤل «أستمحيك عذراً؟». «

قال هامبتي دامبتي: «تفضلني! أنا لا أنزعج».

«أنا أقصد، ماذا الذي تعنيه بهدية (لا عيد ميلاد)؟».

«إنها هدية تُقدم في وقت غير وقت عيد ميلادك، بالطبع».

فكرت أليس قليلاً ثم قالت في النهاية: «هدايا عيد الميلاد هي أكثر ما أحب».

صاح هامبتي دامبتي: «أنت لا تعرفين ما الذي تتحدثين عنه! كم عدد الأيام في السنة؟».

قالت أليس: «ثلاثمائة وخمسة وستون يوماً».

«وكم عدد أعياد الميلاد التي تحصلين عليها؟».

«واحد».

«وإذا أخذت واحداً من ثلاثمائة خمسة وستون، ماذا يتبقى؟».

«ثلاثمائة وأربعة وستون، بالطبع».

نظر هامبتي دامبتي وقد ملاء الشك قائلاً: «أفضل أن أقوم بحساب ذلك مستعيناً بورقة».

لم تستطع أليس كبح ابتسامتها، أخرجت دفتر مذكراتها، وكتبت العملية الحسابية من أجله:

$$\begin{array}{r} 365 \\ -1 \\ \hline 364 \\ 316 \end{array}$$

أخذ هامبتي دامتبي الدفتر، نظر فيه بحرص، ثم بدأ الحديث:
«يبدو هذا صحيحًا».

قاطعته أليس: «لكنك تمسك الدفتر بالمقلوب!».

ثم أمسكت الدفتر وقلبته له، قال هامبتي دامتبي بمرح: «بالتأكيد
قد كنت أمسكه بالمقلوب! لاحظت أن هناك غرابة من نوع ما بالفعل.
غير أنه كما قلت، يبدو هذا صحيحًا - على الرغم من أنني لا أملك
الوقت للتدقيق في ذلك الآن - إلا أنه يبين أن هناك ثلاثمائة وأربعة
وستين يومًا كي تحصيلي على هدية (لا عيد ميلاد)...».

قالت أليس: «بالتأكيد».

«ويوم واحد فقط للحصول على هدايا عيد الميلاد، كما تعرفين،
المجدد في انتظارك!».

قالت أليس: «لا أعرف ماذا تقصد بـ (المجدد)؟».

ابتسم هامبتي دامتبي في ازدراء وقال: «بالطبع، لا تعرفين، حتى
أُخبركِ، أقصد أن هناك حجة حاسمة غير متوقعة في انتظاركِ».

اعترضت أليس قائلة: «ولكن المجدد لا يعني حجة حاسمة غير
متوقعة».

قال هامبتي دامتبي بنبرة متعالية: «عندما أستخدم كلمة، فإنها
تعني ما أختاره أنا لها كي تعنيه، لا أكثر ولا أقل».

قالت أليس: «السؤال هو، هل بإمكانك جعل الكلمات تعني

الكثير من الأشياء المختلفة».

قال هامبتي دامبتي: «السؤال هو، أي من تلك المعاني ستكون له الأولوية، هذا كل شيء».

شعرت أليس بالكثير من الحيرة كي تقول أي شيء، لذلك بعد دقيقة بدأ هامبتي دامبتي الحديث ثانية: «الكلمات لها طبع، بعضها له -الأفعال بشكل خاص لها هذا الطبع والمزاج، فهي الأكثر فخامة- يمكنك أن تفعلها بالصفات ما شئت، لكن لا يمكنك القيام بذلك مع الأفعال - غير أنه في استطاعتي التعامل معها جميعًا كيفما شئت! اللا توغلية! هذا ما أقوله!».

قالت أليس: «هل يمكنك أن تخبرني ما الذي يعنيه ذلك، من فضلك؟».

قال هامبتي دامبتي وقد بدت عليه إمارات السعادة: «الآن تتكلمين كطفلة عقلانية، قصدت بـ«اللاتوغلية» أننا قد استفضنا في الحديث عن هذا الموضوع، وسيكون من الجيد أن تذكري ما الذي تودين القيام به بعد ذلك، فأنت لن تمكثي هنا طوال ما بقي من حياتك فيما أظن».

قالت أليس في رصانة: «إنه لأمر عظيم أن تجعل للكلمة الواحدة مثل هذا المعنى».

قال هامبتي دامبتي: «عندما أبدع كلمة، أتكلف عناء كبيرًا مثل ذلك، لكنني دائمًا ما أدفع في مقابلها مبلغًا إضافيًا».

قالت أليس وهي في حيرة كبيرة من أمرها كي تبدي أي ملاحظة أخرى «أوه!».

أكمل هامبتي دامبتي هازًا رأسه بشدة من جانب إلى آخر: «آه، يجب أن تشاهديها وهي تلتف حولي ليلة السبت، بالطبع كما تعرفين، لتأخذ أجورها».

(لم تجازف أليس وتسأله، ما الذي يدفعه لها، لذلك كما ترى لا أستطيع أن أخبرك).

قالت أليس: «سيدي، يبدو أنك ماهر جدًا في تفسير الكلمات، هل من الممكن أن تخبرني بمعنى قصيدة تسمى «جابر وكي؟».

قال هامبتي دامبتي: «دعينا نسمعها، أنا يمكنني تفسير كافة القصائد التي تم ابتداعها والتي لم يتم ابتداعها بعد كذلك».

بدا هذا مفعماً بالأمل باعثاً عليه؛ لذا ألقيت أليس أول مقطع شعري:

كان الشفق.. حيث التوف القوامشيق

ترى من كان ينبش حفر الطريق

البروجوف كان لهم كل البؤسيق

والراث تائه النزل يقبع كما التبويق

قاطعها هامبتي دامبتي قائلاً: «هذا يكفي كي نبدأ، فهناك الكثير من الكلمات الصعبة... «الشفق» حُمرَة تظهر الساعة الرابعة وقت العصر،

الوقت الذي «تحمرين أو تشوين» الطعام من أجل العشاء فيه».

قالت أليس: «من الواضح أن هذا سيكون مثيرًا للغاية، وماذا عن
«القوامشيق»؟»

«حسنًا، «القوامشيق» من حُسن القوام الرشيق، والرشاقة تعني
«النشاط».. كما ترين إنها لفظة اقترانية - معنيان يكمنان في كلمة
واحدة».

علّقت أليس وهي مستغرقة في التفكير: «في إمكاني استيعاب
ذلك»، وماذا عن «التوف»؟».

«حسنًا، «التوف»، هو شيء يشبه حيوان الغرير، شيء يشبه
السحالي، وشيء يشبه مثقاب الزجاجات اللولبي».
«بلا شك هي مخلوقات غريبة مثيرة للفضول».

قال هامبتي دامبتي: «إنها كذلك، هذا بالإضافة إلى أنها تبني
أعشاشها تحت المزاوِل الشمسية، وتعيش على الجبن».
«وماذا عن «ينبش» وما هي «حفر الطريق»؟».

«أن يدور ويدور حول محور مثل المدوار (الجيروسكوب)،
«ينبش حفر الطريق» أي أن يدور ويحفر حفرة في الأرض ليخرج ما
فيها».

قالت أليس منبهرة ببراعته المفاجئة «الطريق» - كما أظن - يقصد
به قطعة الأرض التي تحيط بها المزاوِل الشمسية؟».

«بالطبع هو ذلك، وأسماء طريقاً، كما تعرفين لأن الطريق يمثل شوطاً طويلاً إلى الأمام وشوطاً طويلاً إلى الخلف».

أضافت أليس: «طريقٌ طويلٌ ممتد في كلا الاتجاهين».

«بالضبط هو ذلك. حسنًا، ثم يأتي «البؤسيق» من «البؤس والضيق» -ها هي لفظة اقترانية أخرى لك-، أما عن الـ «بروجوف» فهو طائرٌ رث المظهر، يلتصق ريشه بكل شيء حوله -يشبه الممسحة التي دبت فيها الحياة».

قالت أليس: «ثم بعد ذلك «الراث تائه النزل»، أخشى أن أكون قد أثقلت عليك».

«حسنًا» «الراث» نوع من الخنازير الخضراء، «النزل» لست متأكدًا من معناها، لكنني أعتقد أنها اختصار لكلمة «المنزل»، حيث يقصد أنها قد ضلّت طريقها».

«وما الذي يعنيه «يقبع كما التبويق»؟».

«حسنًا، «يقبع كما التبويق»، هو صوتٌ ما بين الخوار والصفير، مع صوت يشبه العطس في المنتصف، أي كان من الممكن أن تسمعي ذلك الصوت في أسفل الأيكة هناك، وعندما تسمعيه لأول مرة، ستميزينه... لكن من الذي ألقى عليك هذا الكم الهائل من الكلمات الصعبة؟».

قالت أليس: «لقد قرأتها في كتاب، لكن لدي قصيدة أخرى أكثر سهولة من تلك قد ألقاها عليّ تويدل دي، على ما أعتقد».

قال هامبتي دامبتي ماطاً إحدى يديه العظيمنتين «أما عن الشعر،
كما تعرفين، أستطيع أن أُلقي الشعر بشكل جيد جداً مثل الرفاق
الآخرين تماماً، لو استدعى الأمر ذلك...».

قالت أليس في عجلة، آملّة في منعه من البدء في ذلك: «أوه،
الأمر ليس كذلك مطلقاً!».

أكمل دون الالتفات لما قالت: «القصيدة التي سألقيها، كُتبت
بالكامل من أجل تسليتك فقط».

شعرت أليس أن عليها الاستماع لها في هذه الحالة، لذلك جلست
وقالت بكل أسف: «شكراً لك».

في الشتاء، عندما تكون الحقول بيضاء
أغني لك تلك القصيدة كي تكوني من السعداء
ثم أضاف شارحاً: «باستثناء أنني لا أغنيها».
قالت أليس: «أرى أنك لا تفعل».

عقب هامبتي دامبتي بجديّة قائلاً «إن كنت حقاً ترين ما إذا كنت
أغني أم لا، فأنت تملكين أعيناً أكثر حدة من الآخرين»، التزمت أليس
الصمت.

في الربيع، عندما تزداد خضرة البستان
سأحاول إخبارك بما أعنيه وما كان

قالت أليس: «شكرًا جزيلاً لك».

في الصيف، عندما تكون ساعات النهار طويلة
ربما حينها ستفهمين مغزى القصيدة



في الخريف، عندما تكون أوراق الشجر بنية
خذي قلمًا وحبرًا، واكتبي هذه القصيدة الأدبية
قالت أليس: «سأفعل بالتأكيد إن تذكرتها».

قال هامبتي دامبتي «لست بحاجة إلى مقاطعتي والتعقيب عليّ
بمثل هذه الصورة، ذلك يخرجني من أجواء القصيدة، غير أنها
تعقيبات لا فائدة من ورائها».

أرسلت إلى الأسماك خطابًا
أخبرها فيه ما أرجو وأرغب
أسماك البحر الصغيرة
أرسلت الإجابة بلا تردد أو حيرة
أسماك البحر الصغيرة قالت بكل حب
لا نستطيع أن نفعل ذلك سيدي بسبب...
قالت أليس: «أخشى أنني لا أفهم المعنى بالضبط».
أجابها هامبتي دامبتي: «ستصبح أكثر سهولة ووضوحًا فيما بعد».

أرسلت لها مرة أخرى مقال
«الطاعة أفضل لكم والامثال»
أجابت الأسماك وفمها مبتسم
أي الأمزجة على وجهك ترسم
قلت لها مرة، قلت لها مرتين

ولم تسمع للنصيحتين
أخذت غلاية جديدة وكبيرة
تصلح لتلك المهمة الخطيرة
قلبي يتقافز، قلبي يدق دقاً
ملأت الغلاية من ماء المضخة
جاء إلي أحدها
قال الأسماك في أسرتها
قلت له، قلت بشكل واضح وصريح
إذن يجب أن توقظها جميعاً من نومها المريح
قلت ذلك بصوت عالٍ وبكل وضوح
ذهبت وصحت في أذنه هل يحتاج كلامي لشروح؟



صاح هامبتي دامبتي ورفع صوته حتى أصبح صوته أقرب إلى الصراخ بينما يردد ذلك البيت، أما عن أليس فقد أخذت تفكر وهي ترتجف: «أبدأ لن أحمل أبداً أي رسالة منه!».

لكنه كان متماسكاً ومتعالياً

قال «لا تُصيحْ عالياً»

لقد كان متماسكاً ومتعالياً

قال: «سأذهب وأوقظها إذن..»

أخذت فتاحة الزجاجات من الرف

سأوقظها بنفسي ولو احتجت لضرب الدف

عندما وجدت الباب قد أغلق

أخذت أسحب وأدفع الباب وأدق

عندما وجدت الباب ماكن

حاولت أن أدير المقبض لكن..

ساد الصمت لفترة طويلة.

سألت أليس في خجل: «هل هذا كل شيء؟».

قال هامبتي دامبتي: «نعم، هو كل شيء، وداعاً».

كان هذا مفاجئاً لأليس بشكل صادم، لكن بعد هذه الإشارة الصريحة، بات من اللازم أن تغادر، فمن الصعب جداً عليها الآن أن تتصرف بتحضر وتبقى، لذلك نهضت، لوحت بيدها وقالت بأكبر قدر استطاعته من المرح: «وداعاً، إلى لقاء آخر!».

رد عليها هامبتي دامبتي في استياء، ماداً أحد أصابعه ليصافحها: «إذا تقابلنا مرة أخرى، لن أعرفك، فشكلك مثل الآخرين تماماً».

علقت أليس بنبرة عقلانية: «الوجه بشكل عام يختلف من شخصٍ للآخر».

قال هامبتي دامبتي: «هذا هو ما أشكو منه بالضبط، وجهك هو نفس الوجه الذي لدى الجميع، عيان - راسماً في الهواء موضعهما في الوجه بإبهامه - الأنف في المنتصف، والفم أسفله، دائماً ما يكون للوجوه نفس الشكل، لكن الآن - على سبيل المثال - إذا كانت عيناكِ إلى جوار أنفك، وفمك في الأعلى، فمن الممكن أن يساعد هذا في تمييزك».

قالت أليس معترضة: «لن يبدو هذا لطيفاً على الإطلاق».

لكن هامبتي دامبتي اكتفى بإغلاق عينيه وقال: «انتظري حتى تجربي».

انتظرت أليس دقيقة حتى ترى إن كان سيتحدث ثانية، إلا أنه لم يفتح عينيه كي يبدي أي ملاحظة أو تعقيب آخر، عندئذ قالت: «وداعاً» مرة أخرى، لم تتلقَ أي رد، ابتعدت بهدوء، وهي تقول لنفسها: «لا

يلبي حاجتك...» -أخذت تكرر تلك الكلمات بصوت عالٍ كما لو أن ذلك ييث فيها بعض الراحة- «لعله أكثر شخص قابلته يعتمد عدم تلبية حاجتك...»، لكنها لم تستطع استكمال جملتها، ففي ذات اللحظة التي نطقت فيها بالعبارة، حدث اصطدام عنيف هز الغابة كلها من أولها إلى آخرها.



الفصل السابع

الأسد والحصان وحيد القرن (اليونيكورن)

في اللحظة التالية ظهر جنود قادمون عبر الأيكة، في بادئ الأمر كانوا يسرون في مجموعات مكونة من فردين أو ثلاثة، ثم أصبحت المجموعات مكونة من عشرات وعشرينات، إلى أن ظهرت في النهاية حشود كبيرة تكاد تملأ الغابة بأكملها. توارت أليس خلف شجرة، خشية أن تتعر في أقدامهم، ستبقى هناك حتى تراهم راحلين بعيداً.

تذكرت أنها طوال حياتها بأكملها لم تر جنوداً غير ثابتي الخطى مثل أولئك؛ كانوا دائمي التعثر بكل شيء أو حتى ببعضهم البعض، حينما ينزلق أحدهم، تجد العديد منهم يسقطون عليه، حتى أصبحت الأرض مغطاة بأكوام صغيرة من الرجال.

ثم ظهرت الخيول من ورائهم، لها أربعة أرجل، تسير بشكل أفضل من الجنود المشاة، غير أن ذلك لم يمنع انزلاقها أيضاً بين الحين والآخر، يبدو أنها قد كانت قاعدة ثابتة، كلما تعثر حصان، سقط الفارس على الفور. بمرور الوقت ازدادت حدة الارتباك،

خرجت أليس من الأيكة ووصلت إلى مكان مفتوح، كانت سعيدة
بذلك، رأت الملك الأبيض هناك جالسًا على الأرض، يدون منهمكًا
في دفتر مذكراته، ذهبت إليه.



صاح الملك بنبرة يملؤها السرور عندما رأى أليس: «لقد أرسلتهم
جميعاً! هل رأيت الجنود عزيزتي أثناء قدومكِ من الأيكة؟».

قالت أليس: «نعم، لقد رأيتهم، رأيت الآلاف منهم على ما أعتقد».

قال الملك مُستعيناً بدفتره: «أربعة آلاف ومائتان وسبعة، هذا هو عددهم بالتمام والكمال، لكنني لم استطع إرسال الخيول كلها، اثنان منها مطلوبان في لعبة، ولم أرسل رسولين أيضاً، كلاهما في المدينة. فقط انظري على طول الطريق وأخبريني إن كنتِ تستطيعين رؤية أي منهم».

قالت أليس: «أرى ألا أحد على الطريق».

قال الملك بنبرة حزينة: «كم وددت لو أن لي عينيّن مثل عينيك، تكونان قادرتين على رؤية (لا أحد)! ومن تلك المسافة أيضاً! بنفس قدرتهما على رؤية الأشخاص الحقيقيين، في مثل هذا الضوء!».

لم تنتبه أليس لكل ذلك، كانت لا تزال تنظر على طول الطريق، مظلمة بيدها على عينيها، إلى أن صاحت في النهاية وقالت: «أرى أحداً الآن! لكنه قادم ببطء شديد، وما تلك السلوكيات الغريبة التي يقوم بها!» (كان الرسول يتنقل صعوداً وهبوطاً، ويتلوى مثل الأبقار البحرى على طول الطريق، باسطاً يديه إلى جانبيه كمروحتين).

قال الملك: «ليس الأمر كما تظنين على الإطلاق، إنه الرسول من الأنجلو ساكسون، وتلك هي سلوكيات الأنجلو ساكسون هو يفعل ذلك عندما يكون سعيداً فقط، اسمه هايا^(٥)».

(٥) أطلق المؤلف عليه ذلك الاسم حيث يماثل نطقه باللهجة البريطانية مع كلمة (mayor) التي تعني عمدة أو كلمة (hare) التي تعني أرنب وهي الشخصية الخيالية التي جسدها لويس كارول في أول جزء «أليس في بلاد العجائب»

لم تستطع أليس منع نفسها من أن تبدأ: «أحب حبيبي بحرف هاء،
لأنه شخص هادئ، أكرهه بحرف هاء، لأنه همجي، أطعمه شطائر
هامبرجر، اسمه هايا، ويعيش...».

بينما كانت أليس لا تزال تفكر مترددة في اسم مكان يبدأ بحرف
هاء، أكمل الملك بكل بساطة دون تفكير ودون أن يلاحظ أنه يشارك
في اللعبة «ويعيش على هضبة... الرسول الآخر يُدعى هاتا، كما
تعرفين، لا بد أن يكون لدي رسولان، للروح والمجيء، واحد يروح
والآخر يجيء».

قالت أليس: «أتوسل معذرتك!».

رد عليها الملك: «التسول غير لائق كما تعرفين».

قالت أليس: «عفوًا. إلا أن كل ما قصده أنني لم أفهم، لماذا
واحد يروح والآخر يجيء؟».

قال الملك في حماسٍ شديد: «ألم أخبرك؟ لا بد أن يكون لديّ
رسولان، للجلب والإرسال، واحد يجلب والآخر يُرسل».

في تلك اللحظة وصل الرسول، كان منقطع الأنفاس تمامًا لدرجة
أنه لم يستطع أن ينطق بكلمة، فقط كل ما استطاع فعله هو التلويح بيده
للملك المسكين بوجهٍ يحمل أشد آيات الرعب.

قال الملك آملًا أن يلفت انتباه الرسول بعيدًا عن نفسه: «تلك
الفتاة الصغيرة تحبك بحرف هاء»، غير أن محاولته كانت بلا طائل،
حيث ازدادت السلوكيات الشاذة والغريبة لذلك الأنجلو ساكسوني

مع كل لحظة تمر، بالإضافة إلى أن عينيه الكبيرتين أخذتا تدوران رواحًا ومجئيًا من جانب إلى آخر.

قال الملك: «أنت حقًا تخيفني! أشعر أنه سيغمي عليّ... أعطني شطيرة هامبرجر!».



في مشهد أضحك أليس كثيرًا، فتح الرسول حقيبة معلقة حول رقبته، وأعطى الملك شطيرة، التهمها بشراهة.

قال الملك: «شطيرة أخرى!».

قال الرسول ملقبًا نظرة سريعة على الحقيبة من الداخل: «لا يوجد شيء الآن سوى التبن».

تذمر الملك هامسًا في خفوت: «تبين».

شعرت أليس بالسرور حين رأت أن ذلك قد أنعشه.

قال لها الملك بينما كان يقضم ويمضغ: «لا يوجد شيء مثل أكل التبن عندما تصابين بالإغماء».

قالت أليس مقترحةً: «أعتقد أن رش الماء البارد على المصاب بالإغماء سيكون أفضل، أو حتى رش بعض النشادر».

رد عليها الملك قائلاً: «لم أقل أنه ليس هناك ما هو أفضل من أكل التبن بالنسبة للمصاب بالإغماء، بل قلت أنه لا وجود لما هو مثل أكل التبن بالنسبة للمصاب بالإغماء». ما جعل أليس لا تجرؤ على الإنكار. أكمل الملك حديثه، ماداً يده إلى الرسول طالباً المزيد من التبن: «من مررت به في الطريق؟».

قال الرسول: «لا أحد».

رد عليه الملك: «هذا صحيح تمامًا، فلقد رأت تلك الفتاة الصغيرة أيضًا، فبال تأكيد لا أحد يسير أبطأ منك».

قال الرسول في عبوس: «أنا أفعل ما في وسعي، كما أنني متأكد ألا أحد يسير أسرع بكثير مني!».

قال الملك «لا ليس بمقدرته أن يفعل ذلك! ولو بمقدرته ذلك، لكان هنا أولاً، على أي حال، الآن قد التقطت أنفاسك، فأخبرنا بما حدث في المدينة».

قال الرسول واضعاً يده على فمه على شكل بوق، منحنياً ليقترّب
قدر الإمكان من أذن الملك: «سأهمس لك»، وهو ما جعل أليس
تمتعّض، حيث أرادت أن تسمع تلك الأخبار أيضاً، ومع ذلك، وبدلاً
من الهمس، صاح بكل وضوح بأعلى صوته: «إنهما هناك مرة أخرى!».
صرخ الملك المسكين قافزاً منتفضاً: «هل تُسمي ذلك همساً؟ إن
كررت ذلك مجدداً، سأطبخك بالزبد، لقد مرّت الكلمة وعبرت داخل
رأسي كالزلازال!».

قالت أليس بينها وبين نفسها: «حتمًا كان ذلك زلزالاً صغيراً
للغاية!»، ثم غامرت وسألت: «من هناك مرة أخرى؟».
قال الملك: «الأسد والحصان وحيد القرن بالطبع».
« أيتعاركان من أجل التاج؟ ».

قال الملك: «نعم، بالتأكيد، أكثر ما يبعث على التندر في ذلك
الأمر، أن التاج تاجي في النهاية، دعونا نركض لننظر إليهما».
هرولوا مسرعين، بينما ظلت أليس تكرر مع نفسها أثناء ركضها،
كلمات الأغنية القديمة:

الأسد والحصان وحيد القرن يتعاركان من أجل التاج
الأسد هزم الحصان وحيد القرن في كل معارك التاج
أعطاهما البعض خبزاً أبيض اللون، وأعطاهما بني اللون آخرون
أعطاهما البعض كعكة البرقوق، وطرحهما خارج المدينة آخرون

سألت أليس وقد تقطعت أنفاسها بينما كانت تركض: «هل... الذي... سينتصر... هو الذي سيأخذ... التاج؟».

قال الملك: «عزيزتي، بالطبع لا! يا لها من فكرة!».

قالت أليس بعد أن ركضت قليلاً وهي تلهث بشدة: «هل أنت من الطبية... بما يكفي كي تقف لدقيقة، حتى يتمكن الواحد منا من التقاط... أنفاسه مرة أخرى؟».

قال الملك: «أنا طيب بما يكفي، فقط أنا لست قويًا بما يكفي كي أقف للدقيقة، كما ترين، الدقيقة تمر بسرعة مخيفة، ستدهسنني لو وقفت لها، أؤمن الممكن أن تحاولي الوقوف لباندريناش!».

لم تستطع أليس متابعة الحديث فقد كانت أنفاسها مقطوعة، لذلك التزمت الصمت بينما واصلت الهرولة، حتى وصلوا لجمعٍ غفير، في مركزه الأسد والحصان وحيد القرن يتقاتلان، كانا مغطيان بسحابة من غبار، لدرجة أن أليس لم تميز أي منهما، لكن بعد قليل من الوقت تمكنت من تمييز الحصان وحيد القرن من خلال قرنه.

وقفوا بمقربة من المكان الذي كان يقف فيه هاتا، الرسول الآخر الذي كان واقفًا يشاهد القتال، ممسكًا بفنجان من الشاي في يد وبقطعة خبز بالزبد في اليد الأخرى.

همس هايا إلى أليس: «لقد خرج تَوًّا من السجن، ولم يكن قد انتهى من شرب الشاي عندما أرسل إليه، وهناك كانوا يقدمون له الجندوفلي فقط، لذلك تجدينه جائعًا وعطشًا جدًّا».. ثم استطرد في كلامه واضعًا

يده في مودة حول رقبة هاتا قائلاً: «كيف حالك، طفلي العزيز؟».
التفت إليه هاتا وأوماً برأسه، ثم واصل أكله لقطعة الخبز.
قال هايا: «هل كنت سعيداً في السجن، طفلي العزيز؟».



التفت هاتا مرة أخرى، لكن في هذه المرة سألت دمعة أو دمعتان
على وجنته، دون أن ينطق بكلمة.

صاح هايا وقد نفذ صبره: «تحدّث، ألا يمكنك ذلك!»، لكن هاتا
لم يفعل شيئاً سوى قضم قطعة الخبز وشرب الكثير من الشاي.

صاح الملك: «تحدّث، ألن تفعل! كيف تسير الأمور في المعركة؟».
ابتلع هاتا قطعة كبيرة من الخبز والزبد، وفي يأس قال بصوت

مخنوق: «يتعاركان جيداً، كلُّ منهما قد سقط لما يقرب من السبع وثمانين مرة».

غامرت أليس بالتعليق قائلةً: «إذن، أعتقد أنهم سيحضرون الخبز الأبيض والبنّي قريباً؟».

قال هاتا: «نحن في انتظار هذا الآن، غير أنني أكل القليل منه الآن». كانت هناك فترة توقف للمعركة، في أثنائها جلس كلُّ من الأسد والحصان وحيد القرن يلهثان، بينما نادى الملك «عشر دقائق مسموحة للمقبّلات!»، انطلق كلُّ من هايا وهاتا للعمل في الحال، حيث حملا صوانيَّ صلبة مليئة بالخبز الأبيض والبنّي. تناولت أليس قطعة لتذوقها، لكنها كانت جافة جداً.

قال الملك لهاتا: «أعتقد أنهما لن يتعاركا أكثر من ذلك اليوم، اذهب ومُر بقرع الطبول»، ذهب هاتا قافراً مثل الجندب.

لدقيقة أو لدقيقتين وقفت أليس صامتةً تنظر إليه، ثم فجأة صاحت بكل حماس وإشراق «انظروا، انظروا!... إنها الملكة البيضاء تعدو عبر المدينة! لقد خرجت من الأيكة، تبدو وكأنها تطير، يا لها من سرعة تلك التي تستطيع الملكات العدو بها!».

قال الملك دون أن يلتفت حتى: «هناك أعداء خلفها، بلا شك، فالأيكة مليئة بهم».

سألت أليس متعجبة من ذلك الهدوء الذي يتحدث به: «ألن تذهب لمساعدتها؟».

قال الملك: «لا فائدة، لا فائدة! ثم إنها تعدو بسرعة رهيبة، تماثل محاولة اللحاق بها محاولة اللحاق بياندريناتش! لكنني سأكتب عنها في دفتر مذكراتي، إن كنتِ تودين ذلك»، ثم أخذ يكرر مع نفسه بهدوء بينما يفتح دفتر مذكراته: «إنها مخلوق رائع عزيز.. هل في تهجئة كلمة مخلوق حرفي «واو»؟».

في هذه اللحظة مر الحصان وحيد القرن ببطء بجوارهم، يدها في جيوبه، وجه حديثه إلى الملك بينما يمعن فيه النظر: «هل كنت أنا الأفضل هذه المرة؟».

أجاب الملك بعصبية: «قليلاً... قليلاً، لم يكن من اللازم أن تطيحه بقرنك، كما تعلم».

قال الحصان وحيد القرن بلا مبالاة: «لم أُصِبْ»، مكملًا سيره، إلى أن وقعت عيناه على أليس، التفت على الفور، ووقف ينظر إليها باشمئزاز شديد.

ثم قال في النهاية: «ما هذا؟».

رد هايا بكل حماس، وقد تقدم ليقف أمام أليس ليعرّف بها، فاردًا كلتا يديه تجاهها كما اعتاد الأنجلو ساكسون أن يفعلوا، قائلاً: «هذه طفلة، لقد وجدناها اليوم، هل أدركت كم هي الدنيا صغيرة، هذه الفتاة في حجم الدنيا!».

قال الحصان وحيد القرن: «لطالما اعتقدت أن هناك وحوشًا خرافية! هل هي على قيد الحياة؟».

قال هايا في اتزان: «ويمكنها أن تتحدث».

نظر الحصان وحيد القرن إلى أليس نظرة حاملة وقال: «تكلمي أيتها الطفلة».

لم تتمكن أليس من مداراة الابتسامة المرتسمة على شفيتها قائلةً: «أتعلم! لطالما اعتقدت أيضًا في أن الحصان وحيد القرن وحش خرافي! لم أر من قبل واحدًا على قيد الحياة!».

قال الحصان وحيد القرن: «حسنًا، الآن قد رأينا بعضنا البعض، إذا صدقت في وجودي، سأصدق في وجودك، اتفقنا؟».

قالت أليس: «نعم، إذا شئت».

توجه الحصان وحيد القرن بحديثه إلى الملك مجددًا: «تعال أيها الرجل العجوز، احضر كعكة البرقوق، لا شيء من خبزك البني قد خُصص لي!».

تمتم الملك: «بالتأكيد.. بالتأكيد!»، ثم أشار إلى هايا هامسًا «افتح الحقيبة!.. بسرعة!.. ليست تلك الحقيبة.. إنها مملوءة بالتبن!».

أخرج هايا قطعة كعك كبيرة من الحقيبة، أعطاها لأليس كي تمسكها، بينما كان يخرج طبقًا وسكينة منقوشة.

لم تستطع أليس تفسير، كيف لكل تلك الأشياء أن تخرج من تلك الحقيبة، لقد كان الأمر أشبه بالخدعة السحرية، أو هكذا ظنت.

انضم الأسد إليهم في تلك الأثناء، بدا عليه التعب والنعاس الشديدين، عيناه نصف مغلقتين.

نظر إليها، فتح عينيه في كسلٍ، متحدثًا بصوتٍ أجوف عميق يشبه صوت قرع جرس كبير قائلاً: «ما هذا؟».

صاح الحصان وحيد القرن في اندفاع: «آها، ما هذا؟ لن تتمكن أبداً من التخمين، أنا لم أستطع».

نظر الأسد إلى أليس في ضجر قائلاً وهو يتشاءب بين كل كلمة وأخرى: «هل أنت حيوان.. أم خضراوات.. أم معدن؟».

صاح حصان وحيد القرن قبل أن تنطق أليس وترد: «إنها وحش خرافي!».

قال الأسد أثناء ما كان يستلقي واضعاً ذقنه على برائنه: «فلتعتنا من كعكة البرقوق أيها الوحش»، ثم وجه حديثه إلى الملك والحصان وحيد القرن: «أنتما الاثنان، اجلسا، فلنقسّم هذه الكعكة قسمة العدل، كما تعرفان!».

بدا عدم الارتياح على الملك بشكل واضح، لم يكن مرتاحاً على الإطلاق، لجلوسه بين مخلوقين كبيرين مثلهما، غير أنه لم يكن هناك مكان آخر له.

نظر الحصان وحيد القرن إلى التاج في مكرٍ شديد قائلاً: «يا لها من معركة تلك التي قد نخوضها الآن من أجل هذا التاج!»، كاد رأس الملك المسكين يسقط عنه، لقد كان يرتجف بشدة.

قال الأسد: «بالتأكيد سأفوز بسهولة».

قال الحصان وحيد القرن: «لست في يقين من ذلك».

رد عليه الأسد بمتهى الغضب وقد قام نصف قيام: «لماذا! لقد هزمتك في كل معركة خضناها لأجل التاج وفي كل أنحاء المدينة، أنت جبان!».

هنا قاطعهما الملك ليمنع استمرار الشجار، قائلاً بتوتر، وبصوت مرتعش: «كل أنحاء المدينة؟ هذا طريق طويل، هل ذهبت إلى الجسر القديم، أو إلى مكان السوق؟ حتمًا طالعت المشهد الأفضل من فوق الجسر القديم».

قال الأسد وهو يعاود الاستلقاء مرة أخرى في سكينّة: «لا أعرف تمامًا!.. لقد كان هناك الكثير من الغبار كي يمكنك رؤية أي شيء. متى سيقوم هذا الوحش بتقطيع الكعكة لنا؟».



كانت أليس جالسة على ضفة جدول صغير، مع طبق ضخمة على ركبتيها، منهمكة في التقطيع بالسكين، قائلة: «إن هذا مرهق جداً»، ردّاً على ما قاله الأسد (حيث اعتادت على مناداتها بالوحش): «لقد قمت بتقطيع الكثير من الشرائح بالفعل، لكنها دائماً ما تعود إلى الالتصاق ببعضها مرة أخرى!».

علّق الحصان وحيد القرن «أنت لا تعرفين كيفية التعامل مع كعكات بيت المرأة، قومي بتمريرها ومناولتها أولاً، ثم قطعيها فيما بعد».

بدا ذلك هراءً بالنسبة إلى أليس، لكنها كانت مطيعة، حملت الطبق ثم قامت بتمريره، فانقسمت الكعكة من نفسها إلى ثلاث قطع كما كانت تحاول أن تفعل من قبل.

قال الأسد بينما كانت تعود لتتخذ مجلسها وفي يدها الطبق الفارغ: «والآن قومي بتقطيعها». صاح الحصان وحيد القرن بعد أن جلست أليس والسكين في يدها، وقد أصابتها حيرة شديدة، لا تعرف كيف تبدأ ذلك التقطيع: «هذه ليست قسمة العدل! لقد أعطت الوحش الأسد ضعف نصيبي!».

قال الأسد: «هي فقط لم تحتفظ لنفسها بشيء، هل تحبين كعكة البرقوق، أيها الوحش؟».



لكن قبل أن تتمكن أليس من الإجابة عليه، قرعت الطبول، لم
تستطع تحديد المكان الذي أتت منه تلك الضجة الكبيرة، حيث بدا
كما لو أن الهواء قد أصبح محملاً ممتلئاً بها، تدق عبر رأسها وعبر
رأسها، حتى شعرت أنها ستصاب بالصمم. نهضت أليس من فورها،
ووُثبت عبر جدول صغير وقد أصابها خوف شديد، كانت قد رأت

الأسد والحصان وحيد القرن يهبان واقفين، في غضب شديد لمقاطعة
وليمتهما، قبل أن تسقط على ركبتها، وتضع يديها على أذنيها،
محاولةً عبثاً أن تصمت تلك الضجة الرهيبة.

حيث دار في بالها «إن لم يخرج ذلك الطبول من المدينة، إذن فما
من شيء سيفعل!».



الفصل الثامن

إنه اختراعي الخاص

بعد حين انخفض صوت الضجيج تدريجيًا، حتى انتهى تمامًا، رفعت أليس رأسها بقليل من الحذر، لا أحد هناك يمكنها رؤيته، أول ما جال في خاطرها، أنها بالتأكيد قد كانت تحلم بالأسد والحصان وحيد القرن، وما تلك الأشياء التي لا تزال موجودة عند قدميها، والتي استخدمتها لتقطيع كعكة البرقوق إذن، قالت لنفسها: «لذلك، في النهاية قطعًا لم أكن أحلم، إلا إذا كنا جميعًا جزءًا من الحلم نفسه، فقط كل ما أتمناه أن يكون ذلك حلمي أنا، ليس حلم الملك الأحمر، لا أفضل أن أكون جزءًا من أحلام شخص آخر»، أكملت في تدمير شديد قائلة: «الذي هاجس عظيم يدفعني نحو الذهاب إليه وإيقاظه، ولأرى ماذا سيحدث!».



في ذات اللحظة قطع صياح عالٍ جبل أفكارها: «أهووي! أهووي! أهووي! أهووي!»، ظهر فارس يرتدي درعًا قرمزيًا، يرمح بحصانه نحوها، ملوحًا بهراوته الضخمة، إلا أنه فور وصوله إليها، أوقف الحصان فجأة، ترجل الفارس من فوق حصانه وهو يصيح: «أنتِ سجينتي!». رُوعت أليس تمامًا، غير أنها قد كانت خائفة عليه أكثر من خوفها على نفسها في تلك اللحظة، كانت تنظر نحوه في قلق شديد بينما يحاول امتطاء حصانه ثانيةً، بمجرد أن اعتلى صهوته واعتدل في جلسته على السرج، شرع مرة أخرى في قول: «أنتِ س...»، إلا أن

صوتًا آخرًا تداخل: «أهووي! أهووي! تشيك!»، التفتت أليس في شيء من الدهشة كي ترى العدو الجديد.

تلك المرة قد كان الفارس الأبيض، والذي وقف بمحاذاة أليس، وترجّل عن حصانه كما سبق وفعل الفارس الأحمر بالضبط، ثم امتطى حصانه مجددًا، أخذ الفارسان ينظران إلى بعضهما البعض دون أن يتحدثا لبعض الوقت، أخذت أليس تُنقل نظراتها فيما بينهما في حيرة تامة وذ هول.

قال الفارس الأحمر في النهاية: «إنها سجينتي، كما تعرف!». رد عليه الفارس الأبيض: «نعم، إلا أنني قد جئت بعد ذلك وأنقذتها!».

قال الفارس الأحمر بعد أن انتشل خوذته ووضعها على رأسه (تلك الخوذة التي كانت معلقة على السرج، وتشبه إلى حد كبير رأس حصان): «إذن لتتقاتل من أجل الحصول عليها».

قال الفارس الأبيض وقد وضع خوذته على رأسه كذلك «حتمًا ستلتزم بقواعد المعركة؟».

رد عليه الفارس الأحمر: «دائمًا أفعل»، بدأ كل منهما الانقضاض على الآخر في ضراوة، ما جعل أليس تختبئ خلف شجرة كي تكون بعيدة عن الضربات.

قالت أليس محدثة نفسها بينما تختلس النظرات من مخبئها، تطل برأسها في تردد لتشاهد القتال: «أتساءل الآن! ما هي قواعد

تلك المعركة؟ يبدو أن القاعدة الأولى هي: إذا ضرب أحدهما الآخر، فلا بد أن يُسقطه من فوق حصانه، وإذا أخطأ الضرب، فلا بد أن يُسقط نفسه - وهناك قاعدة أخرى فيما يبدو تنص على أن عليهما أن يمسكا بهراوتيهما بأيديهما، كما لو كانا مثل بانث وجودي^(٦) -، يا لها من ضجة عارمة تلك التي يُحدثانها عندما يسقطان! تشبه تمامًا الضجة الناجمة عن سقوط مجموعة كاملة من أدوات إذكاء النار على سياج المدفأة! ويا لهما من حصانين هادئين! يُسمح لهما بامتطائهما والترجل عنهما كما لو كانا طاولتين!«.

لم تنتبه أليس لقاعدة أخرى، فمن الواضح أنه يجب عليهما أن يسقطا على رأسيهما، انتهت المعركة بسقوط كليهما بتلك الطريقة، جنبًا إلى جنب، عندما نهضا مرة ثانية، تصافحا، امتطى الفارس الأحمر حصانه، ثم عدا سريعًا.

قال الفارس الأبيض متقدمًا من أليس وهو يلهث: «كان هذا انتصارًا مجيدًا، أليس كذلك؟».

قالت أليس في شك شديد «لا أعرف، إلا أنني لا أريد أن أكون سجينًا أحد، أريد أن أكون ملكة».

قال الفارس الأبيض «إذن ستصبحين عندما تعبرين الجدول التالي، سأعمل على حمايتك حتى وصولك إلى نهاية الأيكة، لأن

(٦) عرض للعرائس في كايينة طويلة مغطاة برسوم مقلمة تقليدية، قُدِّم في إنجلترا في القرن السابع عشر، بانث يكون دائمًا في اليد اليمنى طوال العرض، في حين أن اليد اليسرى تنتقل الشخصيات عليها (جودي) الزوجة، كاهن، طبيب، شرطي وجلاذ.

عليّ بعد ذلك أن أعود، فكما تعرفين، هذه نهاية حركتي».

«أشكرك شكرًا جزيلاً!».. «هل يمكنني مساعدتك في خلع خوذةك؟» قالت أليس ذلك حيث كان من الواضح أن خلع الخوذة يعد أمرًا مستعصيًا كي يقوم به بمفرده؛ لكن على الرغم من ذلك تمكنت أليس من إخراج رأسه من تلك الخوذة في نهاية المطاف.

التفت الفارس الأبيض نحو أليس بوجهه اللطيف ناظرًا إليها بعينه الواسعتين الهادئتين، بينما تتخلل كلتا يديه شعره الأشعث قائلاً: «الآن يمكن للمرء أن يتنفس بسهولة أكبر»، اعتقدت أليس في أنها لم ترَ أبدًا جنديًا غريب المظهر مثل هذا من قبل طوال حياتها.

كان يرتدي درعًا مصنوعة من الصفيح، بدت غير مناسبة له على نحو مريع، ويحمل صندوقًا خشبيًا صغيرًا غريب الشكل مربوطًا ومعلقًا بميل على كتفه، مقلوبًا رأسًا على عقب، وغطاؤه مفتوح، تعلقت أنظار أليس به، نظراتها تنم عن فضول بالغ.

قال الفارس بنبرة ودية: «أرى أنكِ معجبة بصندوقِي الصغير، إنه اختراعي الخاص؛ صنعته خصيصًا كي أجمع ملابسي وشطائري بداخله، ترين أنني أحمله مقلوبًا رأسًا على عقب، حتى لا يمكن للأمطار أن تدخله».

قالت أليس معلقة بكل لطف: «لكن الأشياء ستسقط منه كذلك.. هل تعرف أن غطاءه مفتوح؟».

قال الفارس وقد اعتلت وجهه سحابة غضب: «لا، لا أعرف

ذلك، لقد سقطت إذا جميع الأشياء حتمًا، والصندوق الآن من دون تلك الأشياء بلا أدنى فائدة»، حلَّ رباط الصندوق بينما كان يتحدث، وقد همَّ بالقاءه بين الأشجار، إلا أن فكرة مفاجئة قد طرأت على باله؛ فقام بتعليقه بحرصٍ بالغ على شجرة، قائلاً لأليس: «هل يمكنك تخمين لماذا فعلت ذلك؟».

هزت أليس رأسها.



قال: «على أمل أن يبني بعض النحل عشه فيه، وبالتالي أحصل على بعض العسل».

قالت أليس: «لكن يبدو أن لديك خلية نحل، أو ما شابه، مثبتة في السرج».

قال الفارس في استياء: «نعم، إنها خلية نحل جيدة جدًا، واحدة من أفضل الأنواع، إلا أن نحلة واحدة حتى لم تقترب منها بعد، ولديّ أيضًا شيء آخر ألا وهو مصيدة للفئران، أظن أن الفئران تُبعد النحل، أم أن النحل هو من يُبعد الفئران، أنا لا أعلم أيًا منهما يُبعد الآخر».

قالت أليس: «فقط أتعجب من وجود مصيدة للفئران، من غير المرجح أبدًا أن يوجد أي فأر على ظهر حصان».

قال الفارس: «لا، هذا غير وارد بالفعل، لكن ماذا إذا جاءت الفئران فعلاً، لا يمكنني اختيار الأماكن التي تذهب إليها مطلقاً، قد تذهب إلى أي مكان هنا».

ثم تابع قائلاً بعد توقف: «أترين! إن حصاني جيد بما يكفي كي يكون مجهزاً لكل شيء؛ هذا هو السبب الذي يجعل لحصاني كل تلك الخلاخيل حول أقدامه»، سألت أليس بنبرة يملؤها الفضول: «لكن ما الغرض منها؟»، أجاب الفارس: «هي من أجل الحماية من عضات أسماك القرش، إنه واحد من اختراعاتي... والآن ساعديني، سأذهب معك إلى نهاية الأيكة، لكن ما الغرض من الطبق؟».

قالت أليس: «إنه من أجل كعكة البرقوق».

قال الفارس: «سيكون من الأفضل أخذه معنا، في حالة إن وجدنا كعكة برقوق، ساعديني في وضعه في تلك الحقيبة».

استغرق ذلك وقتًا طويلًا جدًا لإتمامه، حملت أليس الحقيبة مفتوحة بحذر شديد؛ لأن الفارس قد كان جبانًا جدًا ومتخوفًا بشدة وهو يقوم بوضع الطبق داخلها: في أول محاولتين أو أول ثلاث محاولات سقط هو نفسه عوضًا عن الطبق، قائلاً: «إنها ضيقة للغاية، كما ترين»، غير أنه تمكن في النهاية من وضعه قائلاً: «هناك الكثير من الشمعدانات في الحقيبة»، سآخذها وأعلقها على السرج، كان السرج محملاً بالفعل بحزم من الجزر وأدوات إذكاء النار والكثير من الأشياء الأخرى.

بينما كانا يتأهبان للانطلاق تابع الفارس قائلاً: «أمل أن تكوني قد ثبتت شعرك جيدًا؟».

قالت أليس مبتسمة: «على النحو المعتاد فقط».

قال في شيء من الشك: «لا أظن أن هذا كافٍ، فكما ترين الرياح قوية جدًا هنا، إنها قوية مثل الحساء».

تساءلت أليس قائلة: «هل اخترعت شيئًا يمنع تطاير الشعر؟»

قال الفارس: «ليس بعد، لكن لدي خطة لمنعه من الانسدال»

«أود أن أسمعها جدًا»

قال الفارس: «أولاً تأخذين عصا مستقيمة، ثم تربطين شعرك عاليًا فيها، وتتركينه ليزحف عليها مثل شجرة الفاكهة. فبسبب انسداد

الشعر هو أنه مربوط للأسفل، الأشياء أبدًا لا تنسدل إلى الأعلى كما تعرفين.. إنها خطة من اختراعي الخاص، يمكنك تجربتها إن أردت». مضت بضغ دقائق وأليس تسير في صمت محتارة بشأن تلك الخطة، فهي ليست خطة مريحة كما ظنت، من حين لآخر كانت تتوقف كي تساعد الفارس المسكين، الذي لم يكن فارسًا ماهرًا على الإطلاق.

كلما توقف الحصان (وهو ما كان يحدث في كثير من الأحيان) يسقط إلى الأمام، وعندما يسير الحصان مرة أخرى (والذي كان يحدث على نحو مفاجئ عامةً) يسقط إلى الخلف، فيما عدا ذلك فقد كان على ما يرام إلى حدٍّ ما، فيما عدا أنه قد كانت من عاداته السقوط إلى الجانبين بين الحين والآخر، بشكل عام كان يسقط على الجانب الذي تسير فيه أليس، والتي وجدت في النهاية أن الخطة الأمثل تتمثل في ألا تسير بالقرب من الحصان مطلقًا.

غامرت أليس قائلةً بينما كانت تساعد على النهوض من سقوطه الخامس: «أخشى من أنك لم تحصل على الكثير من تدريبات ركوب الخيل».

بدا الفارس مندهشًا جدًّا ومهانًا جراء ما عقبته به أليس، حيث سأله: «ما الذي جعلك تقولين ذلك؟» بينما كان يعود إلى السرج، وقد قبض بيده على شعر أليس، محاولًا إنقاذ نفسه من السقوط على الجانب الآخر.

«لأن الناس لا يسقطون كثيرًا، إذا حصلوا على تدريبات كافية».
قال الفارس بشجاعة: «لقد حصلت على الكثير من التدريبات،
الكثير منها!».

لم تستطع أليس أن تفكر في كلمة أفضل من أن تقول: «بالتأكيد!»،
لكنها قالتها بمودة قدر استطاعتها، عقب ذلك تحركا في صمت
لمسافة قصيرة، الفارس مغلق العينين، متممًا إلى نفسه، وأليس
متأهبةً كليًا لتعثره القادم.

وإذ فجأة بدأ الفارس الحديث بصوتٍ عالٍ ملوحًا بذراعه اليمنى
«فن ركوب الخيل هو أن تحافظ على...»، انتهت تلك الجملة فجأة
كما بدأت تمامًا، حيث سقط الفارس على رأسه بالضبط في الجهة
التي تسير فيها أليس، كانت خائفة تلك المرة حيث قالت في نبرة
يملؤها القلق بينما تلتقطه: «أمل ألا تكون هناك عظام قد كُسرت».

«لا يستحق هذا الشيء التافه الحديث عنه» قالها الفارس كما لو
أنه لا يمانع في كسر عظمتين أو ثلاث، ثم أكمل: «فن ركوب الخيل،
كما كنت أقول، هو أن تحافظي على توازنك بشكل مضبوط، على
هذه الصورة، كما تلاحظين...».

ترك اللجام، ثم مدَّ ذراعيه ليوضح لأليس ماذا كان يقصد، في هذه
المرة سقط مسطحًا على ظهره، مباشرةً أسفل قدم الحصان.

أخذ يكرر طوال الفترة التي كانت أليس تساعده على الوقوف
على قدميه مرة أخرى فيها: «الكثير من التدريبات.. الكثير منها!».

صاحت أليس وقد نفذ صبرها كله هذه المرة: «إنه أمر سخيف جداً! يجب أن تحصل على حصان خشبي على عجلات، يجب عليك ذلك حقاً!».

سأل الفارس بنبرة يعترىها الاهتمام الكبير معانقاً رقبة الحصان بيديه بينما كان يتحدث، لإنقاذ نفسه في الوقت المناسب من الانزلاق مرة أخرى: «هل هذا النوع يسير بسلاسة؟».

قالت أليس وقد تفلتت منها ضحكة صغيرة على الرغم من كل ما بذلته من جهد لمنعها: «بالتأكيد أكثر سلاسة من حصان حي».

قال الفارس مفكراً في عمق بينه وبين نفسه: «سأحصل على واحد.. اثنين أو ثلاثة.. ربما العديد».

سادت لحظات من الصمت بعد ذلك، إلى أن أكمل الفارس حديثه مرة أخرى: «أنا ماهر جداً في اختراع الأشياء، أحسب أنك قد لاحظت ذلك، آخر مرة ساعدتني على النهوض فيها، كنت أبدو غارقاً في التفكير؟».

قالت أليس: «كنت غامضاً قليلاً».

«حسناً، حينها كنت اخترع طريقة جديدة لتخطي البوابة، أترغبين في سماعها؟».

قالت أليس في أدب جم: «أرغب جداً، بالتأكيد».

قال الفارس: «سأخبرك كيف تطرقت إلى التفكير في ذلك الأمر».

«أتعلمين، لقد قلت لنفسى «المشكلة الوحيدة هي القدمان، فالرأس عالٍ بالفعل بما فيه الكفاية»، الآن، أولاً سأضع رأسي على قمة البوابة، ثم أقف على رأسي، تجددين أن القدمين ترتفعان بما يكفي، كما ترين، ثم أكون قد عبرت البوابة كما ترين».

قالت أليس وهي تفكر: «نعم، أعتقد فعلاً أنك ستكون قد تخطيتها إن تمّ لك ذلك، لكن ألا تعتقد أن ذلك سيكون صعباً إلى حد ما؟».

قال الفارس في جدٍ: «لم أحاول فعل ذلك حتى الآن، لذلك لا أستطيع أن أخبركِ على وجه اليقين، لكنني أخشى فعلاً أن يكون الأمر صعباً إلى حدٍّ ما».

بدا متضايقاً جداً بسبب تلك الفكرة، لدرجة أن أليس غيرت موضوع الحديث على عجل؛ حيث قالت بحرصٍ بالغ «يا لها من خوزة مثيرة للدهشة تلك التي لك! أهى من اختراعاتك أيضاً؟».

نظر الفارس بفخرٍ إلى خوزته المعلقة على السرج قائلاً: «نعم، لكنني اخترعت واحدة أخرى أفضل من تلك، تشبه قالب السكر مخروطي الشكل، عندما ارتديها، إن حدثت وسقطت من على الحصان، فإنها تلمس الأرض مباشرة؛ لذلك لا تترك لي سبيلاً للسقوط، كما ترين، لكنها مع ذلك تحمل خطر السقوط فيها، على وجه التحديد، قد حدث ذلك لي مرة واحدة، وأسوأ ما كان في ذلك، قبل أن أتمكن من الخروج منها مرة أخرى، جاء فارس أبيض آخر ووضعها على رأسه، معتقداً أنها قد كانت خوزته».

بدا الفارس جادًا جدًّا فيما يتعلق بذلك، لدرجة أن أليس لم تجرؤ على الضحك، قالت بصوتٍ مرتجف: «أخشى أن تكون قد أصبته، كونك فوق رأسه».

قال الفارس بجديّة: «كنت مضطّرًّا إلى ركّله بالطبع، إلى أن خلع الخوذة مرة أخرى، لكن الأمر احتاج لساعات وساعات من أجل إخراجي منها، لقد كنت سريعًا - سريعًا مثل وميض البرق، لعلك تعرفين».

اعترضت أليس قائلةً: «لكن هذا نوع مختلف من السرعة».

هزّ الفارس رأسه وقال: «لقد كانت كل أنواع السرعة معي، بإمكانني أن أثبت لك»، بينما كان يقول ذلك، رفع يديه بحماسة، ثم قام من فوره بالاستدارة على السرج، تاركًا إياه، ليسقط رأسًا في حفرة عميقة.



ركضت أليس نحو الحفرة لتتفقدته، رَوَّعها سقوطه تمامًا، على الرغم من أنه قد ظلَّ في حال جيد طوال الفترة السابقة دون أن يُصاب بأذى، إلا أنها كانت تخشى أن يصاب بالفعل هذه المرة. على الرغم من أنها لم تر منه سوى قدميه، إلا أنها شعرت بارتياح عندما سمعته يتحدث بنبرته المعتادة مكرَّرًا: «كل أنواع السرعة.. لكن قد كان ذلك إهمالاً منه أن يرتدي خوذة رجل آخر.. وعلاوة على ذلك، هناك رجل بداخلها».

تساءلت أليس بينما كانت تنتشله من قدميه، وتسحبه إلى تل صغير بجانب الجدول: «كيف لك أن تتحدث بهدوء شديد، ورأسك إلى الأسفل؟»، بدا الفارس مندهشًا من السؤال حيث قال «وما دخل وضع جسدي أيًّا ما كان، حيث إن عقلي يعمل بذات الكفاءة في كل الحالات، في الواقع، كلما كانت رأسي إلى الأسفل وكنت مقلوبًا رأسًا على عقب، فإنني أقوم باختراع أشياء جديدة».

أكمل الفارس بعد توقف: «الآن، فإن أحد أبرع اختراعاتي، كان ابتكار حلوى بودنج جديدة تقدم مع طبق اللحم».

قالت أليس: «هل من المناسب طهيها مع الوجبة التالية؟».

قال الفارس ببطء وفي تمعن: «حسنًا! ليست الوجبة القادمة.. لا بالتأكيد ليست الوجبة القادمة».

«إذن، ربما في اليوم التالي، أظن أنك لن تبتكر اثنين من حلوى البودنج في عشاء واحد؟».

كرر الفارس مثلما فعل في السابق: «ولا اليوم التالي، في الواقع»، ثم أكمل ممسكاً رأسه ناظرًا إلى الأرض، بينما ينخفض صوته أكثر فأكثر: «لا أظن أن حلوى البودنج ستطهى! في الواقع، لا أعتقد أنه من الممكن أن تُطهى مطلقًا! غير أنها لا تزال أفضل حلوى بودنج من الممكن اختراعها».

قالت أليس آملة في إسعاده: «ما الذي تريده لتصنعها؟»، إلا أن الفارس المسكين قد بدا حزينًا للغاية بسبب ذلك. أجاب الفارس متأوهًا: «إنها تبدأ بورقٍ جاف». «لن يكون هذا جيدًا أبدًا، أخشى أن...».

قاطعها الفارس في شيء من الاندفاع: «لن يكون جيدًا وحده، ليس لديك أدنى فكرة عن مدى الفارق الذي يشكله إضافة الأشياء الأخرى إليه، مثل البارود وشمع الأختام.. هنا يجب أن أتركك»، كانا قد وصلا للتو إلى نهاية الأيكة.

بدت أليس في حيرة، حيث كانت تفكر في الحلوى. قال الفارس بنبرة قلقة: «أنتِ حزينة، دعيني أغني لك أغنية لتشعركِ بالراحة».

سألت أليس: «أهي طويلة؟»، حيث كانت قد استمعت بالفعل إلى قدر كبير من الشعر في ذلك اليوم.

قال الفارس: «إنها طويلة، لكنها حقًا ممتعة، كل شخص يسمعي أغنيها، تترقق الدموع من عيني، أو...».

قالت أليس حيث توقف الفارس فجأة: «أو ماذا؟».

«أو لا تترقق الدموع من عينيه، كما تعلمين... يُدعى اسم الأغنية (عيون الحَدُوق)^(٧)».

قالت أليس في محاولة منها للتظاهر بالاهتمام: «أوه، هذا اسم الأغنية، أليس كذلك؟».

قال الفارس حيث بدا منزعجًا قليلًا «لا، أنتِ لا تستوعبين، هذا هو ما يُدعى الاسم به، أما الاسم الفعلي فهو «الرجل العجوز الكهل».

قالت أليس مصححة لنفسها: «إِذَنْ يجب أن أقول «هذا ما تُدعى به الأغنية»؟».

«لا، لا يجب، هذا شيء آخر! تُدعى الأغنية «طرق ومعانٍ»، لكن هذا فقط ما تُدعى به، أتعرفين!».

قالت أليس التي كانت في ذلك الوقت حائرة تمامًا: «حسنًا، ما الأغنية إِذَنْ؟».

قال الفارس: «لقد كنت سأتطرق إلى ذلك، الأغنية هي «جلسة على البوابة»، ولحنها من اختراعي الخاص».

كان هذا ما يقوله، عندما أوقف حصانه وأرخى لجامه وتركه يسقط من على رقبته، ثم ببطء أخذ يحرك يده على وقع ما، وقد أضاءت ابتسامة باهتة وجهه اللطيف الأحمق، بدا كأنما ينصت إلى موسيقى أغنيته، ثم بدأ.

(٧) نوع من أنواع السمك البحري.

من بين شتى الأشياء الغريبة التي شاهدها أليس في رحلتها عبر بيت المرأة، كان هذا هو الشيء الوحيد الذي تتذكره أليس بكل هذا الوضوح. بعد مرور سنوات لا تزال قادرة على استعادة المشهد بأكمله مرة أخرى، كما لو أنه قد حدث بالأمس فقط، عينا الفارس الواسعتان وابتسامته الودودة، أشعة الشمس المتلألئة عبر شعره، واللامعة على درعه وقد توهج بضوء أبهرها بالكلية، حركة الحصان الهادئة، ولجامه معلق فضفاضاً على رقبتة، يأكل العشب عند قدميها، وظل الغابة الظليل في الخلفية، اختزن كل ذلك داخلها وكأنها قد التقطته في صورة، مالت على العشب الأخضر وقد وضعت يداً واحدة كمظلة أمام عينيها، تطالع ذلك الاقتران الغريب، وتستمتع حالمة إلى موسيقى الأغنية الحزينة.

قالت أليس لنفسها: «غير أنه ليس لحناً من اختراعه الخاص، إنه لحن «أعطيتك كل شيء، لا أستطيع تقديم ما هو أكثر»^(٨)، وقفت واستمعت باهتمام بالغ، لكن لم تترقق عيناها بالدموع.

سأخبرك بكل شيء قدر الإمكان

هناك القليل لأرويهِ

رأيت رجلاً عجوزاً كهلاً

في جلسةٍ على البوابة

قلتُ «من أنت أيها العجوز الكهل؟

وكيف تعيش؟»

(٨) My heart and lute مطلع قصيدة للكاتب والشاعر توماس مور.

إجابته تدفقت إلى عقلي
كمياه مسكوبة في غربال
قال: «أبحث عن الفراشات
الكامنة بين سنابل القمح
أصنع منها فطائر لحم ضأن
وأبيعها في الشارع»
قال: «أبيعها لرجال
يعبرون البحور الهائجة
بذلك أحصل على معاشي
هي أمورٌ بسيطة، اعذرني.
لكني كنت أفكر في خطة
لصبغ شوارب شخص بالأخضر
واستخدام مروحة ضخمة دائماً
بحيث لا يمكنهم رؤيته
لذلك، لم يكن هناك رد
على ما قاله الرجل العجوز الكهل
صحت: «تعال، أخبرني كيف تعيش!»
وضربتة على رأسه

سيطرت لهجته على كل الحكاية

قال: «أمضي في الطرقات،

وعندما أجد جدولاً يشق الجبال

أشعل هناك النار

من ثم يصنعون شيئاً يدعونه

زيت ماكاسر^(٩)

بنسان ونصف هي كل شيء

يمنحونه لي جزاء مشقتي



(٩) زيت مخلط استخدم في العصر الفيكتوري والإدواردي حيث كان بمثابة منعم للشعر، اشتهر على يد مصفف الشعر أليكسندر رولاند في لندن.

لكنني كنت أفكر في طريقة
لإطعام أحدهم الطحين
بين يوم وآخر
يصبح أسمن قليلا
هزرته بقوة من جانب إلى آخر
حتى بات وجهه أزرق
صحت: «تعال، أخبرني كيف تعيش!
وماذا تفعل!»
قال «أصطاد لأحصل على أعين الحدوق
من بين حشائش خلنج زاهية
جاعلاً منها أضرار صدرية
في ليلة ساكنة
لا أبيعها طمعاً في الذهب
أو في عملات فضية لامعة
لكن بنصف بنس نحاس
قد أبيع تسعة
«أحفر أحياناً من أجل ملفوف الزبد
أو أحزم أغصان الدابوق من أجل سلطعون البحر

أحياناً أفتش الهضاب العشبية
من أجل عجلات عربية خيل
تلل هي الطريقة»، وغمز بعينه:
«من خلالها أجمع ثروتي
وبكل سرور سأشرب
نخب صحتك الغالية».
سمعته حين كدت
أنتهي من تصميمي
لحماية كوبري ميناى من الصدأ
عن طريق غليه في النبذ
شكرته كثيراً لإخباري
الطريقة التي حصل بها على ثروته
لكن بناء على رغبته الأساسية
من الممكن أن يشرب نخب صحتي الغالية
الآن، لو حدث دائماً بمحض الصدفة
أن وضعت أصابعي في قلب الغراء
أو أنني قد أدخلت قدمي اليمنى
في حذاء قدمي اليسرى بجنون

أو لو أنني قد أسقطت على أخصص قديمي
وزناً ثقيلاً جداً

فإنني أُنحب بشدة، لأتذكر
ذلك الرجل العجوز الذي اعتدت معرفته
صاحب المظهر اللطيف، والخطاب البطيء
الشعر الأكثر بياضاً من الثلج
والوجه الذي يشبه الغراب

وعينان تشبهان جمرتان متوهجتان
ذلك الرجل الذي بدا مشتتاً بسبب محنته
مؤرجحاً جسده جيئةً وذهاباً

متمتماً بغمغمة هامسة
كما لو كان فمه مليئاً بالعجين
يطلق شخيراً كجاموس

في تلك الليلة الصيفية، منذ زمن بعيد
في جلسةٍ على البوابة

بينما كان الفارس يغني كلمات قصيدته الشعرية الأخيرة، كان قد
حزم اللجام، ووجه رأس الحصان نحو الطريق الطويل الذي جاء منه.
قال: «سوف تسيرين بضع ياردات فقط أسفل الهضبة وعبر الجدول، بعد

ذلك ستصبحين ملكة»، نظرت أليس في لهفة نحو الاتجاه الذي أشار إليه، أضاف قائلاً «لكن قبل ذلك ستبقين وسترينني أرحل؟ لن أستغرق وقتاً طويلاً، ستنظرينني ثم ستلوحين بمنديك عندما أصل إلى ذلك المنعطف على الطريق؟ أعتقد أن ذلك سيشجعني، أتعلمين ذلك؟!».

قالت أليس: «بالطبع سأنتظر، وأشكرك جداً على اصطحابي كل تلك المسافة، وعلى الأغنية، أحببتها كثيراً».

قال الفارس في شك: «آمل ذلك.. لكنك لم تبكي مثلما كنت أتوقع». تصافحا، ثم ذهب الفارس ببطء ومضى عبر الغابة، قالت أليس محدثة نفسها بينما تتطلع إليه: «أتوقع أن الأمر لن يستغرق طويلاً، حتى أراه يرحل».

ثم أكملت محدثة نفسها ثانية: «ها هو يسقط، على رأسه تماماً كالمعتاد!»، لكنه على أي حال عاود النهوض مجدداً بسهولة - بفضل تلك الأشياء الكثيرة المعلقة حول الحصان «سار الحصان على مهل طوال الطريق، والفارس يتعثر وينزلق، كان الانزلاق الأول على أحد الجانبين، والانزلاق الثاني على الجانب الآخر، بعد انزلاقه الرابع أو الخامس وصل إلى المنعطف، وحينها لوحث له أليس بمنديها، وانتظرته حتى غاب عن الأنظار.

قالت بينما كانت تتجه إلى أسفل الهضبة: «آمل أن يكون ذلك قد شجعه، والآن فلأمضِ إلى آخر جدول، ولأصبح ملكة! كم يبدو الأمر عظيماً!»، أوصلتها خطوات قليلة جداً فقط إلى حافة الجدول.



«المربع الثامن، أخيراً»، بهذا صاحت أليس بينما كانت تركض عبره، ألقت بنفسها على مرج أخضر ناعم، في نعومة الطحالب كي تستريح، كان يحتوي على القليل من أحواض الزهور هنا وهناك، قالت أليس: «أنا سعيدة حقاً لوصولي إلى هنا!»، وضعت يدها على رأسها حيث شعرت بشيء ثقيل ومحكم بشدة حول رأسها، صاحت في شيء من الفرع «ما هذا الذي فوق رأسي؟».

قالت لنفسها: «لكن كيف وصل إلى هنا دون أن أعرف؟»، رفعته من فوق رأسها، ووضعتة على رجلها، لترى ماذا قد يكون. إنه تاجٌ ذهبيٌّ.

الفصل التاسع

الملكة أليس



«حسنًا، هذا أمر عظيم! لم أتوقع أبدًا أن أصبح ملكة بمثل هذه السرعة.. والآن سأخبرك كيف تسير الأمور يا جلالة الملكة»، ثم استكملت أليس ما تقوله لكن بنبرة حادة (حيث اعتادت على توبيخ نفسها)، «ليس من اللائق أبدًا لك الاسترخاء على العشب هكذا! الملكات يجب أن يكنَّ مبجلات، كما تعرفين!».

لذلك نهضت وبدأت السير، لكن حركاتها قد كانت متبسةً في أول الأمر، حيث خشيت من أن يسقط التاج، غير أنها سرعان ما طمأنت نفسها بفكرة عدم وجود أحد هناك كي يراها، ثم قالت بينما كانت تعاود الجلوس ثانية: «وإذا كنت حقاً ملكة، فسأكون قادرة على التحكم فيه جيداً بمرور الوقت».

كل شيء يسير بغرابة تامة، لذا لم تشعر أليس بالدهشة ولو بالقليل منها عندما وجدت الملكة الحمراء والملكة البيضاء جالستين بالقرب منها، كل واحدة على جانب، أرادت أليس بشدة أن تسألهما كيف تسنى لهما المجيء إلى هنا، لكنها خشيت ألا يكون ذلك سلوكاً متحضرًا. على كل حال، ظنت أليس أنه لا ضرر هناك إن سألت ما إذا كانت اللعبة قد انتهت، لذلك شرعت في الحديث ناظرةً بخجل إلى الملكة الحمراء وقالت: «من فضلك، هل من الممكن أن تخبريني...». قاطعتها الملكة بحدّة: «تحدثني عندما يُوجه إليك الكلام!».

قالت أليس المستعدة دائماً لأي جدال: «لكن إن انصاع كل شخص إلى تلك القاعدة، ولم تتحدثني قط إلا عندما يُوجه إليك الكلام، وقد انتظرك الشخص الآخر كي تبدئي، ستجدين ألا أحد سيقول مطلقاً أي شيء، لذلك...».

صاحت الملكة: «أمر سخيف! لماذا، ألا ترين أيتها الطفلة...»، قطعت عبارتها وقد قطبت جبينها، وبعد أن فكرت لدقيقة، غيرت موضوع الحديث فجأة وقالت: «ماذا تقصدين بـ«إذا كنت حقاً ملكة»؟

بأي حق صرت كذلك؟ لا يمكن لك أن تصبحي ملكة، حتى تجتازي الاختبار المناسب، كما تعرفين، وكلما أسرعنا في البدء، كان ذلك أفضل».

قالت أليس المسكينة مدافعة عن نفسها في نبرة مثيرة للشفقة: «لقد قلت «إذا»».

نظرتا الملكتان إلى بعضهما البعض، حيث علقت الملكة الحمراء وقد أصابتها بعض القشعريرة: «إنها تقول أنها قد قالت «إذا»..».

تنهدت الملكة البيضاء وهي تفرك يديها بشدة: «لكنها قالت شيئاً أخطر من ذلك! أخطر من ذلك بكثير!».

قالت الملكة الحمراء لأليس: «لقد فعلت ذلك، كما تعرفين».

«انطقي بالحقيقة دائماً، وفكري قبل أن تتحدثي، واكتبيها بعد ذلك».

شرعت أليس في الحديث قائلة: «بكل تأكيد، لم أكن أقصد..»، إلا أن الملكة قاطعتها فارغة الصبر.

«هذا ما أشكو منه! يجب أن تقصدي! ماذا تفترضين أن تكون فائدة الطفل دون أي قصد؟ حتى المزحة يجب أن يكون لها قصد، وبالطبع الطفل أكثر أهمية من المزحة، كما آمل، لن يمكنك إنكار ذلك، حتى لو حاولت بكلتا يديك».

اعترضت أليس قائلة: «لكنني أنا لا أنكر شيئاً بيدي».

قالت أليس: «لا أعلم، لم أستطع متابعة العد».

قاطعتها الملكة الحمراء: «لا يمكنها القيام بالجمع».

«أيمكنك القيام بالطرح؟ خذي تسعة من ثمانية».

قالت أليس دون تردد: «تسعة من ثمانية! لا يمكنني، كما تعرفين، لكن...».

قالت الملكة البيضاء: «لا يمكنها القيام بالطرح».

«أيمكنك القيام بالقسمة؟ قسّمي رغيفاً أبيض بسكين... ما الإجابة على ذلك؟».

شرعت أليس في الحديث: «أنا أفترض...»، لكن أجابت الملكة الحمراء نيابة عنها: «خبز وزبد بالطبع، حاولي مع مسألة طرح أخرى، خذي عظمة من كلب، ما الذي يبقى؟».

فكرت أليس وقالت: «العظمة لن تبقى بالطبع إن أخذتها، والكلب لن يبقى أيضاً، لأنه سيأتي ليعضني، وأنا على يقين من أنني لا يجب أن أبقى أيضاً!».

قالت الملكة الحمراء: «إذن تظنين ألا شيء سيبقى؟».

«أعتقد أن تلك هي الإجابة».

قالت الملكة الحمراء: «خطأ كالمعتاد، أعصاب الكلب ستبقى».

«لكنني لا أفهم كيف ذلك...».

صاحت الملكة الحمراء: «لماذا، انظري هنا! الكلب سيفقد

أعصابه ويهاجمك، أليس كذلك؟».

أجابت أليس بحذر: «ربما سيفعل».

صاحت الملكة منتصرة: «إذن فلو ذهب الكلب بعيداً، فإن أعصابه ستبقى!».

قالت أليس بقدر ما استطاعت من ثباتٍ: «المضي في سبيلٍ مختلفة هو أمر محتمل، ربما»، لكنها لم تستطع منع نفسها من التفكير، قالت لنفسها: «ما هذا الكلام الفارغ الذي نتحدث فيه!».

قالت الملكتان معاً في يقينٍ راسخ: «لا يمكنها القيام بالعمليات الحسابية ولو أقل القليل!».

قالت أليس ملتفتة فجأة نحو الملكة البيضاء، التي لا تحب أن تكون مخطئة أبداً: «أيمكنك القيام بالعمليات الحسابية؟».

تنهدت الملكة وأغلقت عينيها وقالت: «يمكنني القيام بالجمع، إن منحتني وقتاً، لكن يمكنني القيام بالطرح تحت أي ظرف من الظروف!».

قالت الملكة الحمراء: «بالطبع تعرفين الأبجدية.. ألف.. باء.. تاء؟».

قالت أليس: «بالطبع أعرفها».

همست الملكة البيضاء: «وأنا كذلك، إذن سنقولها معاً عزيزتي، وسأخبركِ سرّاً، يمكنني أن أقرأ كلمات من حرفٍ واحد، أليس ذلك عظيماً! على أي حال لا أريد لعزيمتك أن تثبط، كل شيء ستتمكنين

منه في أوانه».

هنا بدأت الملكة الحمراء الحديث وقالت: «هل يمكنكِ الإجابة عن أسئلة نافعة؟ كيف يُصنع الخبز؟».

صاحت أليس بحماس شديد: «أنا أعرف ذلك، تأخذين بعضًا من الدقيق...».

سألت الملكة البيضاء: «من أين تأتين بحشرة أبو دقيق؟ هل تلتقطينها من فوق أزهار الحديقة أم من تلك الأزهار المزروعة في أحواض؟».

قالت أليس موضحةً: «حسنًا، الدقيق لا يُلتقط، إنه يُطحن...».

قالت الملكة البيضاء: «كم عدد طواحين الهواء؟».

«لا يجب أن تهملني وتسقطي الكثير من الأشياء».

قالت الملكة الحمراء مقاطعةً: «هوي على رأسها!».

«ستصاب بالحمى والسخون بعد هذا الكم الكبير من التفكير»، لذلك جلسنا للتهوية على رأسها وقد استعانتنا بحزمٍ من أوراق الأشجار، حتى اضطرت للتوسل إليهما كي يتركاهما، فقد أفسد ذلك تصفيقة شعرها تمامًا؟».

قالت الملكة الحمراء: «الآن ستكون على ما يرام ثانيةً، هل تعرفين لغات؟ ما ترجمة كلمة «فيدل دي دي» في اللغة الفرنسية؟».

ردت أليس بحزم: «فيدل دي دي، ليست إنجليزية».

قالت الملكة الحمراء: «ومن قال إنها كذلك؟».

ظنت أليس أنها قد وجدت سبيلاً للخروج من تلك الصعوبة هذه المرة، صاحت في انتصار: «إن أخبرتني باللغة الأصلية لتلك العبارة «فيدل دي ديي»، سأخبرك بترجمتها الفرنسية!».

لكن الملكة الحمراء مطت جسدها في شيء من التصنع وقالت: «الملكات لا يقمن أبداً بالمساومة».

فكرت أليس بينها وبين نفسها: «أتمنى لو أن الملكات لا يسألن أي أسئلة أبداً».

قالت الملكة البيضاء في انزعاج: «دعونا لا نتشاجر.. ما الذي يسبب البرق؟».

قالت أليس بلا تردد، حيث شعرت أنها متأكدة تماماً من الإجابة: «سبب البرق، هو الرعد.. لا، لا!»، صححت أليس لنفسها على عجل «لقد قصدت العكس».

قالت الملكة الحمراء: «لقد فات الأوان على تصحيح ذلك، عندما تقولين شيئاً، فإن هذا يُثبتّه، وعليك تحمل العواقب».

قالت الملكة البيضاء بينما تنظر إلى الأسفل وتقبض على يديها ثم تتركها: «هذا يذكرني بشيء، لقد واجهتنا عاصفة رعدية الثلاثاء الماضي، أقصد واحداً من ضمن المجموعة الأخيرة لأيام الثلاثاء، كما تعرفين».

ارتبكت أليس حيال ذلك، فقالت معقبة: «في بلادي، هناك يوم واحد فقط في الوقت الواحد»

قالت الملكة الحمراء: «هذا نهج فقير وهزيل للقيام بالأشياء، الآن هنا، غالبًا ما يكون لدينا أيام وليال، اثنان أو ثلاثة في الوقت الواحد، وفي بعض الأحيان خلال الشتاء نأخذ خمس ليالٍ معًا، طلبًا للدفع، كما تعلمين».

غامرت أليس بسؤالها: «هل الخمس ليالٍ أكثر دفئًا من الليلة الواحدة إذن؟».

«هي خمس مرات أدفأ بالطبع».

«لكن وفق نفس القاعدة، ينبغي كذلك أن تكون خمس مرات أبرد...».

صاحت الملكة الحمراء: «بالضبط تمامًا! هي خمس مرات أدفأ، وخمس مرات أبرد.. تمامًا مثلما أنا أغنى منك خمس مرات، وأمهر منك خمس مرات!».

تنهدت أليس واستسلمت، فكرت: «هذا بالضبط مثل أحجية لا حل لها!».

قالت الملكة البيضاء بصوت منخفض، كانت أقرب لكونها تخاطب نفسها: «هامبتي دامتبي قال ذلك أيضًا، جاء إلى الباب ومعه مثقاب الزجاجات اللولبي في يده...»، قالت الملكة الحمراء: «وماذا كان يريد؟».

أكملت الملكة البيضاء: «قال إنه يريد الدخول، حيث كان يبحث عن فرس النهر، لم يكن هناك شيء من هذا القبيل في المنزل، في ذلك الصباح».

سألت أليس بنبرة مندهشة «وهل يوجد في المعتاد؟».

قالت الملكة: «حسنًا، في أيام الخميس فقط».

قالت أليس: «أعرف ما الذي جاء به، لقد أراد أن يعاقب السمك حيث...».

هنا بدأت الملكة البيضاء في الحديث ثانية: «كانت هناك عاصفة رعدية، لا يمكنك أن تتخيلي أبدًا» -قالت الملكة الحمراء: «لا يمكنها مطلقًا»-، وقد انتزع جزء من السقف، دخل الكثير من الرعد إلى الغرفة، وأخذ يحوم في كتل ضخمة، يصطدم بالطاولات وبكل الأشياء، كنت خائفةً لدرجة أنني لم أكن قادرة على تذكر اسمي!».

فكرت أليس بينها وبين نفسها لكن دون أن تقول ذلك بصوت عالٍ، خوفًا من إيذاء مشاعر الملكة المسكينة.

«ليس من الضروري أبدًا أن أحاول تذكر اسمي في منتصف كارثة! أين هي الفائدة من ذلك؟»، قالت الملكة الحمراء لأليس آخذةً واحدة من يديّ الملكة البيضاء في يدها وهي تربت عليها بلطف: «جلالتك يجب أن تعذريها، إنها تقصد أشياء جيدة، لكنها لا تستطيع منع نفسها منقول الأشياء الحمقاء، كقاعدة عامة».

نظرت الملكة البيضاء إلى أليس في استحياء، شعرت أليس أن عليها أن تقول شيئًا فيه مودة، لكنها لم تستطع التفكير في شيء في ذلك الوقت، لذلك أكملت الملكة الحمراء الحديث وأضافت: «هي لم تحظَ بتنشئة جيدة فقط، لكن ما أجمل طباعها، كم هي مذهشة! ربّتي على رأسها، وشاهدي مدى السعادة التي ستكون عليها!»، لكن

ذلك كان يحتاج لجرأة أكبر من أليس للقيام به.

«بعض من العاطفة... ضعي شعرها في لفافات تجعيد الشعر..
وسوف تتعجبين مما ستصبح عليه...».

مالت الملكة البيضاء برأسها على كتف أليس، مطلقةً ثأؤًا عميقًا
«أشعر بالنعاس جدًّا!».

قالت الملكة البيضاء: «إنها متعبة، عزيزتي المسكينة! ملّسي على
شعرها، أعيرها غطاء نومك، وغني لها واحدة من أغاني قبل النوم
المهدئة».

قالت أليس محاولةً إطاعة التوجيه الأول: «ليس معي غطاء للنوم»،
ثم أضافت «كما أنني لا أعرف أي أغانٍ مهدئة تُغنى وقت النوم».
قالت الملكة الحمراء: «إذنَّ يجب أن أفعل ذلك بنفسِي»، ثم
بدأت:



هووش سيدتي نامي في حضن أليس نامي

سأطهو لك من حمامي، أما الآن فنامي

عندما ينتهي الحفل، سنذهب لقفز الجبل

الملكة الحمراء، والملكة البيضاء وأليس وكل الأهل

وضعت رأسها على كتف أليس وأضافت: «الآن أصبحت تعرفين

الكلمات، فقط غنيها لي، فأنا أشعر بالنعاس أيضًا».

في التو والحال كانت الملكتان تغطان في النوم وتطلقان شخيرًا

عاليًا.

نظرت أليس حولها في حيرة تامة وصاحت: «ماذا أفعل؟»، في

ذات الوقت أدارت السيدة الأولى رأسها، ثم تدحرجت الأخرى من

على كتفها حتى تكومت عند رجليها، «لا أظن أبدًا أن هذا قد حدث من

قبل، شخص واحد يعتني بملكيتين نائميتين مرة واحدة! لا، لم يحدث

هذا أبدًا في كل تاريخ إنجلترا، أبدًا أبدًا لم يحدث، كما تعلمون، لأنه

لم يكن هناك مطلقًا أكثر من ملكة واحدة في كل مرة، قالت وقد نفذ

صبرها: «استيقظا، أيها الشيطان الثقيلان» إلا أنها لم تتلقَ أي رد سوى

صوت شخيرهما الناعم.

كان صوت نومهما يزداد تمايزًا مع الوقت، حتى بدا كلحن،

أخذت تستمع أليس إليه في شغف، إلى درجة أنها استطاعت في

النهاية تأليف كلمات له، غير أن رأسيهما العملاقين اختفيا من على

رجليها فجأة، وبالطبع افتقدتهما بالكاد.

كانت أليس واقفة أمام مدخل عتبه مقوسة مكتوب عليه «الملكة أليس» بأحرف كبيرة، وعلى كل جانب كان هناك مقبض جرس، أحدهما مكتوب عليه «جرس الزوار»، والآخر مكتوب عليه «جرس الخدم».

كانت أليس في حيرة تامة «أي الجرسين يجب أن أرنه، لست بزائرة، ولست بخادمة أيضًا، يجب أن يكون هناك واحد مكتوب عليه «الملكة» كما تعرفون...».

عندها فقط فُتح الباب قليلًا، ومدَّ مخلوق بمنقار طويل رأسه للحظة إلى خارج الباب قائلاً: «غير مسموح بالدخول حتى الأسبوع بعد التالي!»، ثم أغلق الباب ثانيةً بضجة كبيرة.

أخذت أليس تطرق الباب وترن الجرس بلا جدوى لفترة طويلة، إلى أن نهض ضفدع عجوز في النهاية، كان جالسًا أسفل شجرة، وعرج ببطء تجاهها، كان يرتدي رداء لونه أصفر فاتح، وحذاء ضخيم طويل الرقبة.

قال الضفدع في همس أجش عميق: «ماذا الآن؟».



التفتت أليس إليه، وقد تأهبت لإلقاء اللوم على أي شخص، ثم
قالت في غضبٍ: «أين الخادمة التي تجيب على الباب؟».

قال الضفدع: «أي باب؟».

كانت أليس منزعجة تمامًا من الطريقة البطيئة التي يتحدث بها
قائلةً: «هذا الباب بالتأكيد!».

نظر الضفدع إلى الباب بعينه الناعستين الكبيرتين لدقيقة، ثم اقترب منه وفركه بإبهامه، كما لو كان يحاول إزالة الطلاء عنه، ثم نظر إلى أليس.

قال: «كي تجيب على الباب؟!» «وما الذي كان يطلبه؟»، كان صوته غليظاً للغاية بالكاد قد كان في إمكان أليس سماعه، قالت: «لا أفهم ما تقصده».

قال الضفدع: «أنا أتحدث الإنجليزية، أليس كذلك؟ أم أنك صماء؟» «ما الذي طلبه منك؟».

قالت أليس فارغة الصبر: «لا شيء! لقد كنت أطرق عليه!».
تمتم الضفدع: «لا ينبغي أن تفعل ذلك، لا ينبغي أن تفعل ذلك، عنفيه، أتعرفين»، ثم قفز وركل الباب بإحدى رجله الضخمتين.
قال لاهثاً بينما كان يعرج عائداً إلى شجرته: «اتركه وشأنه، سيتركك وشأنك، كما تعرفين».

في تلك اللحظة انفتح الباب على مصراعيه، وجاء صوتٌ حادٌ مسموع من الداخل يغني:

في بلاد البيت الزجاجي، تقول أليس

«الصولجان في يدي، والتاج على الرأس».

دعوة عامة لكل مخلوقات البيت الزجاجي دون فحصٍ ومحص
معي ومع الملكة الحمراء والملكة البيضاء تتناولون العشاء والخس

ثم انضمت مئات الأصوات كجوقة:

امـلؤوا الكـؤوس بأقصى سرعة

رشوا الأزرار والنخالة على الطاولة

ضعوا الفئران في الشاي، والقطط في القهوة

رحبوا بالملكة أليس ثلاثة ضرب ثلاثين مرة!

تبعث الغناء ضجة من هتافات مرحة متداخلة، أخذت أليس تفكر بينها وبين نفسها: «ثلاثة ضرب ثلاثي نمرة، الناتج تسعون، أتساءل عم إذا كان هناك من يقوم بالإحصاء منهم؟»، عمَّ المكان الصمت التام للحظة ثانية، ثم ظهر الصوت الحاد نفسه يغني أبيات أخرى:

قالت أليس: «مخلوقات البيت الزجاجي.. اقتربي!»

إنه لشرف وفضل أن تروني، وتسمعوني

إنه لامتياز عالٍ أن تتناولوا العشاء والشاي معي

إلى جانب الملكة الحمراء والملكة البيضاء وبصُحبتني

ثم جاءت أصوات الجوقة مرة أخرى:

امـلؤوا الكـؤوس بدبس السكر والحبر

أو أي شيء لطيف للشرب بالقدر

اخلطوا الرمل مع العصير والصوف مع الخمر

رحبوا بالملكة أليس تسعة ضرب تسعين مرة صبحًا وظهرًا

رددت أليس قانطةً: «تسعة ضرب تسعين مرة! أوه! هذا لن يحدث أبداً! أفضل أن أدخل على الفور...»، ثم ساد الصمت الرهيب لحظة ظهورها.

مدت أليس أنظارها في توتر على طول الطاولة، بينما كانت تسير في قاعة كبيرة، لاحظت أن هناك ما يقرب من خمسين ضيفاً، من جميع الأشكال والأنواع، بعضهم حيوانات، بعضهم طيور، بل لقد كانت هناك زهور فيما بينهم، دار في خاطر أليس: «أنا سعيدة حقاً لأنهم جاءوا دون انتظار أن يُطلب منهم ذلك، فأنا بالتأكيد لا أعلم الأشخاص المناسبين الذين يتوجب عليّ دعوتهم!».

هناك ثلاثة كراسٍ على رأس الطاولة، شغلت الملكة الحمراء والملكة البيضاء كرسيين بالفعل، غير أن الكرسي الأوسط قد كان فارغاً.

جلست أليس عليه وساد صمتٌ غير مريح، لوقت طويل جداً دون أن يتحدث أحد.

تحدثت الملكة الحمراء في النهاية وقالت: «لقد فاتك الحساء والسّمك... ضعوا «الكوارع»!»، وضع النُّدُل ساق من لحم الضأن أمام أليس، التي نظرت إليها في ريبة وقلق شديدين، حيث إنها لم تضطر أبداً إلى تقطيع ساق ضأن من قبل.

قالت الملكة الحمراء: «تبدّين خجولة بعض الشيء، دعيني أعرفكِ على ساق الضأن.. (أليس، هذا ضأن، أيها الضأن، هذه

أليس»، نهضت ساق الضأن في الطبق وانحنت قليلاً إلى أليس، التي بدورها انحنت هي الأخرى، دون أن تملك أدنى فكرة عن إذا كان هذا يعد مرعباً أم مسلياً.



قالت وهي تأخذ الشوكة والسكين، منقلةً أنظارها تبعاً بين الملكتين: «هل أعطيكما شريحة؟».

قالت الملكة الحمراء دون تردد: «بالتأكيد لا، ليس من آداب السلوك أن تقومي بتقطيع أي أحد قد تعرفت عليه. خذوا الكوارع!»، أخذوها في الحال، وأحضرها مكانها كعكة ضخمة من بودنج البرقوق.

قالت أليس في عجالة: «لا أود أن يتم تعريفني إلى البودنج من فضلكم، فلو مضى الحال على هذا المنوال، لن أستطيع تناول العشاء كله، هل أعطيكما بعضاً منه؟».

نظرت الملكة الحمراء في عبوس ودمدمت: «(بودنج.. أليس، أليس.. بودنج)، خذوا البودنج!»، أخذوا النُّدْل البودنج في الحال بسرعة لدرجة أن أليس لم تستطع أن تحييه بالمثل لو ترد على انحنائه لها بانحناء مماثل.

غير أنها، لم تكن تعرف سبب كون الملكة الحمراء هي الوحيدة التي تعطي الأوامر، لذلك، وعلى سبيل التجريب، صاحت: «أيها النادل! أعد البودنج!»، وفي لحظة أصبح هناك أمامها وكأن هناك خدعة سحرية وراء الأمر، لقد كانت الكعكة كبيرة جداً لدرجة أن أليس قد جفلت قليلاً، كما حدث مع الضأن، غير أنها، تغلبت على مشاعرها تلك بجهد كبير، قطعت شريحة وقدمتها للملكة الحمراء.

قالت كعكة البودنج: «يا لها من وقاحة! أتساءل بماذا ستشعر لو أن أحدهم قد قام بقطع شريحة منك، أيها المخلوق!»

تحدثت كعكة البودنج بصوتٍ غليظ فظ، ولم يكن لدى أليس أي كلمة لترد بها عليها، جلست تنظر إليها فقط وتتأهب.

قالت الملكة الحمراء: «عقبى على ما قالته، إنه لمن السخيف أن تتركي الحوار كله للبودنج!»

«أتعرفين! لقد أُلقي عليَّ كم كبير من الشُّعر»، بدأت أليس في

التحدث لكنها قد كانت خائفة قليلاً، حيث وجدت في اللحظة التي فتحت فيها شفتيها للحديث، أن صمتاً رهيباً قد ساد، وأن كل الأعين قد سُلطت عليها، «كان هناك شيء مثير للفضول، فيما أظن، لقد كانت كل القصائد بطريقة ما عن الأسماك، هل تعرفين لماذا هم مغرمون جداً بالأسماك، كل من هم هنا؟».

لقد كانت تتحدث إلى الملكة الحمراء، التي كانت إجابتها بعيدة عن المراد قليلاً، قالت ببطء شديد، واضحة فمها بالقرب من أذن أليس: «بالنسبة إلى الأسماك، فإن جلالة الملكة البيضاء تعرف لغزاً ممتعاً، يأتي كله في صورة قصيدة، وكله عن الأسماك أيضاً، هل لها أن تُلقيه؟».

دمدمت الملكة البيضاء في أذن أليس الأخرى بصوت كهديل الحمام: «لطف من جلالة الملكة الحمراء أن تذكر ذلك، ستكون قصيدة ممتعة، هل لي أن أبدأ؟».

قالت أليس بأدب شديد: «من فضلك»، ضحكت الملكة البيضاء مداعبة وجنة أليس ثم بدأت:

أولاً: يجب أن نصطاد السمكة

هذا سهل، طفل بإمكانه كما أظن اصطادها

ثانياً: يجب أن نشترى السمكة

هذا سهل، بنسْ بإمكانه كما أظن أن يشتريها

الآن اطه السمكة بتـأن!

هذا سهل، لن تأخذ أكثر من دقيقة

الآن ضـمها في الصـحن!

هذا سهل، لقد وضعتها بالفعل في الحقيقة

احضرها هنا! دعني أقضم قضمة!

هذا سهل، وضع طبق على الطاولة

ارفع غطاء الصحن

آه، أخشى ألا أقدر على هذا في الحقيقة

ملتصق كالمتشبث بالغـ_____راء

امسكه من المنتصف ثم اكشف الغطاء

أيهما أسهل للـ_____وز

كشفت الغطاء عن سمكة، أم الغطاء عن لغز؟

قالت الملكة الحمراء «أمامك دقيقة لتفكرين، وتخمينين، وفي هذه الأثناء سنشرب على شرفك» ثم صاحت الملكة بأعلى طبقة في صوتها «على شرف الملكة أليس!»

بدأ جميع الضيوف بالشرب مباشرة، لكن بطريقة غريبة جداً، بعضهم وضعوا الكؤوس على رؤوسهم مثل طفايات الحريق، وشربوا ما سال منها على وجوههم، وآخرون قلبوا أواني الخمر، وشربوا ما كان يجري على حواف الطاولة، وثلاثة منهم (يشبهون الكنغر) اندفعوا مزاحمين حول طبق لحم الضأن المشوي، لاعتيقين صلصة

اللحم بشراة: «تمامًا مثل خنازير في معلفهم» كما ظنّت أليس.

قالت الملكة الحمراء لأليس بينما كانت مقطبة الحاجبين وهي تتحدث: «يجب عليك أن تُعربي عن شكركِ في خطاب أنيق».

ثم همست الملكة البيضاء قائلةً: «بال تأكيد يجب علينا أن ندعمكِ، كما تعرفين»، نهضت أليس لتفعل ذلك، بطاعة كبيرة، رغم أنها قد كانت مرتعبة قليلًا، ثم أجابت هامسةً «أشكركِ شكرًا جزيلاً، ولكن يمكنني أن أفعل ذلك بصورة جيدة دون دعم».

قالت الملكة الحمراء بشكلٍ جازم: «لكنه لن يكون على الصورة التي تظنين على الإطلاق»، لذلك حاولت أليس أن تخضع للأمر بكياسة.

(قالت بعد ذلك، حينما كانت تحكي لأختها عما دار بالوليمة: «ثم قامتا بدفعي، لك أن تتخيلي أنهما قد قامتا بدفعي كما لو أنهما قد أرادت أن تسطحاني!»).

في الواقع كان من الصعب على أليس أن تمكث في مكانٍ واحد أثناء إلقائها خطابها، قامت الملكتان بدفعها، واحدة من كل جانب، لدرجة أنهما قد رفعها في الهواء، لذلك بدأت أليس الخطاب قائلة «لقد صعدت لأعرب لكم عن شكري»، في الحقيقة لقد ارتفعت فعلاً عدة بوصات بينما كانت تتحدث، لكنها كانت ممسكة بحافة الطاولة، تريد أن تسحب نفسها إلى الأسفل مرة أخرى.

صاحت الملكة البيضاء وقد أمسكت بشعر أليس بكلتا يديها:

«فلتأخذي حذرِك! شيء ما على وشك الحدوث!».

بعد ذلك (حسب ما وصفت أليس فيما بعد)، حدث كل شيء في لحظة، نمت الشموع حتى طالت السقف، كانت أشبه بجمع من حشائش الأسلية العطرية في أعلاها ألعاب نارية، أما الزجاجات فقد أخذت كل واحدة منها زوجًا من الأطباق، وسرعان ما جعلت منها أجنحة، قامت بذات الأمر مع الشوك، فقد اتخذت منها سيقانًا، ثم رفرت في كل الاتجاهات، فكرت أليس رغم الارتباك المروع الذي كانت تشهده: «إنها تشبه الطيور كثيرًا».

في هذه الأثناء سمعت ضحكة غليظة إلى جانبها، التفت لترى ما خطب الملكة البيضاء، لكن بدلًا من الملكة، كانت هناك ساق ضأن تجلس على الكرسي، وصاح صوت من سلطانية الحساء: «أنا هنا»، التفت أليس ثانيةً في الحال، لترّ وجه الملكة العريض الحسن مبتسمًا للحظة على حافة السلطانية، قبل أن تتلاشى تمامًا في الحساء.

لم تمر دقيقة إلا وكانت الملكة قد اختفت بالكلية، كان هناك العديد من الضيوف مستلقين بالفعل على الأطباق، ومغرفة الحساء تسير على الطاولة نحو كرسي أليس، مشيرة إليها دون صبر أن تبتعد عن طريقها.



صاحت قافزة وهي تمسك مفرش المائدة بكلتا يديها: «لا أستطيع
أن أتحمل أكثر من ذلك»، وبسحبة واحدة، أطاحت بكل الأطباق

والصحون والضيوف والشموع كلها معاً لتتكوم على الأرض.

ثم اتجهت بشكل عنيف إلى الملكة الحمراء حيث اعتبرتھا سبب كل تلك الفوضى قائلة «أما بالنسبة لك»، إلا أن الملكة لم تكن هناك إلى جانبھا، كانت الآن على الطاولة، وقد تضاءلت فجأة وأصبحت في حجم دمية صغيرة، تدور وتدور بمرح وراء شالھا، الذي كان منسدلاً خلفھا.

لو أن هذا قد حدث في وقت آخر، لأصبحت أليس في غاية الاندهاش، إلا أنها كانت قد أصبحت مستثارة جداً للدرجة التي ما عاد معها شيء قادرًا على مفاجئتها الآن، فكررت ممسكة ذلك المخلوق الضئيل في حركة قفز فوق زجاجة على الطاولة، كانت قد أضاءت للتو «أما بالنسبة لك، سأهزك حتى تتحولين قطعة، هذا ما سأفعل!».



الفصل العاشر

اهتزاز



رفعتها من على الطاولة بينما كانت تتحدث، وأخذت تهزها إلى
الوراء وإلى الأمام بكل ما استطاعت من قوة.

لم تُبدي الملكة الحمراء أي مقاومة على أي حال، أصبح وجهها
صغيراً جداً فقط، وأصبحت عيناها واسعتين وخضراوين، ولا تزال
كلما هزتها أليس كلما أصبحت أقصر، أسمن، أنعم، أكثر استدارة
و...



الفصل العاوي عشر

صحو



... وبالفعل قد كانت قطة، في النهاية.

الفصل الثاني عشر

حلم أي منهما؟

قالت أليس وهي تفرك عينيها مخاطبة القطة باحترام، لكنه احترام مصحوب ببعض الصرامة: «جلالتك لا يجب أن تخرخر بصوت عالٍ، لقد أيقظتني من أوهه! يا له من حلم رائع! لقد كنت معي يا قطتي طوال الوقت في بلاد بيت المرأة، هل كنت تعلمين ذلك يا عزيزتي؟».

إنها عادة غير محموددة للقطط، مهما كان ما تقوله لها، دائمًا ما تخرخر، (أبدت أليس هذه الملاحظة مرة)، قالت أليس: «لو أنها تخرخر فقط كي تقول «نعم»، ولو أنها تصدر مواء فقط كي تقول «لا»، أو لو أنها تلتزم بأي قاعدة من ذلك النوع؛ لكان في الإمكان مواصلة التحدث معها، لكن كيف يمكنك التحدث مع شخص لا يقول إلا نفس الشيء دائمًا، طوال الوقت؟».

في هذه الأثناء، كانت القطة تخرخر فقط، وكان من المستحيل أن تخمن إن كانت تلك الخرخرة تعني «نعم» أم «لا».

أخذت أليس تفتش بين قطع الشطرنج حتى وجدت الملكة الحمراء، جثت على ركبتها على سجادة الموقد، وضعت القطعة والملكة بحيث يواجهان بعضهما البعض صائحة وهي تصفق وتهلّل في انتصار: «الآن يا قطتي! اعترفي أنك قد تحولت إلى تلك الصورة!». (لكن كما قالت أليس لأختها عندما كانت تقص عليها فيما بعد «غير أنها لم تنظر إليها، أدارت رأسها بعيداً، وتظاهرت بعدم رؤيتها، لكنها بدت محرجة من نفسها قليلاً، لذلك حسبت أنها بالتأكيد قد تحولت إلى الملكة الحمراء»).



تهللت أليس وأطلقت ضحكة مرحة: «قفي ثابتة قليلاً، وانحني عندما تفكرين في أي شيء.. في أي شيء تخرخرين لأجله، هذا يوفر الوقت، أتذكرين!»، رفعتها وقبلتها قبله صغيرة «إكراماً لك فقط لأنك قد كنتِ الملكة الحمراء»، ثم نظرت من فوق كتفها إلى القطة البيضاء التي كانت لا تزال تأخذ حمومها في صبرٍ «سنودرب، قطتي الأليفة، أنساءل! متى ستنتهي دينا من حموم جلالتك أيتها الملكة البيضاء؟ بالتأكيد قد كان هذا سبب أنك لم تكوني مهندمة في الحلم... دينا! أعلمين أنك تحكين جسم الملكة البيضاء؟ حقاً إنه قلة احترام منك!».

«وأنتِ يا دينا أنساءل لمن تحولت؟»، أطلقت أليس آهة بينما تستلقي لتستريح على الأرض واضعة أحد مرفقيها على السجادة، وقد أسندت ذقنها بيدها وتطلعت إلى قططها، «أخبريني دينا، هل تحولت إلى هامبتي دامبتي، أعتقد ذلك على أي حال، لكن من الأفضل ألا تذكرني ذلك لأصدقائك؛ فأنا لست متأكدة».

«بالمناسبة، قطتي، إن كنتِ حقاً قد صاحبتني في حلمي، أعتقد أن هناك شيئاً واحداً فقط قد استمتعت به، إنه كل ذلك الكم الهائل من الشعر الذي أُلقي عليّ، فقد كان كله عن السمك! صباح الغد ستحظين بالمتعة كاملة، سألقي عليك قصيدة «حصان البحر والنجار» طوال فترة تناولك لإفطارك، ثم ذلك سيجعلك تصدقين أنه محار يا عزيزتي!».

«الآن قطتي، دعينا نفكر من الذي رأى كل ذلك في الحلم، هذا سؤال جاد جداً يا عزيزتي، ثم إنه ليس عليك لعق مخلبك هكذا، وكأن دينا لم تغسلِك هذا الصباح! أتعرفين قطتي، يجب أن يكون الحلم لي أو للملك الأحمر، لقد كان الملك جزءاً من حلمي، بالطبع! لكنني قد كنت جزءاً من حلمه أيضاً! هل كان الملك الأحمر يا قطتي؟ لقد كنت زوجته يا عزيزتي لذلك يجب عليك أن تعرفي، أوه قطتي، ساعديني في حل ذلك! بكل تأكيد بإمكان مخلبك أن ينتظر!»، لكن كل ما فعلته القطة المشاكسة أنها قد بدأت مع المخلب الآخر، وتظاهرت بأنها لم تسمع السؤال.

من تظنه قد كان صاحب الحلم؟
قارب أسفل سماء مشمســــــــة
ثابت بعيد في مياهٍ حالمة
في شهر يوليو في تلك الأمسية
ثلاثة أطفال بالقرب ناظرين
بأعين متحمسة وآذان صاغية متلهفين
لسماع حكاية خيالية مسرورين
تحول ضوء السماء المشمسة نحو الخفوت
صدى أصوات يتلاشى ذكريات تموت
برودة الخريف قضت على يوليو بثبوت

لا تزال تطاردني بطريقة وهمية
تسير أليس تحت سماء الأودية
لم تكن ترى حتى بأعينها الصاحبة
الأطفال ما زالوا لسماع الحكاية منتظرين
بأعين متحمسة وأذن صاغية متلهفين
بكل حب بالقرب هناك مـاكثين
في بـلاد العجائب كامنين
بمرور الأيـام كانوا حالمين
لأنقضـاء أيام الصيف منتظرين
منجـرفين مع الجدول المائي
عالـقين في الوميض الذهبي
فما الحـياة إلا حلم مرمرى؟

- النهاية -

الروضة

ومغامرات أليس تحت الأرض



الروضة يا عزيزي

ثدي الأم
ملجأ آمنٌ من مخاوفها الطفولية
من متاعبها ودموعها
سحابة يستتر بها ربيع عمرها
انظر كيف تبدو تغني في نومها
ترنيمَةً لا صوت لها
قرباناً مرفوعاً
إلى عرش مالكتها
بكل الحب
ولأن الحب هو الراحة

قبلة العـزیز

أعز الإيماءات الهاربة

تبعثها الشفاءُ

تكرر بمحبة

مرة وأخرى

تحمل رسائل نقية

إلى منتهاها بفرحة بناتية

طفلةً، طفلة بكل المعاني

لا تزال تحلم أن الجنة

ستكون هي البيت

ولأن البيت هو النعيم

المقدمة

(مهداة إلى كل أم)

أعتقد أن لديّ ما يبرر جزمي بأن «مغامرات أليس في بلاد العجائب» قد قرأها مئات الأطفال الأجانب، الذين تتراوح أعمارهم بين الخامسة والخامسة عشرة، كما قرأها أطفال تتراوح أعمارهم بين الخامسة عشرة والخامسة والعشرين، وأطفال آخرون، تتراوح أعمارهم بين الخامسة والعشرين والخامسة والثلاثين؛ فهم أطفال لا يكلون ولا يملون، لا يضجرون من تهكم الحياة الواضح، أو بهرجتها الصاخبة، أو حتى بؤسها العضال، انفجر بداخلهم نبع المرح النقي الكامن في داخل كل الأطفال، كما هي قلوبهم كامنة فيهم، هم أطفال في أعمار معينة، غير أنه لا ينبغي الالتفات إلى أعمارهم، أو الانتباه لها، نتركها غير محددة، بل نتكتم عليها في صمت يُحترم.

أما طموحي الآن (هل هو طموح مختل؟)، فهو أن يقرأها أطفال تتراوح أعمارهم بين السنة والخمس سنوات. أن يقرأوها؟ لا بالطبع، ليس المعنى الحرفي للكلمة! بالأحرى أن يتصفحوها ويعيشوا فيها،

ويتناغموا معها، وأن يصبحوا محبين للكلاب، ويتوغلوا في أفكارها، وأن يستقبلوا قبلات أولئك الذين لا يتقنون الحديث بلغة صحيحة أو الأعزاء ممن تملأ بشرتهم البثور؛ لأن في الواقع هم من يفعمون روضتك بالمرح، باعثن في أقصى أعماق قلبك السعادة المريحة!

على سبيل المثال، عرفت طفلة من قبل، تم توجيهها إلى أن شيئاً واحداً فقط هو كافٍ لأي فتاة صغيرة، وأنها إذا ما طلبت كعكتين، أو برتقالتين، أو اثنتين من أي شيء، سيحسب ذلك عليها وسيتسبب في وصفها بالتأكيد بصفة بشعة ألا وهي «الأنانية»، لتجدها ذات صباح، تجلس على السرير، بقدميها الصغيرتين الحافيتين، وتدمدم مع نفسها ما نُعتت به بهدوء ونعومة قائلة: «أنا نانا!».

Easertide1889

الفصل الأول

الأرنب الأبيض



يُحكى أنه في يوم من الأيام، كان هناك فتاة صغيرة تُدعى أليس،
كان لديها حلم مشوّق للغاية.

هل تودون معرفة ما حلمت به؟

حسنًا، كان أول شيء خطر في حلمها، أرنبًا أبيض أتى يجري في
سرعة شديدة، لكنه بمجرد أن مرَّ حيثما كانت أليس، توقف، وأخرج
ساعته من جيبه.

ألم يكن هذا شيئًا مضحكًا؟ هل رأيت سابقًا أرنبًا لديه ساعة،
وجيبٌ ليضعها فيه؟ ولكن بطبيعة الحال، إن كان يملك الأرنب
ساعةً، لزم الأمر أن يكون لديه جيب ليضعها فيه؛ فمن المؤكد أنه لن
يحملها بفمه، أو يحملها بيده؛ فقد يحتاج أحيانًا إلى يديه؛ كي تساعده
في الجري.

أليست تلك الأعين الوردية جميلة! -أعتقد أن الأرنب البيضاء
جميعها لديها أعينٌ وردية-، كان للأرنب صاحب الأعين الوردية تلك
آذان وردية أيضًا، كان يرتدي معطفًا بنيًا لطيفًا، يمكنك بمجرد النظر
إليه رؤية منديله الأحمر يتدلى من جيب معطفه، وربطة عنق زرقاء
وصدرية صفراء، إنه حقًا يرتدي ملابس أنيقة.

قال الأرنب «أوه.. يا إلهي! يا إلهي! أنا على وشك التأخر»،
أتعجب، ما الذي سيتأخر عليه هكذا؟ حسنًا، كما ترى، كان يتوجب
عليه أن يذهب لزيارة الدوقة (سترى قريبًا صورة للدوقة، وهي تجلس
في مطبخها)، كانت الدوقة سيدة عجوزًا سريعة الغضب؛ لذلك عرف

الأرنب أنها ستشتاط غضباً إن جعلها تنتظر طويلاً. لذلك تمكن الخوف من المسكين (ألا ترى كيف يرتجف؟ فقط هز الكتاب قليلاً، من جانب إلى آخر؛ سرعان ما ستراه يرتجف)؛ حيث ظن أن الدوقة ستقطع رأسه -على سبيل العقاب-؛ هذا ما اعتادت ملكة القلوب فعله، حينما كانت تغضب من البشر (سترى لها صورة قريباً)، أو على الأقل هذا ما كانت تأمر به، اعتادت أن تأمر بقطع رؤوسهم، وتظن دائماً أن ذلك قد تم بالفعل، على الرغم أنهم لم ينفذوا ذلك الأمر مطلقاً.

وهكذا، عندما جرى الأرنب، كانت أليس متشوقة لمعرفة ماذا سيحدث؛ لذلك جرت وراءه، وظلت تجري، ثم تجري، وتجري، حتى وجدت نفسها تتعثر ساقطة إلى أسفل جحر أرنب.

كان سقوطاً طويلاً إلى الأسفل، ظلت تسقط إلى الأسفل، أكثر، فأكثر، حتى بدأت تتساءل متعجبةً ما إن كانت تعبر العالم من طرفه إلى طرفه الآخر، إلى أن تخرج من الجهة الأخرى!

كان الجحر أشبه ببئر عميقة جداً، لكن لا ماء فيها. إن كان أحدهم في الواقع قد سقط فيها بالفعل، لكان قتله السقوط، لكن على الأرجح، كما تعرف، ما من أذى هناك ولو القليل منه جراء السقوط في حلم؛ ففي كل مرة تظن فيها أنك تسقط، تكون في الواقع مستلقياً بثبات في مكان ما آمناً وسليماً!

على أي حال، انتهى ذلك السقوط الرهيب أخيراً، وجدت أليس

نفسها بالأسفل مستلقية على كومة من العصي وأوراق الأشجار
الجافة، لكنها لم تُصَبْ بأي أذى، قفزت من جديد، ثم جرت وراء
الأرنب ثانيةً.

هنا كانت بداية حلم أليس المشوّق... في المرة القادمة عندما
ترى أرنبًا أبيض، حاول أن تتخيل أنك ذهبت عبر حلم خيالي، مثل
ذلك الذي حلمت به أليس الصغيرة.



الفصل الثاني

كيف ازدادت أليس طولاً؟



هكذا، بعد أن سقطت أليس في جحر الأرنب، ومضت لمسافة طويلة جدًا تحت الأرض، وجدت نفسها إذ فجأة في قاعة كبيرة، تحيط بها أبواب كثيرة من كل اتجاه. لكن كانت الأبواب كلها مغلقة، لذلك كما ترى، لم تستطع أليس الخروج من تلك القاعة؛ وهذا ما جعلها حزينة جدًا.

لكن بعد مرور وقت قصير، ذهبت إلى حيث كانت طاولة صغيرة، بثلاثة قوائم، مصنوعة كلها من الزجاج، (هناك اثنان من قوائم الطاولة مبینان في الصورة، وبداية قائم آخر، هل تراها؟)، كان هناك مفتاحًا صغيرًا على الطاولة، أخذته، ثم دارت في أرجاء القاعة كلها، محاولة فتح أي باب من تلك الأبواب المغلقة بواسطته.

يا لأليس المسكينة! لم يصلح المفتاح لفتح أي باب من بين كل تلك الأبواب، لكنها في النهاية وجدت بابًا ضئيل الحجم جدًا، كم كانت سعيدة للغاية، عندما وجدت المفتاح مناسبًا له.

فتحت أليس الباب الضئيل، ثم انحنت إلى الأسفل؛ كي تنظر عبره، ماذا تعتقد أنها رأت؟ أوه، حديقة بديعة الجمال، حاولت مرارًا وتكرارًا أن تدخل، لكن كان الباب ضئيلًا جدًا بالنسبة إلى حجمها، لم تستطع أليس أن تضغط نفسها لتمر عبره، فقد كان الأمر بمثابة ضغطك لجسدك؛ كي تحاول المرور - على سبيل المثال - من خلال جحر فأر! لذلك، عاودت أليس غلق الباب ثانيةً، وأعدت المفتاح إلى الطاولة مرة أخرى، لكن في هذه المرة، لاحظت أليس وجود شيء

جديدٍ على الطاولة (الآن، انظر إلى الصورة مجددًا)، ماذا تعتقد أن يكون هذا الشيء؟ لقد كان زجاجة صغيرة، رُبط عليها ملصق مكتوبٌ عليه «قومي بشربي»!

تذوقته، وقد كان طعمه طيبًا، لذلك أكملت شربه، لكن حدث شيء عجيب لها! لن تستطيع تخمين ما قد حدث لها أبدًا! لذلك يجب عليّ أن أخبرك بنفسِي، أخذت تنكمش، وتتضاءل، أكثر فأكثر، إلى أن أصبحت في النهاية بحجم دمية صغيرة.

قالت لنفسها «الآن، أصبحتُ بالحجم المناسب كي أعبر من خلال ذلك الباب الضئيل!»، سرعان ما اندفعت نحوه، لكن عندما وصلت إلى الباب وجدته مغلقًا، وكان مفتاحه أعلى الطاولة، لم تستطع أليس بالطبع الوصول إليه، ألم يكن مؤسفًا أنها قد قامت بغلق الباب مرةً أخرى؟

حسنًا، في هذا الوقت، وجدت أليس شيئًا ثانيًا، لقد كان كعكة صغيرة، مكتوبٌ عليها «قومي بأكلي»، لذلك تناولتها أليس بالطبع، وقامت بأكلها، وهنا ماذا تعتقد أن يكون قد حدث لها؟ لا لن تستطيع أبدًا التخمين! لذلك يجب عليّ أن أخبرك.

لقد ازدادت طولًا، شيئًا فشيئًا، إلى أن أصبحت أطول مما كانت عليه طبيعتها الأولى! لقد كانت أطول من أي طفل! بل أطول من أي شخص! أطول، وأطول، وأطول! فقط انظر إلى الصورة، وستعرف إلى أي مدى ازدادت أليس طولًا!



أتساءل يا ترى! كيف تفضل أن تكون، هل تكون مثل أليس
الصغيرة جدًا، أن تكون أصغر من حجم القطة؟ أم تكون مثل أليس
فارعة الطول، ورأسك تواصل الارتطام بالسقف دائمًا؟

الفصل الثالث

بركة الدموع

ربما تظن أنه يجب على أليس أن تكون سعيدة جدًا، عندما أكلت تلك الكعكة الصغيرة؛ ووجدت نفسها تنمو وتزداد طولًا! لأنه بذلك سيكون من السهل تمامًا عليها، الوصول إلى المفتاح الصغير الموجود على الطاولة الزجاجية؛ كي تفتح ذلك الباب الضئيل.

حسنًا، بالتأكيد يمكنها أن تفعل ذلك، لكن ما الفائدة من فتح الباب، إن كانت لن تستطيع المرور عبره؟

شعرت تلك المسكينة بحالة سيئة أكثر من أي وقت مضى عليها من قبل! حيث إن أقصى ما كانت تستطيع فعله، هو وضع رأسها إلى الأسفل قرب الأرض، والنظر عبر الباب بعين واحدة!. فلا عجب من أن تجلس تلك الطفلة المسكينة فارعة الطول، لتبكي كما لو أن قلبها قد انفطر.

ظلت تبكي، وتبكي، وانهمرت دموعها في وسط القاعة، كادت أن تشكل نهرًا عميقًا جاريًا، بمرور بعض الوقت، ليس بالطويل، تكونت بركة كبيرة فقط من الدموع، ملأت نصف القاعة تقريبًا.

كانت لتبقى على هذا الحال طوال اليوم، إن لم يصادف ويأتي الأرنب الأبيض إلى القاعة، فقد كان في طريقه لزيارة الدوقة، كان مظهره كالنبلاء - كما ينبغي للنبلاء أن يكونوا-، ممسكًا بزوج من القفازات البيضاء في يد، ومروحة صغيرة في اليد الأخرى، متمتمًا في نفسه «أوه الدوقة.. أوه الدوقة.. ألن تكون حتمًا عنيفة جدًا، إن أبقيتها منتظرة!».

لم يكن الأرنب الأبيض قد رأى أليس - كما تعرف-، لذا عندما شرعت في الحديث: «عذرًا سيدي...»، بدا الصوت وكأنه يأتي من أعلى القاعة، لأن رأسها كان عاليًا للغاية؛ ارتعب الأرنب وخاف خوفًا شديدًا، أسقط قفازه ومروحته، وانطلق يجري بأقصى سرعة قدر استطاعته.

لكن شيئًا مدهشًا قد حدث، تناولت أليس المروحة وأخذت في التهوية على نفسها، وإذ بها تعود فجأة لتصبح صغيرة ثانية، كل ذلك حدث في دقيقة فقط، لقد تضاعل حجمها إلى أن أصبحت في حجم فأر تقريبًا.



الآن انظر إلى الصورة، وستخمن ماذا سيحدث عما قريب!. يشبه البحر تمامًا، أليس كذلك؟ لكن في الواقع إنها بركة دموع، وعلى سبيل التحديد كما تعرف، إنها بركة دموع أليس!

بطبيعة الحال، انجرفت أليس في تلك البركة، وانجرف معها فأر صغير، وأصبحا يعومان معًا.

ألا تبدو أليس جميلة في تلك الصورة، وهي تعوم؟ بإمكانك رؤية جواربها الزرقاء بعيدة تحت الماء.

لكن لماذا يعوم الفأر مبتعدًا عن أليس في سرعة شديدة؟ حسنًا، السبب يكمن في أن أليس كانت قد بدأت تتحدث معه عن القطط والكلاب، وبالطبع فإنَّ الفأر يخافُ من القطط والكلاب ويكره الحديث عنها!

إن افترضنا أنك تعوم في بركة، أو على وجه الخصوص في بركة من دموعك، وظهر شخص بدأ الحديث عن دروسه وكتبه وزجاجات الدواء، ألن تعوم بعيدًا عنه قدر إمكانك؟



الفصل الرابع

سباق جماعي

عندما خرجت أليس والفأر من بركة الدموع، كانا مبتلين تمامًا بالطبع، كما هو حال الكثير من المخلوقات العجيبة، التي كانت قد انجرفت أيضًا معهما في تلك البركة. كان من بين تلك المخلوقات طائر الدودو (الطائر الضخم، الذي يستند إلى عكاز في المقدمة)، وبطة، وببغاء هندي (يقف خلف البطة، وينظر من فوقها)، ونسر صغير (موجود على الجانب الأيسر من الببغاء)، ومخلوقات أخرى عديدة. حسنًا... لم تكن تلك المخلوقات تعرف طريقة في ذلك العالم كله، كي تجفف نفسها مرة أخرى، لكن طائر الدودو كان حكيماً جداً؛ ودلهم على طريقة صحيحة... كانت تلك الطريقة هي أن ينظموا سباقاً جماعياً...

ماذا كان ذلك السباق في رأيك؟

لا تعرف؟ حسنًا، أنت طفل غير متنبه، الآن كن متنبهًا، وسأخلصك قريبًا من عدم انتباهك هذا!

أولًا، يجب أن يكون لديك مضمار سباق، ويجب أن يكون دائريًا نوعًا ما، لا يهم الشكل الذي هو عليه، طالما كان طريقًا جيدًا للركض، ويلتف حول نفسه مرة أخرى.

ثم يجب عليك وضع المتسابقين على المسار، وتوزيعهم هنا وهناك، بحيث لا يكونون متزاحمين قدر الإمكان.

لن تحتاج إلى أن تقول «واحد، اثنان، ثلاثة، انطلقوا!»، لكن دعهم يركضون وقتما يشاؤون، وينتهون وقتما يفضلون.

لذلك انطلقت المخلوقات كلها، ومعهم أليس، يجرون ويدورون هنا وهناك، إلى أن جفوا مرة أخرى. ثم قال طائر الدودو: «جميعكم ربحوا السباق، الآن يجب أن تحصلوا على الجوائز!».

بالطبع كان يجب على أليس أن تسلمهم الجوائز، لكن لم يكن معها شيء لتقدمه سوى قليل من سكاكر الفواكه كانت في جيبها بمحض الصدفة. كان نصيب كل واحد منهم واحدة، ولم يتبق شيء لأليس، وبذلك لم تحصل أليس على جائزتها!

ماذا تعتقد أن يفعلوا بشأن ذلك؟ لم يتبق مع أليس سوى كُشتبان معدني صغير، الآن انظر إلى الصورة، وستعرف ماذا حدث.

قال طائر الدودو: «حسنًا، أعطيه لي!».



أخذته طائر الدودو، ثم أعاده مرة أخرى إلى أليس، وقال: «اسمحي لنا أن ننال شرف قبولك لهذا الكشتبان الأنيق!»، ثم صاح الجميع وهللوا في فرحة.

ألم تكن تلك هدية غريبة كي يهديها لها؟ افترض أنهم أرادوا أن يقدموا لك هدية عيد ميلادك، أتفضل أن يأتوا إلى صندوق ألعابك، ويلتقطوا منه لعبتك المفضلة قائلين: «ها هي، يا حبيبي، لعبة جميلة من أجل عيد ميلادك!»، أم تفضل أن يأتوا لك بشيء جديد، لم تكن قد امتلكته من قبل؟

الفصل الخامس

السحلية «بيل»

الآن سأخبرك عن مغامرات أليس في بيت الأرنب الأبيض.
هل تتذكر كيف أسقط الأرنب قفازه ومروحته، عندما ارتعد خوفاً
من صوت أليس، الذي بدا آتياً من السماء؟
بالطبع، لم يتمكن من الذهاب لمقابلة الدوقة من دون قفازه
ومروحته، لذلك بعد القليل من الوقت، عاد ثانية، ليبحث عنهما.
مع الوقت كان طائر الدودو وباقي المخلوقات العجيبة قد رحلوا،
وبقيت أليس تتجول بمفردها.

إذن ماذا تعتقد أن يكون الأرنب الأبيض قد فعل؟
في الواقع لقد حسبها خادمة المنزل، لذلك بدأ يأمرها قائلاً: «يا
ماري آن! اذهبي إلى البيت فوراً، وأحضري لي زوجاً من القفازات
ومروحة، هيا سريعاً، في الحال!».

ربما لم يستطع النظر بوضوح تام بعينه الورديتين؛ حيث إنني متأكد تمامًا من أن أليس لا تشبه مطلقًا خادمة المنزل، أليست كذلك؟ لكن على كل الأحوال كانت أليس فتاة صغيرة مهذبة، فلم تشعر بالإساءة، على عكس ذلك تمامًا، لقد جرت في سرعة بقدر استطاعتها إلى بيت الأرنب الأبيض.

لقد كانت محظوظة؛ كي تجد الباب مفتوحًا؛ فإن لم يكن كذلك، لكانت اضطرت إلى أن تدق الجرس، وحينها كانت «ماري آن» الحقيقية ستأتي لتفتح الباب، ولم تكن لتسمح لأليس بالدخول مطلقًا. غير أنني متأكد أنه قد كان من حسن حظها فعلاً، عدم مقابلتها «لماري آن» الحقيقية عندما صعدت إلى الطابق العلوي؛ حيث كنت أخشى أن تُمسك بأليس وتظنها لصّة!

أخيرًا استطاعت أليس أن تجد طريقها إلى غرفة الأرنب، ووجدت هناك زوجًا من القفازات على الطاولة، كانت ستأخذه وترحل، إلا أنها رأت زجاجة صغيرة على الطاولة. وبالطبع كان هناك ملصق مربوط عليها، كُتب فيه «قومي بشربي!»، وبالطبع شربت أليس بعضًا منه.

حسنًا، أظن أن ذلك من حسن الحظ أيضًا، ألا تعتقد ذلك؟ فإن لم تكن قد شربت أيًا منه، لما كانت هذه المغامرة العجيبة التي سأخبرك بها لتحدث على الإطلاق، أليس هذا مؤسفًا؟

أعتقد أنك اعتدت على مغامرات أليس العجيبة؛ لذلك أجزم أن بإمكانك تخمين ماذا سيحدث بعد ذلك؟ لكن إن لم تستطع، فسوف أخبرك.

أخذت أليس تنمو، وتزداد نموًا ونموًا، لدرجة أنه في وقت قصير جدًا، أصبحت الغرفة ممتلئة بأليس، تمامًا كعلبة مربى ممتلئة إلى آخرها!

لقد كانت أليس في كل مكان في الغرفة، ممتدة إلى الأعلى حيث السقف، وموجودة في أركان الغرفة جميعها!

فُتِح الباب إلى الداخل، لكن بالتأكيد لم يكن هناك متسع في الغرفة، أو لم يكن هناك أي غرفة لفتحها، فعندما سُم الأرنب من الانتظار، جاء بنفسه كي يُحضر قفازه، لكنه بالطبع لم يتمكن من الدخول.

إذن ماذا تظنه قد فعل؟ (الآن حان وقت الصورة)، لقد أرسل السحلية بيل إلى سطح المنزل، وطلب منه النزول إلى الأسفل عبر المدخنة.

صادف ذلك وجود إحدى قدمي أليس في الموقد، عندما سمعت بيل ينزل عبر المدخنة، ركلته ركلة خفيفة، لكنها أطاحت به بيل إلى السماء!



مسكين بيل! ألا تشفق على حاله كثيرًا؟ لا بد أنه قد كان خائفًا
جدًّا!

الفصل السادس

الجرو اللطيف



حسنًا، لا يبدو جروًا صغيرًا، أليس كذلك؟ لكن كما تعرف، لقد أصبحت أليس صغيرة جدًا مجددًا، وهذا ما جعل الجرو يبدو ضخماً لنا. عندما أكلت أليس إحدى الكعكات الصغيرة السحرية، التي وجدتها في بيت الأرنب الأبيض، تضاعل حجمها مباشرة، وهكذا استطاعت أليس أن تمر عبر الباب، وإلا لما تمكنت من الخروج من ذلك البيت مرةً أخرى مطلقاً... ألن يكون ذلك مؤسفًا؟ لأن حينها لم تكن ستحلم بكل الأشياء المدهشة التي سنقرأ عنها فيما بعد.

إذن، كما ترى لقد كان جروًا صغيرًا بالفعل، أليس حيوانًا أليفًا صغيرًا؟ انظر إلى الطريقة التي ينبج بها على العصا الصغيرة التي تحملها أليس له! يمكنك أن ترى أنها كانت خائفة قليلًا منه، حيث كانت طوال الوقت واقفة خلف نبات الشوك؛ كانت خائفة من أن يجري نحوها ويدهسها، كان الأمر سيئًا بالنسبة لها، كما سيكون سيئًا بالنسبة لك، لو أن هناك أربعة خيول وعربة تجري نحوك!

هل لديك كلبٌ أليفٌ في منزلك؟ إن كان لديك، أرجو منك أن تعامله بلطف، وتقدم له طعامًا لذيذًا ليأكله.

في مرة من المرات، عرفت أطفالًا، في عمرك تقريبًا، كان لديهم كلبٌ صغيرٌ، اسمه «داش»، وهذا ما قصوه عليّ عن حلولى عيد ميلاده. «أتعرف! في يوم من الأيام تذكرنا أن عيد ميلاد داش كان في هذا اليوم، لذلك قلنا لبعضنا البعض «دعونا نقدم له حلولى لذيذة في عيد ميلاده، مثل التي نتناولها في أعياد ميلادنا!»، لذلك ظللنا نفكر ونفكر،

ثم «حسنًا، الآن، ما هي أكثر حلوى نفضلها في أعياد ميلادنا؟»،
ظللنا نفكر ونفكر ثانية.. وأخيرًا صحنًا جميعًا معًا «عصيدة الشوفان،
بالطبع!» اعتقدنا جميعًا أن «داش» بكل تأكيد سيفضلها كثيرًا، مثلنا.

لذلك ذهبنا إلى الطاهي، وحضّرنا له صحنًا من دقيق الشوفان
الطيب، ثم نادينا داش إلى داخل المنزل، وقلنا له: «الآن يا داش
سنقدم لك حلوى عيد ميلادك!»، ظننا جميعًا أن داش سيقفز مهللًا
من الفرحه، لكنه لم يفعل ذلك على الإطلاق، لم يظهر حتى القليل
من الفرحه!

وضعنا الصحن أمامه وقلنا: «حسنًا يا داش، الآن لا تكن متكبرًا!
كلّ بلطف، ككلب مهذب صغير!».

لكن داش تذوق الحلوى بطرف لسانه، وأظهر تلك التعبيرات
على وجهه، أوه! كانت تعبيرات وجه بشعة، لقد كرهها فعلاً، ولم
يأكل منها مطلقًا مرة أخرى! لذلك كان علينا أن نضع الحلوى بأنفسنا
في حلقة بالملعقة!».

أتساءل إن كانت أليس ستعطي ذلك الجرو الصغير بعض
العصيدة؟ أعتقد أنها لن تفعل ذلك؛ حيث إنها لم تأتِ بأي منها معها،
فأنا لا أرى أي صحن في الصورة.



الفصل السابع

اليرقة الزرقاء

هل تود أن تعرف ماذا حدث لأليس فيما بعد، بعد أن تمكنت من التخلص من ذلك الجرو؟ لقد كان حيوانًا ضخماً بالنسبة لها - كما تعرف-؛ كي تلعب معه. (لا أظن مطلقاً أنك ستستمتع باللعب مع فرس نهر صغير مثلاً، أليس كذلك؟ حتمًا ستتوقع طوال الوقت أنه سيسحقك كقطيرة مسطحة تحت قدميه الثقيلتين الضخمتين!)؛ لذلك هربت أليس سريعاً منه، عندما أشاح بنظره بعيداً.

أخذت تتجول أعلى وأسفل، ولم تكن تعرف أي شيء عليها أن تفعل في هذا العالم؛ كي تتحول إلى حجمها الطبيعي ثانية، بالطبع كانت تعلم أن عليها أن تأكل أو أن تشرب شيئاً ما، حيث من الواضح أن هذه هي القاعدة الثابتة المتعارف عليها، كما تعلم، لكنها لم تستطع أن تخمن، ماذا سيكون ذلك الشيء؟



على أي حال، سرعان ما وصلت أليس إلى فطر كبير، كان طويلاً
لدرجة أن أليس لم تتمكن من رؤية ما يعتليه دون أن تقف على أطراف
أصابع قدميها. ماذا تظن برأيك أنها قد رأت؟ شيء، أنا متأكد تمامًا
من أنك لم تتحدث إليه مطلقاً، طوال حياتك!
كانت يرقه زرقاء كبيرة.

سأخبرك عما قريب، عن الحديث الذي دار بين أليس واليرقة الزرقاء، لكن أولاً دعنا نلقي نظرة متفحصة على الصورة.

يُطلق على هذا الشيء العجيب أمام اليرقة اسم «النارجيلة»، وتُستخدم للتدخين.

يأتي الدخان من خلال هذا الأنبوب الطويل، ثم يدور ويدور في الهواء كالثعبان.

هل ترى أنف وذقن اليرقة الطويلين؟ أو على الأقل كيف يبدوان كالأنف والذقن تمامًا، ألا يبدوان كذلك؟ لكنهما في الواقع كانا اثنين من أرجله. فأنت تعلم أن لليرقات العديد من الأرجل -يمكنك رؤية المزيد منها هناك بالأسفل.

كم سيكون الأمر مزعجًا بالنسبة إلى اليرقة بالتأكد، أن تُحصي ذلك العدد الكبير من أرجلها، كل ليلة، لتتأكد من أنها لم تفقد أيًا منها!

غير أنه سيكون من المرهق كثيرًا لها، تحديد أي رجل من الأفضل أن تتحرك أولاً عندما يتوجب عليها تقرير ذلك. أعتقد إن كان لديك أربعون أو خمسون منها، وأردت أن تمشي، ستأخذ وقتًا طويلاً لتحديد أيًا منها ستحركها أولاً، لدرجة تجعلك لن تمشي على الإطلاق.

أما عن حديث أليس مع اليرقة، أتعجب مما تحدثا بشأنه! حسنًا، أخبرتها أليس أنه كم كان الأمر مشوشًا ومربكًا للغاية لها، أن تكون بحجم ثم تتحول إلى آخر.

ثم سألتها اليرقة إن كانت قد أحبت الحجم الذي تحولت إليه،
في ذلك الوقت.

قالت أليس إنها تفضل أن تكون أكبر قليلاً من الحجم الذي هي
عليه... أن يكون طولك ثلاث بوصات فقط هو أمر حتمًا سخيّف!
(جرب أن تضع علامة على الحائط طولها ثلاث بوصات، بطول
إصبعك الأوسط، وستدرك كيف كان حجمها).

قالت لها اليرقة إنها لو أكلت أحد جانبي الفطر، فبإمكانه أن
يجعلها تنمو مجددًا، أما لو أكلت من الجانب الآخر فسيجعلها تصغر
في الحجم.

لذلك أخذت أليس قطعتين صغيرتين معها لتأكلهما، كي تكون
في طول مناسب ومريح؛ قبل أن تذهب لزيارة الدوقة.



الفصل الثامن

الطفل الخنزير



هل تود سماع ما دار في زيارة أليس للدوقة؟ لقد كانت زيارة
عجيبة للغاية؛ وبإمكاني أن أوكد لك ذلك.

بالطبع بدأت في الطرق على الباب، لكن لم يأت أحد إليها، لذلك اضطرت إلى أن تفتحه بنفسها.

الآن إن نظرت إلى الصورة، ستري بكل دقة ما رأيته أليس عندما دخلت.

كان الباب نافذاً على المطبخ، وكانت الدوقة تجلس في منتصف الغرفة، تهدد طفلاً رضيعاً. كان الرضيع يبكي، وكان الحساء يغلي. وكانت الطاهية تقلب الحساء، وكان القط.. -إنه قط شيشاير - يتسم، كما تفعل قطط شيشاير دائماً، كانت تلك الأشياء كلها تحدث عندما دخلت أليس.

كانت الدوقة ترتدي فستاناً وشالاً جميلين، أليست كذلك؟ لكنني أخشى قول أن وجهها ليس بالوجه الجميل.

حسناً... أما بالنسبة إلى الرضيع، فأنا متأكد تمام التأكد من أنك رأيت أطفالاً رضيعاً عديدين ودودين بصورة أكبر من ذلك الرضيع، وبالطبع أكثر جمالاً منه أيضاً، لكن على أي حال، ألقِ بنظرة طويلة عليه، وسنرى إن كنت ستعرفه، في المرة القادمة عندما تراه مجدداً أم لا!

أما عن الطاهية، فمن المحتمل أنك قد قابلت طاهيات ألطف منها ذات مرة أو مرتين.

لكنني أكاد أجزم، أنك لم تر قطاً ألطف من هذا، هل رأيت؟ ألا تود أن يكون لديك قطٌ خاصٌ تمتلكه، مثل ذلك القط، صاحب تلك

الأعين الخضراء، وتلك الابتسامة الساحرة؟

لقد كانت الدوقة عنيقة جدًا تجاه أليس، ولكن لا عجب في ذلك؛ لقد نادى طفلها الصغير بـ «أيها الخنزير!»، وبالطبع هو ليس خنزيرًا، أليس كذلك؟ كما أنها أمرت الطاهية بقطع رأس أليس، لكنها لم تنفذ ذلك الأمر بالطبع، إلى جانب أنها بنهاية الأمر، ألفت بالطفل إلى أليس، حيث التقطته أليس، وأخذته بعيدًا معها... أعتقد أن هذا كان أفضل شيء قامت به.

ذهبت أليس لتتجول بعيدًا في الأيكة، وهي تحمل ذلك الشيء الصغير القبيح معها. كان عملاً رائعاً منها، أنها ظلت تحمله بثبات، فقد كان يتلوى كثيرًا. لكنها في النهاية توصلت إلى طريقة صحيحة لحمله، وهي أن تمسك بقدمه اليسرى وأذنه اليمنى بإحكام شديد.

لكن بالطبع لا تحاول حمل طفلٍ رضيعٍ بهذه الصورة، يا عزيزي! حيث إن الكثير من الأطفال لا يودون أن يُهددوا بتلك الطريقة!

حسنًا، ظل الرضيع يتنفس من منخاره في ضجة عالية أقرب إلى النخير، حيث ظل ينخر ويشخر، مما دفع أليس إلى أن تقول في منتهى الجدية: «إن كنت ستتحول إلى خنزير يا عزيزي، فلن يكون هناك شيء باستطاعتي فعله لك، ولن يكون لي شأن بك... انتبه إلى كلامي!».

نظرت أليس في النهاية إلى وجهه، لكن ماذا تظن قد حدث؟ انظر إلى الصورة، لترَ إن كان يمكنك التخمين.

«إنه ليس الطفل الذي كانت تهدده أليس من قبل، أليس كذلك؟»

آه، كنت أدرك أنك لن تعرفه مجددًا؛ لذلك قلت لك أن تلقي نظرة
طويلة عليه في السابق، نعم إنه الطفل، وقد تحول إلى خنزير صغير!
أنزلته أليس عن يديها، وتركته ينطلق بعيدًا إلى داخل الأيكة،
وقالت لنفسها: «لقد كان طفلًا قبيحًا، لكنه في الحقيقة تحول إلى
خنزير جميل وظريف، كما أظن».



هل تعتقد أنها كانت مصيبة في رأيها؟

الفصل التاسع

قط شيشاير

مسكينة أليس! وحيدة جدًا! وحيدة تمامًا! لم يكن برفقتها طفلٌ
أو خنزيرٌ حتى!

لذلك يجب أن تكون متأكدًا من أنها بلغت من السعادة أشدها،
عندما رأت قط شيشاير مستلقيًا أعلى شجرة، فوق رأسها، بالكاد.

تميز قط شيشاير بابتسامة ساحرة بلا شك، لكن يا لها من أسنان
كثيرة في فمه! ألا تبدو أليس خجولة منه قليلًا؟

حسنًا، نعم، هي خجولة قليلًا. إلا أنها قد كانت سعيدة حقًا بوجه
عام، بالرغم من أن ابتسامته وأسنانه لم تساعد في التخلص من
خجلها.

ألا تبدو أليس متمزمة بعض الشيء في رسمية، منتصبة الرأس،
مشبكة الأيدي خلفها، كما لو كانت ستلقي على القط دروسه
التعليمية!



هذا يذكرني بدرس، أود شرحه لك، بينما ننظر إلى الصورة التي
بها أليس والقط. الآن لا تمتعض كثيرًا، يا عزيزي! إنه درسٌ بسيط
جدًّا!

هل ترى نبات (القمعية) أو *foxgloves* بالإنجليزية أي (قفازات الثعلب) الذي ينمو بالقرب على يمين الشجرة؟ هل تعلم لماذا أطلقوا عليه اسم قفاز الثعلب (*foxgloves*)؟ حسنًا، ربما تعتقد أن لذلك دخلًا بالثعالب، أو أنه خاص بالثعالب؟ لكن لا، حتمًا ليس كذلك، فالثعالب لا ترتدي قفازات أبدًا!

دعني أقول لك إنه (في الإنجليزية يتماثل نطق كلمة *folk's* «شعبي» مع كلمة *fox* «الثعلب»)، لذلك في الواقع، كان الاسم الحقيقي لها هو *folk's gloves* «القفازات الشعبية»، ألم تسمع من قبل أنه عادةً ما يُطلق على شعب الجنيات الطيبات الاسم نفسه، فأزهار تلك النباتات العشبية تشبهها^(١٠)؟

الآن قد انتهينا من الدرس، وسوف ننتظر دقيقة؛ حتى تستعيد مزاج قصتنا مرة أخرى.

حسنًا! هل تشعر بالرضى مرة أخرى؟ لا مزاج معكرو؟ ولا تقلب لسان بين جانبي فمك... إذن هيا لنكمل..

نادته أليس قائلة: «يا قط شيشاير!»، (ألم يكن ذلك اسمًا جيدًا لقط؟)، «من فضلك، هل يمكنك أن تخبرني أي طريق ينبغي عليّ أن أسلك كي أخرج من هنا؟».

(١٠) اسم ذلك النبات هو *fox gloves*، لذلك عندما تُرجم أصبح (قفازات الثعلب)، لكن اتضح أن اسم تلك العشبة قد كان *folk's gloves* حيث إن نطقهما واحد في الإنجليزية، أما *the good folks* كما جاء في القصة فهو تعبير يطلق على الجنيات السحرية.

أخبرها قط شيشاير أي طريق عليها أن تسلك، إن رغبت في الذهاب لزيارة «صانع القبعات»، وأي طريق عليها أن تسلك إن رغبت في زيارة الأرنب الوحشي «مارس»، بالنسبة إلى القط كان الخياران متمائلين، حيث أوضح ذلك قائلاً: «كلاهما مجنون!».

بعد ذلك اختفى القط تمامًا، كما تختفي شعلة الشمعة عندما تنتهي!

انطلقت أليس؛ لتزور الأرنب الوحشي «مارس»، لكنها عندما همّت بالرحيل، ظهر القط ثانية؛ فأخبرته أنها لا تستحسن مطلقاً ظهوره واختفاءه المفاجئ والسريع على هذا النحو.



لذلك اختفى القط هذه المرة ببطء شديد، حتى بدا الأمر غريباً جداً، فلقد أخفى ذيله أولاً، ثم قام بإخفاء ابتسامته في النهاية. أليس

ذلك مشيراً للعجب، ابتسامة ظاهرة من دون أي قط؟ هل ترغب في رؤية شيء كهذا؟

حسنًا، إذا رفعت زاوية الورقة، ستري كيف كانت أليس تنظر إلى الابتسامة.. لا تبدو أليس خائفة ولو قليلاً حينما كانت تنظر للابتسامة وحدها أكثر مما كانت عليه عندما كانت تنظر للقط بأكمله، أليست كذلك؟



الفصل العاشر

حفلة الشاي المجنونة

نعم، هذه هي حفلة الشاي المجنونة..



عندما تركت أليس قط شيشاير وغادرت؛ كي ترى الأرنب الوحشي «مارس» وصانع القبعات، كما أرشدها قط شيشاير، وجدتَهما يشربان الشاي تحت شجرة ضخمة، ووجدت هناك قارصًا صغيرًا يشبه السنجاب اسمه الزغبة يجلس بينهما.

لم يكن هناك على الطاولة سوى هؤلاء الثلاثة فقط، إلا أنه على طول الطاولة وُضع الكثير من أكواب الشاي، أعلم أنه لا يمكنك رؤية الطاولة بأكملها، لكن كما تلاحظ، في الجزء الصغير الذي تراه، كان هناك تسعة أكواب، بما فيها الكأس التي يمسكها الأرنب الوحشي في يده.

إنه الأرنب الوحشي مارس، بأذنيه الطويلتين، والتبن المختلط مع شعره، يعطيه التبن سمة المجنون، لا أعلم حقيقةً سبب ذلك؟.. فبالأكيد لا تقوم مطلقًا بلف التبن على شعرك، حتى لا يظن الناس أنك مجنون!

كان هناك كرسيٌّ خلابٌ بمسندين في آخر الطاولة لونه أخضر، بدا كما لو كان قد وضع خصيصًا لأليس، لذلك تحركت أليس نحوه وجلست عليه.

حصلت أليس بعد ذلك على حديث ممتع مع صانع القبعات والأرنب الوحشي مارس، أما عن الزغبة فلم يتحدث سوى بالقليل، عندما كان يستيقظ بين الحين والآخر.

كان نومه مفيدًا جدًا لصانع القبعات وللأرنب الوحشي مارس؛

فلقد كان الزغبة يتمتع برأس دائري ناعم جدًا مثل الوسادة تمامًا، لذلك كانا يتكئان عليه بمرفقيهما، طوال فترات نومه، متحدثين إلى بعضهما البعض في وضع مريح تمامًا. بالطبع لا تحب أن يتخذ الناس من رأسك وسادة يتكئون عليها، أليس كذلك؟ لكن إن كنت تنام في سرعة مثل ذلك الزغبة حتمًا لن تشعر بأي شيء من ذلك القليل، لذلك أعتقد أنك لن تهتم إن حدث معك ذلك الأمر.

أعتقد أنهما قدّما لأليس القليل لتأكله ولتشربه، لكن على أي حال، بعد قليل، قامت بنفسها بجلب بعض الشاي والخبز والزبد، لكنني لست متأكدًا تمامًا من أين حصلت لنفسها على الخبز والزبد، كما أنني لا أرى لديها طبقًا لتضعهما فيه.

يبدو أن الوحيد الذي كان لديه طبق هو الأرنب الوحشي. لكنني أظن أن من الجيد أن كان للأرنب الوحشي مارس طبقًا يخصه؛ لأنهم عندما انتقلوا من مقاعدهم جميعًا (كانت تلك هي قاعدة حفلة الشاي المجنونة)، انتقلت أليس لتجلس في مكان الأرنب الوحشي مارس، وجدت أليس أنه قد أسقط إبريق الحليب في طبقه، لذلك اعتقد أن طبقه وإبريق الحليب مختبئان خلف براد الشاي الكبير هذا.

اعتاد صانع القبعات على حمل قبعاته لبيعها، حتى تلك القبعة التي يرتديها على رأسه من المفترض أن تُباع. ترى سعرها مدونًا عليها («١٠» ____ «٦»)، وهذا يعني ١٠ شلنات وستة بنسات، أليست تلك طريقة مضحكة ومرحة لبيع القبعات؟ ألم يكن يرتدي ربطة عنق

مميزة؟ إنها حقاً ربطة عنق جميلة صفراء مزركشة بنقاط حمراء عليها.

كانت أول كلمات نطق بها: «ينبغي أن يُقص شعرك!» لقد كان ذلك فظاً كي يقال، أليس كذلك؟

وهل تعتقد أن شعرها بالفعل في حاجة إلى أن يُقص؟

أعتقد أن طوله جميل جداً، طويل بالقدر المضبوط.



الفصل الحادي عشر

حديقة الملكة

يُعتبر هذا جزءًا صغيرًا من الحديقة الخلابية، التي أخبرتك عنها،
لعلك ترى أن أليس قد تمكنت في النهاية من أن تصبح صغيرة جدًا؛
بحيث أصبح في استطاعتها المرور عبر ذاك الباب الضئيل.



أحسب أنها قد صارت في طول فأر فقط، إذا ما وقف على ساقيه الخلفيين، وبناء على ذلك، فهذه شجرة ورد صغيرة للغاية بالتأكيد، وهؤلاء بطبيعة الأمر بستانيون صغار جدًا.

يا لهم من رجال صغار مضحكين جدًا! لكن هل هم رجال فعلاً؟ هل تعتقد ذلك؟ أرى أنهم بطاقات لعب حية (كوتشينة)، لكن لهم رؤوس وأيدي وأرجل، لذلك يبدو كرجال صغار فحسب. لكن ماذا يفعلون بهذا الطلاء الأحمر؟ حقاً أتعجب من هذا الأمر؟... حسناً، هذا ما أخبرتنا به أليس، أرادت ملكة القلوب في بطاقات اللعب أن يكون لديها شجرة ورد حمراء في الزاوية، وهؤلاء البستانيون المساكين الصغار قد ارتكبوا خطأ فادحاً، وغرسوا شجرة ورد بيضاء بدلاً منها، مما أصابهم بالخوف والذعر الشديدين؛ لأن الملكة حتماً ستغضب غضباً جماً، وستأمر بقطع رؤوسهم جميعاً!

لقد كانت الملكة متوحشة وعنيفة للغاية، الطريقة الوحيدة التي تتعامل بها عندما تغضب من الناس، أن تصيح: «اقطعوا رؤوسهم!»، لكن كما تعرف، لم يكن هناك من يطيع أوامرها أبداً، لكن هذا ما كانت تأمر به دائماً.

الآن ألا تستطيع تخمين ما كان البستانيون الصغار يحاولون فعله؟ لقد كانوا يحاولون طلاء الورد باللون الأحمر، وكم كانوا في عجلة من أمرهم، لينتهوا من طلائها قبل أن تأتي الملكة، وحينها ربما لن تكتشف أنها قد كانت شجرة ورد بيضاء، وبالتالي من المحتمل ألا تُقطع رؤوس هؤلاء الرجال الصغار!

كما ترى لقد كانت هناك خمس وردات بيضاء كبيرة على الشجرة، إعادة طلائها جميعا باللون الأحمر عملٌ شاقٌّ بالطبع! لكنهم انتهوا من طلاء ثلاثة وردات ونصف وردة بالفعل، والآن لو لم يتوقفوا عن الحديث معاً، وذهب كل منهم ليقوم بعمله، ستأتي الملكة قبل أن ينتهوا من عملهم! وبالطبع إن أتت ووجدت أي وردة بيضاء على الشجرة، أنت تعرف ماذا سيحدث؟ فقط ستصبح: «اقطعوا رؤوسهم!»، لذلك هيا أيها الرجال الصغار، قوموا بعملكم، أسرعوا! أسرعوا!



لقد أتت الملكة! ألا يبدو لك أنها تشتاط غضبًا؟ أوه، أليس
الصغيرة المسكينة!



الفصل الثاني عشر

رقصة السلطعون الرباعية

هل سبق لك أن لعبت لعبة الكروكيت؟ حيث يكون هناك كرات خشبية كبيرة، مطلية بألوان مختلفة، وعليك أن تدور حولها، كما يكون هناك حلقات سلكية، يجب تمرير الكرات عبرها، ومطارق خشبية كبيرة ذات مقابض طويلة؛ لضرب الكرات.

الآن انظر إلى الصورة، وسترى أن أليس كانت تلعب لعبة الكروكيت تلك.

لكنها لم تستطع اللعب بـ... - ما اسم هذا الشيء - هذا الشيء الأحمر الكبير في يدها! كيف لها أن تمسك بالمطرقة؟



لماذا يا طفلي العزيزة تمسكين بهذا الشيء الأحمر الكبير (في الواقع هذا طائر واسمه «طائر الفلامنجو») ولقد كان هو المطرقة! في لعبة الكروكيت تلك، كانت الكرات عبارة عن قنافذ (بالطبع تعرف أن القنفذ يمكنه أن يلتف حول نفسه ويصبح كالكرة!). أما عن المطارق فكانت عبارة عن طيور فلامنجو حية!

أرادت أليس أن تستريح من تلك اللعبة، لمدة دقيقة، وتحدث مع رفيقتها العزيزة القديمة، نعم أقصد الدوقة، إلا أنها ظلت ممسكة بمطرقتها تحت ذراعها بالطبع؛ كي لا تفقدها.

«لكنني في واقع الأمر، لا أعتقد أنها كانت رفيقة عزيزة أبداً، ولو قليلاً! فلقد نعت طفلها بالخنزير، وأمرت سابقاً بقطع رأس أليس!». أوه، هذه كانت مزحة فقط؛ فلم تُقطع رقبة أليس، وبالنسبة إلى الطفل، فقد كان خنزيراً بالفعل، كما تعرف! انظر إلى ابتسامتها فقط! إنها ابتسامة عريضة، أعرض من رأس أليس، وبالمناسبة أنت ترى نصف الابتسامة فقط!

حسناً، لم تحصلا سوى على دردشة قصيرة، عندما أتت الملكة لتأخذ أليس بعيداً، لتريها النسر جريفون، والسلحفاة الزائفة.

أنت لا تعرف بالطبع ما هو الجريفون هذا؟ حسناً، السؤال هو «هل تعلم شيئاً في المطلق؟». على أي حال، انظر إلى الصورة، إنه المخلوق ذو الرأس الأحمر، والمخالب الحمراء، والريش الأخضر، هذا هو الجريفون، الآن أصبحت تعلم.

أما عن المخلوق الآخر، فهي السلحفاة الزائفة^(١١)، كان رأسها رأس عجل، فرأس العجل هو الذي يستخدم لعمل حساء السلاحف المزيّف، الآن أصبحت تعرف السبب وراء ذلك الشكل ولم هي زائفة. «لكن ماذا هم فاعلون، لماذا يدورون ويدورون حول أليس هكذا؟».

لماذا ظننت أنك ستعرف! إنهم يرقصون رقصة السلطعون الرباعية بكل تأكيد.

(١١) شخصية خيالية ابتدعها المؤلف من اسم حساء مشهور في العصر الفيكتوري.



في المرة القادمة، إن قابلت جريفون وسلحفاة زائفة، عليك أن تعرف أنهم سيرقصان تلك الرقصة من أجلك، إن طلبت منهما ذلك في هدوء وبطريقة حسنة. لكن فقط لا تدعهما يقتربان كثيرًا؛ لأنهما من المحتمل أن يدوسا على أصابع قدمك، كما فعلا مع أصابع أقدام أليس المسكينة.



الفصل الثالث عشر

مَن سرق كعكات الفواكه؟

هل سمعت من قبل عن كيفية إعداد ملكة القلوب لكعكات الفواكه؟ وهل يمكنك إخباري ماذا حدث لها؟ لماذا أسألك؟! لأنني بالطبع أعرف الإجابة، ألا تخبرنا الأغنية بكل شيء...

ملكة القلوب في الأيام الصيفية

تعد كعكات الفواكه الشهية

لكن ولد القلوب سرقها بالكلية

وأخذها بعيداً بحيلة خفية!

حسناً، نعم لقد أجابت الأغنية، لكن لن تتم معاقبة ذلك الولد المسكين بالطبع، لمجرد وجود أغنية عنه، تذكر ذلك. اضطروا أولاً إلى أخذه سجيناً، وضعوا الأصفاد حول معصميه، وجعلوه يمثل أمام ملك القلوب، حتى تكون محاكمته مثل المحاكمات المعتادة.

الآن، إذا نظرت إلى الصورة الكبيرة، في أول الكتاب، ستري كيف هي المحاكمة الكبرى! عندما يكون القاضي ملكًا!

لقد كان الملك مهيبًا جدًا. ألم يكن كذلك؟ لكنه لا يبدو سعيدًا مطلقًا، أعتقد أن تاجه الضخم الثابت على قمة شعر القضاة المستعار، ثقيل جدًا وغير مريح، إلا أنه قد كان لزامًا عليه أن يرتديهما معًا؛ كي يعرف الناس أنه قاضٍ وملكٌ في الوقت نفسه.

ألا تبدو الملكة حانقة من شدة الغضب؟ أمامها مباشرة طبق مليء بكعكات الفواكه على الطاولة، وحتماً كان مثيراً لحفيظتها (لأنه يذكرها بكعكاتها)، إلى جانب أنها ترى أيضًا ولد القلوب السيئ (ألا ترى الأصفاد حول معصميه؟) الذي سرق كعكاتها منها، لذلك لست متعجبًا إطلاقًا، من شعورها بالغضب.

كان الأرنب الأبيض يقف بالقرب من الملك، يقرأ تلك الأغنية؛ كي يخبر الجميع بما فعله ولد القلوب السيئ، يقرأها على هيئة المحلفين (بإمكانك رؤية اثنين منهم فقط، هما الضفدع والبطّة، في صندوق هيئة المحلفين) ليقرروا ما إذا كان مذنبًا أم غير مذنب.

الآن، سأخبرك بالحادث الذي وقع لأليس.

تستطيع أن ترى أنها كانت واقفة بالقرب من صندوق هيئة المحلفين، وقد استدعيت على أنها شاهدة. أتعلم ما معنى أن تكون «شاهدًا»؟ الشاهد هو الشخص الذي رأى السجين يفعل ما يُتهم به أيًا ما كان، أو من يعرف شيئًا مهمًا بشأن القضية.

لكن أليس لم تكن قد رأَت الملكة وهي تعد كعكات الفواكه، ولم تكن أيضًا قد رأَت ولد القلوب وهو يأخذ تلك الكعكات، ففي الواقع، لم تكن أليس تعلم أي شيء عن هذا الأمر، إذن لماذا دونًا عن العالم أجمع أرادوا أن تكون أليس شاهدة؟ لا أستطيع أن أخبرك بكل تأكيد!



على أي حال لقد أرادوا أليس بعينها. نفخ الأرنب في بوقه الكبير،

ثم صاح عاليًا: «أليس!»، فقفزت أليس في الحال من مكانها وذهبت مسرعة في عجلة، ثم...

ثم.. ماذا تظن قد حدث؟ علقت تنورتها في صندوق هيئة المحلفين، وقلبتهم جميعًا رأسًا على عقب، وبالطبع سقط المحلفون جميعهم متدحرجين خارج الصندوق!

هيا بنا نحاول حصر الاثني عشر جميعهم، بالطبع تعرف أنه شرط أساسي أن يكون عددهم اثني عشر؛ كي يشكلوا هيئة محلفين كاملة. أرى ضفدعًا وزغبة وفأرًا وابن مقرض وقنفذًا وسحلية وديكًا وخلدًا وبطة وسنجابًا وطائرًا بمنقار طويل يصيح مباشرة خلف الخلد. لكن هذا يجعل منهم أحد عشر فقط، هكذا يجب أن نجد مخلوقًا آخر.

أوه، هل ترى ذلك الرأس الصغير الأبيض، الذي يخرج من خلف الخلد، وأسفل منقار البطة مباشرة. نعم لقد وجدناه، هذا يجعل منهم الآن اثني عشر.

يقول السيد تينيل^(١٢): أن ذاك الطائر الذي يصيح هو طائر الـ لقلق (بالطبع أنت تعرف ما هذا؟)، أما عن صاحب الرأس الصغير الأبيض فهو صغير الفأر ويُسمَّى درص، (أليس شيئًا صغيرًا محببًا؟). التقطتهم أليس جميعًا في الحال، وفي حرص تام، أتمنى ألا يكونوا قد أُصيبوا بإصابات بالغة!

(١٢) السير جون تينيل هو رسام كتب بريطاني، اشتهر برسوماته لمغامرات أليس في بلاد العجائب

الفصل الرابع عشر

وابل البطاقات

أوه! يا عزيزتي! يا عزيزتي! عمّ كان كل ما حدث؟ وماذا سيحدث
لأليس؟

حسنًا، سأخبرك بكل شيء، بقدر ما أستطيع. انتهت المحاكمة
على هذا النحو، أراد الملك أن تحسم هيئة المحلفين ما إذا كان ولد
القلوب مذنبًا أم غير مذنب... وهذا يعني أنه يريد منهم رأيًا نهائيًا،
عمّ إذا كان ولد القلوب هو من سرق كعكات الفواكه، أم أن السارق
شخص آخر.

لكن الملكة الشريرة أرادت أن يقع عليه العقاب قبل أي شيء،
وأصرت على رأيها. بالطبع كان ذلك مفتقدًا للعدل تمامًا، أليس
كذلك؟ كما تعرف، إن افترضنا أنه لم يأخذ تلك الكعكات أبدًا،
فبالطبع لا يمكن أن يقع عليه عقاب شيء لم يفعله أبدًا.. هل تحب أن
تُعاقب على شيء لم تفعله قط؟



لذلك قالت أليس «هراء وافتراء!».

فصاحت الملكة (بما اعتادت أن تقول دائماً، عندما تغضب):

«اقطعوا رأسها!».

قالت أليس: «مَن يمثّل لأوامرك ويهتم لشأنك؟ أنتم لا شيء سوى حزمة من بطاقات اللعب!». .

اشتاط الجميع غضبًا، وبدأوا يتطايرون في الهواء نحو أليس، ثم يهبطون إلى الأسفل، ويعاودون من جديد، كانوا شديدي الشبه بوابل من المطر.

أحسب أنك لن تستطيع مطلقًا تخمين ما سيحدث بعد ذلك! حسنًا ما حدث بعد ذلك كان... استيقظت أليس من حلمها الغريب ذلك، المثير للدهشة، ووجدت أن بطاقات اللعب التي حلمت بها كانت أوراق شجر، طيرتها الرياح على وجهها.

أليس من المدهش أن تحلم بحلم غريب ومثير للدهشة، مثل حلم أليس تمامًا؟

حسنًا.. أفضل خطة لتنفيذ ذلك هي: أولاً استلقِ تحت شجرة، وانتظر حتى يأتيك أرنب أبيض يجري في سرعة، على أن تكون في يده ساعة، ثم بعد ذلك أغمض عينيك، وتخيل أنك أليس الجميلة.

وداعًا يا أليس الجميلة، وداعًا يا عزيزتي!

- النهاية -